ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

# المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 15 آذار مارس 2021

مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخينً

ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

# المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

# INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

العدد 15

آذار مارس 2021

HISTORICAL.MAGAZINE2015@GMAIL.COM

WWW.INT-HISTORIANS.COM

## هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

**رئيس التحرير**
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

**نائب رئيس التحرير**
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

**مديرة التحرير**
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

## الهيئة العلمية الاستشارية

الأستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي / علوم سياسية / ليبيا
الأستاذ الدكتور حاجي دوران / اجتماع / تركيا
الأستاذ الدكتور حسين جبار شكر / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة / تاريخ / جامعة السلطان قابوس
الأستاذ الدكتور علي علام / تاريخ / المغرب
الدكتور لحسن اوري / تاريخ / المغرب

## التصميم الداخلي للصفحات وغلاف المجلة

م. آثار حيدر عباس جاسم الداوودي

# المحتويات


**المنهج التاريخي في دراسة وتحقيق حجج المحاكم الشرعية في العهد العثماني دراسة تطبيقيه على حجج محكمة القدس الشرعية..... 17**

الدكتوربدربن هلال العلوي ، جامعة السلطان قابوس /قسم التاريخ

الباحث سلطان بن سالم العيسائي /جامعة السلطان قابوس/ قسم التاريخ

**علماء الاصول في المشرق من خلال كتاب فهرست اللبلي الاندلسي ( ت 691هـ / 1291م )..... 43**

الاستاذ المساعد الدكتوره آلآء حماد رجه/ جامعة بغداد/ كلية الاداب

**الأرشيف والكتابة التاريخية المعاصرة ..... 85**

ذ. لحسن أوري المملكة المغربية جامعة سيدي محمد بن عبدالله/كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس

**توثيق النقود من خلال التاريخ مسكوكات الخليفة العباسي المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م) في سمرقند وبخارى في فترة خلافته وبعد خلعه وبعد وفاته أنموذجاً ..... 99**

الدكتورضياء الحسن /شركة الزبيدي للاستشارات الإدارية الاردن

**دور العرب المسلمون في نشأة علم التاريخ .....117**

الدكتورة ميادة قيس رمضان النصيري / جامعة البصرة/كلية الآداب/قسم التاريخ

**المؤرخ و الدبلوماسي : إضاءات تفاعلية حول المفهوم و الممارسة مغرب القرن التاسع عشر.....127**

الباحث عادل البخشوش / مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية

**الغدامسيّة بمدينة تونس وأنشطتهم أثناء القرن التاسع عشر من خلال وثائق الأرشيف التونسي .....135**

د.عثمان البرهومي. جامعة صفاقس/ تونس

**وظيفة المنهج الكمي في دراسة تاريخ الساكنة الحضرية بمدينة الدار البيضاء .....165**

دة. حبيبة تركاوي: طالبة باحثة / جامعة ابن زهر- أكادير

تعليم المرأة التركية بين الموروث العثماني وحداثة الجمهورية التركية.....181

بحث تقدم به181 الدكتور تيسير جدوع علوش

الصراع حول المسالك التجارية بالغرب الاسلامي ما بين: (ق2-6ه/8-12م ) .....191

زينب محمد حامد محمد أحمد/ جامعة نواكشوط

# السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

# هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من تو افر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

# هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للأبحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحه

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

## البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متو افقا مع عنو انه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

## ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع

## عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوزعنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

## نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخردرجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

## ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوزعشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

## موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

## الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول  شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك., وبالنظر الى ان المجلة في الجانب الفني تنظم على عمودين لذا نرجو من الباحثين تنظيم الجداول والرسوم بما يتناسب ذلك او وضعها كمرفقات في نهاية البحث.

## خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث.

## الهوامش

تنظم الهوامش بطريقة الكترونية ويكون الهامش بتسلسل اسفل كل صفحة بالنسبة لدليل شيكاغو. ووفقا للالية المعتمدة في اسلوب APA.

تعتمد المجلة في تنظيم الهوامش اسلوبين الاول دليل شيكاغو والثاني APA)).حجم ونوع الحروف,

مراعاة التنظيم الالكتروني والفني للبحث وفق ما يلي:

نوع الحرف المطلوب sakkal Majalla  وبحجم 20  بخط عريض للعنوان وحجم 18 عادي للمتن وحجم 14 عادي للهوامش، وتكون هوامش الصفحة من جميع الجهات 2 سم.

## عروض الكتب

تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.

يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.

يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميزواوجه القصورو ابرازبيانات الكاتب كامله في اول عرض  اسم المؤلف  المحقق المترجم  الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .

الا تزيد عدد الصفحات العرض عن  ستة صفحات.

## عروض الاطاريح الجامعية

تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.

ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.

ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.

ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادو اته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

## تقارير اللقاءات التعليمية

ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.

يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.

لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

## قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

## حقوق المؤلف

المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.

جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.

ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.

يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.

لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

## الاصدارات والتوزيع

تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للأبحاث المقدمة والملفات العلمية.

المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.

ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.

يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.


## المراسلات
## ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير
historical.magazine2015@gmail.com

# كلمة العدد

## الاتحاد الدولي للمؤرخين وصناعة المستقبل

أ.د ابراهيم سعيد البيضاني

إذا كنا في الاتحاد الدولي للمؤرخين نبحث ونسعى الى ان يكون لنا دورا ايجابيا في تطوير مناهج التاريخ والارتقاء بدور المؤرخ يجب ان نولي الاهتمام بمناهج تدريس التاريخ واعتماد منهج نوعي للدراسات التاريخية، لكي نسهم في صناعة مدرس تاريخ من جهة ومؤرخ من جهة ثانية ونخلق وعي تاريخي من جهة ثالثة.

وكون التاريخ سجل لاحداث الماضي قد عفا عنها الزمن، فاننا نبحث ونفكر ونتطلع الى ان نجعل منه طريقة تفكير في كافة شؤون الحياة والمستقبل، ونهدف الى ان نرسم صورة مستقبلية، ونقدم تقرير تقريبي محتمل لما سيحدث في المستقبل على ضوء تجارب وحقائق التاريخ.

ولكي نصنع تاريخا ونترك اثرا كمؤرخين من خلال مواقف وافكار ونشاطات بان نهئ سبل الارتقاء والتطور ونصنع تاريخا لابد ان نجهز للعوامل والشروط التي تساعدنا في ذلك، ولعل اول شروط ذلك ان نحدد اهدافنا ومنهجنا في التاريخ، ثم نمتلك دراية وفهم وتحليل للاحداث التاريخية، زيادة على ان نمتلك الاليات والادوات والقواعد والاصول التاريخية.

يمكن ان نجعل الاتحاد الدولي صانعا للتاريخ بمقدار ما نقدمه من افكار وقراءات ودراسات تسهم في جعل المؤرخ اداة للبناء وصياغة الحياة من جديد، فالفكر الواعي الثاقب هو سلاح للدفاع وهو اداة للبناء وهو تصور للمستقبل، لذلك فالنشاطات العلمية النوعية كفيلة بان تجعل الاتحاد الدولي للمؤرخين قادرا على توفير الادوات والاليات وقادرا على بناء وصياغة الاصول والقواعد في الفكر التاريخي، وبالتالي صناعة التاريخ وفق اهداف ورؤى محدد

# المنهج التاريخي في دراسة وتحقيق حجج المحاكم الشرعية في العهد العثماني
## دراسة تطبيقيه على حجج محكمة القدس الشرعية

الدكتور بدر بن هلال العلوي ، جامعة السلطان قابوس /قسم التاريخ
الباحث سلطان بن سالم العيسائي /جامعة السلطان قابوس/ قسم التاريخ

الوثيقة مرآة التاريخ، وهي المصدر الأصلي الذي يعتمد عليه الباحث التاريخي، أو المادة الخام التي يصوغ منها نسيجه، وتعد حجج أووثائق المحاكم الشرعية في العهد العثماني، إحدى الركائز الأساسية في تاريخ العرب الحديث، لما توفره من معلومات غزيرة لمختلف جوانب الحياة: الإدارية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والعمرانية، وقد تميزت الحجج الشرعية بمصداقيتها ودقتها وتفردها عن غيرها في المعلومات الواردة في المصادر الأخرى.

من خلال المعلومات التي توفرها الحجج الشرعية يستطيع الباحث أن يجد الجانب العملي التطبيقي للتشريعات العثمانية، ففي الجانب الإداري توفر الحجج الشرعية معلومات عن التقسيمات الإدارية وأسماء الحكّام الإداريين.

أما في مجال الحياة الاجتماعية فترسم لنا المعلومات المستخلصة من هذه الحجج صورة واقعية للمجتمعات العربية من حيث تنوع العناصر السكانية في هذه للمجتمعات والعلاقة القائمة بين هذه العناصر، وسمعت هذه العلاقة القائمة على المنفعلة القائمة، علاوة على ما تمده به من معلومات إضافية عن جوانب الحياة الأخرى مثل الزواج والطلاق والوصاية والتركات وغيرها.

كما أن للمعلومات الواردة في الحجج الشرعية أثر كبير في إعطاء صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية في مجتمع الدراسة، فتوفر معلومات عن الأراضي و أنواعها وطرق انتقالها واستغلالها. كما تزودنا بمعلومات غنية عن الثروة الحيوانية. وتنفرد الحجج الشرعية بإيراد معلومات عن الصناعات والحرف وحركة التجارة الداخلية والخارجية، وتوفر هذه الحجج معلومات نفيسة عن النقود المتداولة في مجتمع الدراسة.

ويمكن القول إن المعلومات التي تقدمها الحجج الشرعية من أوفى المعلومات، و أنفسها ولا تتوافر في مصادر أخرى، فهي بعيدة عن الميول والأهواء والاتجاهات؛ لأن الهدف منها ليس كتابة التاريخ، و إنما النظر في قضية معروضة على المحكمة الشرعية لإيجاد حلًا لها.

وتتناول هذه الدراسة كيفية نقد الحجج الشرعية وتحقيقها، من خلال وصف الحجة، وتحديد تاريخها، ومصدرها، وتحليل نصها، وتحقيقها ومحتواها.

## أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال معالجتها لسجلات محكمة القدس الشرعية بما توفره من معلومات غزيرة ونفيسة وشاملة لمختلف جوانب الحياة: الإدارية، الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، والعمرانية، حيث تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. تعد الحجج الشرعية أهم ما يعتمد عليه الباحث والمؤرخ لكونها مصدرا أصليًا يضعه أمام الحقائق العلمية.
2. تعد الحجج الشرعية الدليل والشاهد الحي على الحدث والفعل.
3. تعد الحجج الشرعية وثيقة تاريخيه ذات أهمية لا يقدرها حق تقدير إلا المؤرخ الباحث في التاريخ المجتمعي؛ لأنها لصيقة بالحياة اليومية المتجددة بالناس.
4. تكمن أهمية هذه الدراسة في التعريف بأن الحجج الشرعية مصدرا للكتابة التاريخية في الحقبة الحديثة.
5. تتميز الحجج الشرعية بمصداقيتها وشموليتها على معلومات صحيحة خالية من الشك كونها صادرة من جهة لا تهدف إلى كتابة التاريخ.
6. تتميز الحجج الشرعية بعدم تحيزها، حيث يتم تحريرها بكل موضوعية من جانب المحكمة الشرعية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1. التعريف بأهمية حجج المحاكم الشرعية في الدراسات التاريخية لكونها منبعًا ماديًا أصليًا يجد فيه الباحث والمؤرخ الكثير من الحقائق التاريخية.
2. إبراز أهمية دقة المعلومات الواردة في تلك الوثائق لصدورها عن المحكمة الشرعية وهي جهة رسمية موثوق بها، وهي العدالة؛ إذ يفترض إن كل ما يصدر عنها ليس محل شك ولها طابع الالتزام والتنفيذ، ونسبة الوثائق إلى هذه الجهة إي المحكمة الشرعية، توفر على الباحث مهمة التحقيق في أصالتها وتقلل من الشكل في صحة ما جاء فيها.
3. إبراز تنوع المعلومات الواردة في الحجج الشرعية وشموليتها.

التعريف بالسجل الشرعي مصدر هذه الحجج:

السجل: مجموعة من الوثائق أو الحجج المدونة في شكل دفتري مجلد مخطوط، وقد دونت هذه الوثائق تباعًا يومًا بيوم وشهرًا بعد شهر وسنة بعد سنة، ويمثل هذا السجل نشاط الجهة التي أصدرته في فترة زمنية من حياتها.

وعادة ما يشتمل السجل على نسخ للوثيقة الأصلية المفردة قيدّت إما موجزة أو كاملة. وتوجد في مصر مجموعات ضخمة من السجلات والدفاتر التي ترجع إلى العصر العثماني لكل الدواوين والمحاكم

والجهات الإدارية محفوظة بأماكن الحفظ الخاصة بها، وتتوافر للباحث في تاريخ بيت المقدس مجموعة ثمينة من السجلات الشرعية[1].

اعتمدت الدراسة على سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ - 1251هـ /1834م – 1835م)، عدد صفحات السجل 192 صفحة، تتراوح ابعاد أوراق السجل بين 70 ×30 سم ، تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج ، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف أوقاف القدس الشريف[2].

والحُجة لغة: " الدليل والبرهان " وقيل: ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. و إنما سميت حجة لأنها تحج، أي تقصد؛ لأن القصد لها وإليها[3].

الحجة اصطلاحًا: اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضور أحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، ويطلق عليه اسم (حجة شرعية)[4].

وهناك الكثير من المصطلحات الواردة في الحجج الشرعية نذكر منها:

الغرش الأسدي: وسمي بذلك لوجود صورة أسد على وجهيه والمشتقة من أصل هولندي. وكان من أكثر الوحدات النقدية تداولاً في المنطقة. وذكرت السجلات الشرعية القرش الأسدي مقروناً بالصاغ الميري، وفي أحيان أخرى لا تذكر ذلك، ومن الأمثلة على ذلك أن قاضي القدس الشرعي زوج خميس

---

(1) أنظر: John E Mandville The Jerusalem Sharia -records A supplement and complement to the central Ottoman Archives Studies on Palestine during the Ottoman period Jerusalem 1975 pp, 516 – 524؛ محمود عطاالله ، سجلات المحاكم الشرعية في القدس في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، دراسة تحليلية ، بحث منشور في كتاب : دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث ، إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر ، منشورات جامعة آل البيت ،عمّان، 1418هـ / 1989 م ، ص 63 – ص 77 ؛ سلامة نعيمات ، الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، بحث منشور في كتاب : دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث ، إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر ، منشورات جامعة آل البيت ،عمّان،1418هـ / 1989 م، ص ص 78 –124 .

(2) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ – 1251هـ /1834م — 1835م.

(3) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، لسان العرب المحيط، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار بيروت، دار لسان العرب، بيروت،1970م، في مادة (حجّ) سيشار إليه لاحقا، ابن منظور، لسان العرب؛ الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، وزارة الارشاد والانباء، الكويت، 1984م، في مادة (حجج).

(4) انظر: أقطاش، نجاتي، بنيارق، عصمت، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي صالح، منشورات الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إستانبول، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان،1986م، ص471.

الوعري بنفيسة بنت عمه الحاج محمد زعرور رعاف الوعري ب "صداقا مؤجلا قدره وبيانه مائتان غرشًا اسديا صاغا ميريًا مؤجله [1]"

البارة: وهي كلمة فارسية تعني شقفة أو قطعة أو جزءاً، وتعد أصغر وحدة نقدية في الدولة العثمانية، وكل أربعين بارة تساوي قرشاً واحداً [2]، ولفظ بارة أطلقه العثمانيون على نقد فضي كان متداولاً في مصر منذ القرن السادس عشر، واستمر حتى أوائل القرن التاسع عشر [3].

أهمية سجل محكمة القدس الشرعية في دراسة التاريخ الحديث:

تكمن أهمية سجلات المحكمة الشرعية في كونها المصدر الأولي التاريخي والأساسي للتعرف على الحياة اليومية، إداريًا واجتماعياً، بين أفراد المجتمع المدني على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم الدينية وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، وتعد سجلات محكمة القدس الشرعية من أقدم السجلات المخطوطة في العصر العثماني التي تكشف عن جوانب عديدة من الحياة اليومية لسكان مدينة القدس، إذ يعود تاريخ أول سجل لسنة (936هـ/1528م) [4].

وتمثلت أهمية سجلات المحاكم الشرعية في الجوانب التالية:

الجانب الإداري:

لقد حدّدت الحجج الشرعية إدارات بعض الوظائف الدينية، والعلمية، والاجتماعية، والمهن الاقتصادية مثل: تعيينات نظار الحرم ومشايخه و أئمّة المساجد وخطبائها، بأوامر سلطانية ، وشيوخ المدارس ومدرسيها وموظفيها ومتولى الأوقاف[5] والوفود وشيوخ الشوق ورؤساء الطوائف الحرفية والمهنية، مثل: الخبازين والطحانين، وغيرها والمحتسب وطبيعة عمله في مدينة القدس ومراقبة للأسعار والموازين وفرض الضرائب على البضائع والسلع والسفر من القدس وإليها[6]، والحج وكل ما يتعلق بالسفر، وما يلزمها من رعاية وعناية طبيّة وغير ذلك بالإضافة إلى المكتبات الخاصة والموقوفة وأسماء الكتب وأسعارها وأماكن تواجدها.

الجانب الاجتماعي:

(1) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م،ص64.

(2) الساحلي، خليل أوغلو، النقود في البلاد العربية في العهد العثماني، مجلة كلية الآداب ، م2، أيار(مايو)1971م، ص107. سيشار إليه لاحقا، الساحلي، النقود في البلاد العربية.

(3) الساحلي، النقود في البلاد العربية، ص108.

(4) اليعقوب، محمد أحمد سليم، ناحية القدس الشريف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، 2ج، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، 1999م، ص511.

(5) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م،ص69.

(6) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1834م، ص45.

أما الناحية الاجتماعيّة فقد تناولت عقود الزواج[1] والطلاق والخلع والمهر المؤجل والسجل وطريقة دفعه، وشروط الخلع وتفاصيل المختلفة، حيث يُذكر اسم الزوج والزوجة ووكيل الزوجة وشاهدا عقد القران والمهر المؤجل والمعجل، وقد تباينت عملية مقدار المهر وشروطه الأخرى حسب الطبقة الاجتماعية التي يُمكن ملاحظتها من خلال المهر ومن خلال الأسماء الواردة في نص الحجج الشرعية، وفصلت هذه الحجج في حصر الإرث[2]، والمتروكات، والطلاق، والمخالعة الشرعية، والنفقات، والوصاية، والوكالات الشرعية، كما شملت قضايا الجرائم والاعتداء كالضرب والقذف والإزعاج والمضايقة وغير ذلك، وكذلك قضايا الطوائف غير المسلمة، مثل النصارى[3] و تسجيل كل ما يتعلق بأعيادهم وعاداتهم ومشاكلهم وامتيازات كل طائفة وتعيينات رؤسائهم.

الجانب الاقتصادي:

أما الناحية الاقتصادية فتمثلت في توثيق عقود البيع والشراء[4] والتّأجير والتراضي والتنازع[5] والضمان وبتفاصيلها المختلفة ونوعية الأراضي التيماريّة والزعامات، وطريقة جباية الضرائب ونظام الالتزام بتفاصيله الكبيرة، كما أوضحت تلك السجلات أنواع الدورات الزراعية من صيفي وشتوي، و أنواع المحاصيل الزراعية، وحججاً مفصلة عن أنواع المحاصيل الزراعية التي كان تتم جبايتها من القرى المحيطة بمدينة القدس، وأصناف المواد والسلع والضرائب المفروضة عليها في الأسواق. كما تناولت موضوع سعر صرف العملة المتداولة في الأسواق وسلامتها من الغش ومواصفاتها وتحديد أسعار البضائع، كالفواكه والخضراوات واللحوم والحلويات ومواد البناء والحبوب، ويتم تحديد هذه الأسعار عن طريق المحتسب والقاضي الشرعي، من شراء وتأجير والتجارة بالدواب من الخيل والجمال والحمير والبغال، والصرر النقدية التي ترد سنوياً من السّلطان العثماني إلى من أهالي القدس وسكان الزّوايا والأربطة، ثم ظهرت الصرة المصرية بعد حملة إبراهيم باشا على القدس، والصرة الشامية التي يوزع جميعها على مستحقيها بمعرفة الحاكم الشرعي في القدس.

أنموذج لحجج شرعية من سجلات محكمة القدس الشرعية:

الحجة الشرعية الأولى (عقد بيع دكان في مدينة القدس الشريف) [6]:

(1) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1834م، ص 41

(2) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1834م،ص 45.

(3) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م،ص 46.

(4) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1834م، ص 45.

(5) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م، ص 66.

(6) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م، ص 45.

اشترى السيد[1] نجيب ابن المرحوم السيد مصطفى المصري بماله لنفسه دون مال غيره، من السيد أحمد بركات الدمشقي الحاضر معه بالمجلس الشرعي، فباعه بيعا باتا ما هو له وجاري في ملكه و آيل إليه إرثا من زوجته المرحومة نفيسة بنت محمد العكليك، ومن أولاده منها الآيل لنفيسة بعضه إرثا من والدها المذكوروبعضه إرثا من شقيقها بدري ويده واضعه على ذلك[2] إلى حين صدورهذا البيع البات[3] وذلك[4] جميع الحصة وقدرها قيراط[5] ونصف قيراط وعشر ثمن قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطا في جميع الدكان القائمة ألينا بالقدس الشريف الو اقعة بخط[6] داود عليه السلام المعروفة بالحداده سكن الزرق يحدها قبلة من العلو سطح الدكان، وشرقا دكان سكن أولاد عبد الرحمن خنفس، و شمالا الطريق وبه الباب، وغربا دكان أولاد حَجيج بجميع حقوق ذلك[7] كله شرعا

(1) السَّيِّدُ مؤنثه سيّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).؛من الألقاب السلطانية ، يقال: السلطان االسيد، انظر: بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2000م، ص213، سيشار أليه لاحقا، بركات، الألقاب.

( 2 ) وردت في الأصل: ذالك.

(3) البيع البات: البيع القطعي ،انظر: مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت ،1302هـ مادة 117.

(4) وردت في الأصل: ذالك.

(5)القيراط: وحدة قياس طول ومساحة أرضية ومعمارية شاع تداولها في مصر خلال الحقبة العثمانية بعد تحديد قيمتها الطولية نسبة إلى القيمة الطولية للذراع البلدي بما يعادل الذراع وثلث الذراع البلدي المعادلة لنظام القياس المتري ما مقدره (74.492992سم ﷺ 2.5 = 186.23248سم) الطيار، محمد شعلان، نظم القياس الطولي والمساحية الإسلامية، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 73–74 آذار– حزيران 2001،كلية الآداب، جامعة دمشق،ص159؛ القيراط يساوي جزء من 24 جزء مقياس مساحة مصري، انظر: هنتس، فالتر، المقاييس والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، 1970م، ص98، وعند وروده فيما بعد سيشار إليه هكذا: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية.

(6) خط: شارع

(7) وردت في الأصل: ذالك.

بيعا باتا[1] بثمن وقدره مائة غرش وثلثين غرش أسدية[2] صاغ[3] ثمنا حالًا مقبوضة بيد أحمد البائع المرقومة[4] من يد نجيب المشتري المذكوربالحضرة والمعاينة القبض الشرعي وذلك[5] كله شركة المشتري ومن يشركه بالباقي فبموجب ذلك[6] كله، برئت[7] ذمة المشتري من الثمن المرقوم[8] ومن كل جزء منه البراءة[9] الشرعية وصدر عقد البيع البات[10] بينهما في ذلك[11] كله بإيجاب وقبوله وتسليم وتسلم صحيحان شرعيان وحيثما كان في ذلك[12] كله من درك[13] وتبعه فضمانه لازم حيث يجب شرعا حرر ١٣ رجب سنة خمسين ومائتين[14] وألف.

[1834/11/14م]

كاتبه الفقير مصطفى الخالدي

## النقد الخارجي:

(1) البيع البات: البيع القطعي ،انظر: مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت ،1302هـ مادة 117.

(2) غرش أسدي: نقود عثمانية، قيمة الغرش 40 بارة، وسمي كذلك لأن صورة الأسد مطبوعة عليه، انظر: عقل ، محمد، نقود إسلامية من فلسطين، إي- كتب، لندن، 2017م،ص83؛ وحدة نقد فضية أوروبية من أصل هولندي، وقد عرفت بالأسدي لأنها تحمل صورة الأسد وقد قامت الدولة العثمانية بضرب غرش أسدي على غرار الغرش الهولندي الأصل ، وكان ذلك في عهد السلطان مصطفى الثاني 1206هـ ، ويزن هذا القرش 25.75 غم، وهو بقطر 41ملم ، وكان القرش الأسدي من أكثر العملات تداولا في مدينة القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر انظر: المدني ، زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها 1800م –1830م ، منشورات بنك الأعمال ، عمّان ، 1996م، ص126.

(3) صاغ يقصد به ذهب.

(4) المرقوم: المذكور.

(5) وردت في الأصل: ذالك.

(6) وردت في الأصل: ذالك.

(7) وردت في الأصل: بريت. برئت تعني: براءة، استخدم هذا الاسم في الدولة العثمانية في التعبير عن الوثيقة التي يحرر بها أمر أو فرمان. انظر: اقطاش، نجاتي،بينارق، عصمت ، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي صالح، مطبعة شقير وعكشة(مطبعة كتابكم) ، عمان 1986م، ص466.

(8) المرقوم: المذكور.

(9) وردت في الأصل: البراة.

(10) البيع البات: البيع القطعي ،انظر: مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت ،1302هـ مادة 117.

(11) وردت في الأصل: ذالك.

(12) وردت في الأصل: ذالك.

(13)ضمان الدّرك في عهدة البيع، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (درك).

(14)وردت في الأصل ماتين.

1. المادة المكتوبة عليها الحجة:

الورق حجمه 70 سم × 30 سم.

2. المادة التي كتبت بها الحجة:

المداد الأزرق.

3. نوع الخط:

خط الرقعة الدارج.

4. طريقة إخراج صفحات الحجة:

تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج، يلاحظ كتابة الحجج بعضها تحت بعض مع فراغ بسيط بينها وبين الحجة التي تليها.

5. التوقيع على الحجة:

كتابة اسم الكاتب الشرعي في نهاية الحجة.

6. ما طبيعة الحجة الشرعية ونوعها؟

الحجة الشرعية اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضورأحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، تقوم الحجة بعرض معلومات عن عقد بيع مكتمل الشروط، وهو نص عقد بيع.

7. صفة الحجة وشكلها:

كتبت هذه الحجة في محكمة القدس الشرعية، بخط الكاتب الشرعي مصطفى الخالدي.

8. الظروف التاريخية للحجه:

كتب هذه الحجة في محكمة شرعية القدس، وذلك عندما كانت مدينة القدس تتبع للحكم المصري كغيرها من بلاد الشام.

9. القاضي الذي نظر في الحجة:

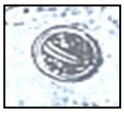

القاضي الشرعي السيد علي راتب وهذا ختمه

10. كاتب الحجة:

مصطفى الخالدي ويعمل موظف في محكمة شرعية القدس بتاريخ 1250هـ يقابلها بالميلادي1834م.

11. درجة اتصال الكاتب بالحجة:

اتصال مباشر بالحجة كتبت بخط يد الكاتب الشرعي لأغراض شرعية بحتة، وليست تاريخية بحيث تم استعراض القضية وحلها من قبل القاضي الشرعي في اليوم نفسه.

12. لمن موجهة هذه الحجة؟

كتبت الحجة لتحفظ في سجلات المحاكم الشرعية ليعود إليها القاضي الشرعي وقت الحاجة، وذلك لغرض إثبات الحجة على المتخاصمين وحلها بناء على ما جاء فيها من شروط وأحكام.

13. مصدر الحجة:

سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ- 1251هـ/1834م – 1835م)، ص45، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف القدس الشريف.

14. تاريخ الحجة:

وردت الحجة بالتاريخ الهجري في13 رجب سنة 1250هـ يقابلها بالميلادي 16 نوفمبر(تشرين الثاني) 1834م.

النقد الداخلي:

صحة الحجة:

الحجة صحيحة فقد وردت في سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ورقمها في الصفحة ص 45.

الصياغة والأسلوب التي كتبت بها الحجة:

كتب نص الحجة باللغة العربية، وقد جاءت لغة الحجة ركيكة وبنائها اللغوي غير متجانس كما نلحظ استخدام الكلمات العامية، وعدم جزالة الألفاظ. كما وردت بعض الكلمات والألفاظ العثمانية مثل: المرقوم: وتعني المذكور.

سلامة اللغة والاملاء:

يلاحظ في الحجة أنها كتبت بخط الرقعة الدارج، ولم تستخدم علامات الترقيم، وهمزة القطع، ووردت بها أخطاء إملائية مثل: ذلك وردت في الأصل ذالك، ومائتين وردت في الأصل ماتين.

موضوع الحجة:

الحجة الشرعية عبارة عن عقد بيع بين السيد نجيب ابن المرحوم السيد مصطفى المصري، والسيد أحمد بركات الدمشقي.

المصطلحات الواردة في الحجة:

- البيع البات: البيع القطعي.
- غرش أسدي: نقود عثمانية، قيمة الغرش 40 بارة وسمي كذلك لأن صورة الأسد مطبوعة عليه.
- القيراط: يساوي جزء من 24 جزء مقياس مساحة مصري.

تفاصيل الحجة:

- الحجة عبارة عن عقد بيع عقار.
- كتبت الحجة في ثلاثة عشر سطر.

- الحجة اكتملت فيها أركان عقد البيع، الصيغة، والعقدان، والمعقود عليه، فالصيغة تمثلت بالإيجاب والقبول من الطرفين، والعاقدان هما: البائع السيد أحمد بركات الدمشقي، والمشتري السيد نجيب ابن المرحوم السيد مصطفى المصري، والمعقود عليه: الدكان.
- مساحة الدكان قيراط ونصف قيراط وعشر ثمن قيراط من أصل ٢٤ قيراط.
- قيمة البيع مائة غرش وثلثين غرش أسدية ذهبية، وكان الغرش من النقود المتداولة في مدينة القدس ويساوي الغرش الصحيح 40 بارة، ورمزت الحجج الشرعية إليه وبخاصه حجج التركات.
- توضح الحجة تطور أسعار الأراضي والعقارات في حقبة معينة ومن مكان إلى آخر، وتفيدنا قراءة الوثائق المذكورة في تعرّف على صورة العقار المباع، حدوده وجيرانه وحالته العمرانية بيت أو أرض خالية أو دكان أو ما إلى ذلك من صور العقار، فيتضح من خلال هذه الحجة أن العقار المباع هو دكان، وموقعه القدس الشريف في شارع داود عليه السلام بسكن الزرق يحد الدكان من الشرق دكان سكن أولاد عبد الرحمن خنفس، ومن الغرب دكان أولاد حجيج، وشمالا الطريق.
- يتضح من الحجة العناصر الوافدة إلى مدينة القدس حيث تذكر الدمشقي، والمصري.

**الحجة الشرعية الثانية (حصر تركة المتوفى، وتقسيمها)[1]:**

**دفتر[2] يتضمن ضبط[3] بيع تركة المرحومة الحرمة[4] عائشة [5] بنت محمد شيقة[6] بالقدس المنحصر إرثها الشرعي في زوجها حسن العمودي بحق الربع، وفي والديها محمد شيقة، وحليمة بحق الثلث، وفي أولادها أحمد البالغ، وحسن، ودرويش القاصرين بحق الباقي انحصارا شرعيا، وذلك[7] بمعرفة الزوج الأصيل عن نفسه، وبمعرفة الابن أحمد الأصيل عن نفسه والولي على أخويه والوكيل عن جدته الأم المذكورة بشهادة الزوج، وبمعرفة المندوبين عن طرف الشرع الشريف.**

| التـــركـــة | | |
|---|---|---|
| لحاف أحمر كهنه[8] ١٦ | مخدة يمنى٣ 16,٢٠ | لحاف أحمر كهنه١ ١١,30 |
| عنتري زمام ١ ٣,٢٠ بارة | سبله ٥ 14 | شنتيان[9] وبشقة ٨ 6 |
| قميص وتقصيرة١ 15,20 | شبكان ازرق ٤ | عنتري عثمان ٦٥ |

(1) محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ/1835م،ص45.

(2)دفتر: مايكتب عليه من أوراق،حقي، سهيل صابان بن الشيخ ابراهيم،معجم الألفاظ العربية،2005م، ص99.

(3)ضبط الشيء حفظه بالحزم، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (ضَبَطَ).

(4)الحُرْمة: المرأَة ، انظر: إبراهيم أنيس، آخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، مادة (حَرَمَ).

(5) وردت في الأصل عايشه.

(6)وردت في الأصل: شيقه.

(7) وردت في الأصل: ذالك.

(8)أصلها فارسي ومعناها قديم جدا ويتم استخدامها في اللغة العامية المصرية بنفس المعنى.

(9) تلبسها المرأة تحت أثوابها الكثيرة المتهدلة، أما زيادة في الدفء، أو تغطية لساقيها عند رفع ثوب العمل، انظر: حمامي، حسن، الأزياء الشعبية وتقاليدها في سورية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1971م، ص189، سيشار إليه لاحقا، حمامي، الأزياء الشعبية؛ دوزي، رينهات، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات،2012م، ص211، سيشار إليه لاحقا، دوزي، المعجم المفصل.

| | | |
|---|---|---|
| عنتري شاش<br>9,30 | شروال [1] ديمه ومحرمة عدد ٣<br>٨,٢٠ | شرشف ابيض<br>٨,٣٠ |
| وجه بقجه وقميص٤<br>١٣ | بنود[2] وفوطه[3] ومست ٣<br>١٣،١٠ | قفه وعجش[4] مخده ٣<br>٣ |
| باطيه وصندوق ٣٠<br>١١,٣٠ | ايرنجكه 8<br>5 | المهر المؤجل<br>٣٧,٢٠ |
| قصطفان ذهب<br>١٥٠ | | |
| مجموع التركة | 415 | |

| خـارج المصـاريف | | |
|---|---|---|
| تجهيزوتكفين بناء قبر<br>١١٠ | ديالين وقهوة<br>١٤,٢٠ | رسم قسمة<br>10,10 |
| قيدية<br>1 | | |
| المجموع الكلي | 135,30 | |

(1 ) كلمة فارسية مشتقة من شلوار، وهو لباس الرجال والنساء في المدن والأرياف، انظر: حمامي، الأزياء الشعبية، ص139؛ دوزي، المعجم المفصل، ص182.

(2 ) تعني حزامًا، انظر: دوزي، المعجم المفصل، ص81.

(3 ) تعني المئزر الذي يشد حول الوسط، دوزي، المعجم المفصل، ص ص 301–304.

(4)عجش: الدَّقيق الطَّويل، انظر: ابن سيدة، أبو الحسن علي بن أسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م، في مادة (عَجَش).

| التقسيم بين الورثة | | |
|---|---|---|
| حصة الزوج<br>٦٩.60 غرش | حصة الأبوين<br>٩٣ غرش | حصة أحمد البالغ<br>38.60 بارة |
| حصة درويش القاصر<br>38.60 بارة | حصة حسن من القاصر<br>38.60 بارة | |

وقبض[1] الزوج ما خصه ارثا بيده مع الخرجة[2] بيده كما هو مشروع أعلاه، وقبض الابن أحمد ما خصه ارثا بيده كما هو مرقوم[3]، وقبض أيضا ما خص أخويه القاصرين حسب ولا يته عليهما بيده بالحضرة، وقبض أيضا ما خص جدته وجده بطريق الأمانة؛ لأجل أن يوصل لهم ذلك[4] في مدينة الرملة[5] كما هو مرقوم القبض الشرعي.

حررفي أواسط شهررجب الفرد سنة خمسين ومائتين[6] وألف . [1834/11/16م]

النقد الخارجي:

15. المادة المكتوبة عليها الحجة:

الورق حجمه 70 سم × 30 سم.

16. المادة التي كتبت بها الحجة:

المداد الأزرق.

17. نوع الخط:

خط الرقعة الدارج.

18. طريقة إخراج صفحات الحجة:

تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج، يلاحظ كتابة الحجج بعضها تحت بعض مع فراغ بسيط بينها وبين الحجة التي تليها.

---

(1)قبضت مالي قبضا أي جمعه، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (قَبَضَ).

(2)الخرْقة: القطعة من خرَقِ الثوب، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (خَرَقَ).

(3) المرقوم: المذكور.

(4) وردت في الأصل: ذالك.

(5) مدينة فلسطينة تقع على بعد 38 كم شمال غرب القدس، تقع الرملة على الطريق القديمة بين يافا والقدس على الإحداثيات التالية:

VIAF: 139666754LCCN: n88229650GND: 4226805-9BNF: cb159410908

(6)وردت في الأصل ماتين.

19. التوقيع على الحجة:

كتابة اسم الكاتب الشرعي في نهاية الحجة.

20. ما طبيعة الحجة الشرعية ونوعها؟

الحجة الشرعية اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضورأحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، تقوم الحجة بعرض معلومات تركة وتوزيعها بين الورثة.

21. صفة الحجة وشكلها:

كتبت هذه الحجة في محكمة القدس الشرعية.

22. الظروف التاريخية للحجه:

كتبت هذه الحجة في محكمة شرعية القدس، وذلك عندما كانت مدينة القدس تتبع للحكم المصري كغيرها من بلاد الشام.

23. القاضي الذي نظر في الحجة:

القاضي الشرعي السيد علي راتب وهذا ختمه

24. كاتب الحجة:

لم توضح الحجة الشرعية كاتب الحجة، وذلك يعد نادرة بين الحجج الشرعية الأخرى.

25. درجة اتصال الكاتب بالحجة:

اتصال مباشر بالحجة كتبت بخط يد الكاتب الشرعي لأغراض شرعية بحتة، وليست تاريخية بحيث تم استعراض القضية وحلها من قبل القاضي الشرعي في اليوم نفسه.

26. لمن موجهة هذه الحجة؟

كتبت الحجة لتحفظ في سجلات المحاكم الشرعية ليعود إليها القاضي الشرعي وقت الحاجة، وذلك لغرض إثبات الحجة على المتخاصمين وحلها بناء على ما جاء فيها من شروط وأحكام.

27. مصدر الحجة:

سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ- 1251هـ/1834م – 1835م)، ص45، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف القدس الشريف.

28. تاريخ الحجة:

وردت الحجة بالتاريخ الهجري في15 رجب سنة 1250هـ يقابلها بالميلادي 16 نوفمبر(تشرين الثاني) 1834م.

النقد الداخلي:

صحة الحجة:

الحجة صحيحة فقط وردت في سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ورقمها في الصفحة ص 45.

الصياغة والأسلوب التي كتبت بها الحجة:

كتب نص الحجة باللغة العربية، وقد جاءت لغة الحجة ركيكة وبنائها اللغوي غير متجانس كما نلحظ استخدام الكلمات العامية، وعدم جزالة الألفاظ. كما وردت بعض الكلمات والألفاظ العثمانية مثل: المرقوم: وتعني المذكور.

سلامة اللغة والاملاء:

يلاحظ في الحجة أنها كتبت بخط الرقعة الدارج، ولم تستخدم علامات الترقيم، وهمزة القطع، ووردت بها أخطاء إملائية مثل: ذلك وردت في الأصل ذالك، ومائتين وردت في الأصل ماتين.

موضوع الحجة:

الحجة الشرعية عبارة عن بيع تركة المرحومة الحرمة عائشة بنت محمد شيقة، وتوزيع التركة على مستحقيها، الزوج، والأبوين، و أبنائها.

ورموز الوثيقة:

- (ـــــ) تشير إلى ربع الغرش الأسدي وهي 10 بارات.
- ( ـــ ) تشير إلى نص الغرش الأسدي 20 بارة.
- ( ⇐ ) تشير إلى 30 بارة.

تفاصيل الحجة:

- الحجة عبارة عن تركة.
- كتبت الحجة في أربعة عشر سطر.
- الحجة وضحت التركة، والمصاريف، والتقسيم بين الورثة.
- قيمة التركة415 غرش .
- قيمة المصاريف 135,20 بارة.
- تقسيم الورثة :
  - ✓ الزوج 69 غرش.
  - ✓ الأبوين 93 غرش.
  - ✓ الابن أحمد البالغ38.30 بارة.
  - ✓ درويش القاصر38.30 بارة.
  - ✓ حسن القاصر38.30 بارة.

الحجة الشرعية الثالثة (عقد الزواج)[1]:

تزوج السيد[2] خميس الوعري بمخطوبته نفيسة بنت عمه الحاج محمد زعرور رعاف الوعري البكر الحاضر اصدقها صدقا مؤجلا قدره وبيانه مائتان غرشًا أسديًا صاغا ميريًا مؤجله لها عليه لأقرب أحد الأجلين زوجها له على ذلك والدها بالولاية عليها زواجا صحيحا شرعيا مقبولا من الطرفين القبول الشرعي حرر بتاريخ عاشر رمضان سنة خمسين ومائتين وألف. [1835/1/9م]

كاتبه الفقير الحاج اسد الخالدي

## النقد الخارجي:

1. المادة المكتوبة عليها الحجة:

   الورق حجمه 70 سم × 30 سم.

2. المادة التي كتبت بها الحجة:

   المداد الأزرق.

3. نوع الخط:

   خط الرقعة الدارج.

4. طريقة إخراج صفحات الحجة:

   تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج، يلاحظ كتابة الحجج بعضها تحت بعض مع فراغ بسيط بينها وبين الحجة التي تليها.

5. التوقيع على الحجة:

   كتابة اسم الكاتب الشرعي في نهاية الحجة.

6. ما طبيعة الحجة الشرعية ونوعها؟

7. الحجة الشرعية اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضور أحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، تقوم الحجة بعرض معلومات عن عقد قران.

8. صفة الحجة وشكلها:

---

(1) سجل شرعي، محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، ص64.

(2) السَّيِّد مؤنثه سيِّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).؛من الإلقاب السلطانية ، يقال: السلطان االسيد، انظر: بركات، الألقاب، ص213.

كتبت هذه الحجة في محكمة القدس الشرعية، بخط الكاتب الشرعي أسد الخالدي.

9. الظروف التاريخية للحجه:

كتب هذه الحجة في محكمة شرعية القدس، وذلك عندما كانت مدينة القدس تتبع للحكم المصري كغيرها من بلاد الشام.

10. القاضي الذي نظر في الحجة:

القاضي الشرعي السيد علي راتب وهذا ختمه

11. كاتب الحجة:

أسد الخالدي ويعمل موظف في محكمة شرعية القدس بتاريخ 1250هـ يقابلها بالميلادي1835م.

12. درجة اتصال الكاتب بالحجه:

اتصال مباشر بالحجة كتبت بخط يد الكاتب الشرعي لأغراض شرعية بحتة، وليست تاريخية بحيث تم استعراض القضية وحلها من قبل القاضي الشرعي في اليوم نفسه.

13. لمن موجهة هذه الحجة؟

كتبت الحجة لتحفظ في سجلات المحاكم الشرعية ليعود إليها القاضي الشرعي وقت الحاجة، وذلك لغرض إثبات الحجة على المتخاصمين وحلها بناء على ما جاء فيها من شروط وأحكام.

14. مصدر الحجة:

سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ- 1251هـ/1834م – 1835م)، ص64، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف أوقاف القدس الشريف.

15. تاريخ الحجة:

وردت الحجة بالتاريخ الهجري في10 رمضان سنة 1250هـ يقابلها بالميلادي 9 يناير(كانون الثاني) 1835م.

النقد الداخلي:

صحة الحجة:

الحجة صحيحة فقط وردت في سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ورقمها في الصفحة ص 64.

الصياغة والأسلوب التي كتبت بها الحجة:

كتب نص الحجة باللغة العربية، وقد جاءت لغة الحجة ركيكة وبنائها اللغوي غير متجانس كما نلحظ استخدام الكلمات العامية، وعدم جزالة الألفاظ. كما وردت بعض الكلمات والألفاظ العثمانية مثل: المرقوم: وتعني المذكور.

سلامة اللغة والاملاء:

يلاحظ في الحجة أنها كتبت بخط الرقعة الدارج، ولم تستخدم علامات الترقيم، وهمزة القطع، ووردت بها أخطاء إملائية مثل: ذلك وردت في الأصل ذالك، ومائتين وردت في الأصل ماتين.

موضوع الحجة:

الحجة الشرعية عبارة عن عقد زواج.

تفاصيل الحجة:

- الحجة عبارة عن عقد زواج.
- كتبت الحجة في أربعة أسطر.

الحجة الشرعية الرابعة (دعوى شرعية)[1]:

ادعى[2] السيد[3] بيك[4] عقل على ابن عمه السيد[5] يحيى بيك[6] عقل الحاضر معه بالمجلس الشرعي قائلا في دعواه عليه أن الحاكورة[7] الجارية في وقف المرحوم سيدي الشيخ سعد رضي الله تعالى عنه وقدس سره[8] العزيز التي بها ضريحه توليتها علي وعليك وهي في تصرفنا بها واطلب حقي في ذلك منك بالوجه الشرعي، سُئل المدعى عليه السيد[9] يحيى بيك سؤاله عن ذلك فأجاب، أن الحاكورة[10] المذكورة في تصرفي ومقررا في توليتها بموجب حجة شرعية مؤرخة في ١٢٤٨ و أبرز الحجة من يده بمجلس

---

(1) سجل شرعي، محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، ص66.

(2) زعم أنه له حقا أو باطلا، انظر: مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري،ط7، دار العلم للملايين،بيروت،1992م، في مادة (دَعَى).

(3)السَّيِّدُ مؤنثه سيّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).؛من الألقاب السلطانية ، يقال: السلطان السيد، انظر: بركات، الألقاب، ص213.

(4) حاكم ، أمير، والي، انظر: سامي، شمس الدين، قاموس تركي، مطبعة اقدام، استانبول، 1317هـ ،ص297.

(5)السَّيِّدُ مؤنثه سيّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).؛من الألقاب السلطانية ، يقال: السلطان االسيد، انظر: بركات، الألقاب، ، ص213.

(6)حاكم ، أمير، والي،انظر: سامي، شمس الدين، قاموس تركي، مطبعة اقدام، استانبول، 1317هـ ،ص297.

(7)أرض تُحْبَس لزرع الأشجار قُربَ الدُّور، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة(حَكَرَ).

(8)دعاء لميِّت بالرّحمة.

(9)السَّيِّدُ مؤنثه سيّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).؛من الإلقاب السلطانية ، يقال: السلطان االسيد، انظر: بركات، الألقاب، ، ص213.

(10)أرض تُحْبَس لزرع الأشجار قُربَ الدُّور، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة(حَكَرَ).

الشرع الشريف، فاذا هو مذكور فيها ان الحاكورة الجارية في وقف ولي الله تعالى الشيخ سعد رضي الله عنه التي بها قبره المعلومة الحدود هي في تصرف السيد يحيى بيك عقل من قديم الزمان بشهادة شهود مذكورون فيها، و إنه مقرر في توليتها فعند ذلك طلب مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي المؤمى[1] اليه من السيد يحيى بيك عقل بينة شرعية نشهد له على مضمونها فأحضر للشهادة وأدياها كل واحد من السيد مصطفى افندي[2] الخالدي والسيد مصطفى ياسين فشهدا بعد ان تشهدا على مضمونها فعند ذلك عرف جناب[3] سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي المؤمى اليه المدعى السيد أحمد بيك عقل بأنه لا حق له في الحاكورة المذكورة، وإنها في تصرف ابن عمه يحيى بيك ومنعه من التعرض لابن عمه تعريضا ومنعا صحيحين شرعيين .

حرر بتاريخ أواخر شهر شعبان المعظم الذي هو من شهور سنة خمسين ومائتين[4] وألف من هجرة من له العزة والشرف صلى الله عليه وسلم . [1834/12/30م]

كاتبه الفقير الحاج سعد الخالدي

النقد الخارجي:

1. المادة المكتوبة عليها الحجة:

الورق حجمه 70 سم × 30 سم.

2. المادة التي كتبت بها الحجة:

المداد الأزرق.

3. نوع الخط:

خط الرقعة الدارج.

4. طريقة إخراج صفحات الحجة:

---

(1) المشار إليه.

(2)أَفَنْدي : لقب تكريم ، أصله يوناني ،دخل التركية ، معناه السَّيِّد ،شاع في مصر منذ حكم الأَتراك ثم أُلغي، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في باب الهمزة؛ كلمة تركية تعني المولى والسيد والصاحب والمالك، أطلقه الأتراك العثمانيون على الأشخاص المتعلمين ، وأصبح لقبا لبعض كبار موظفي الدولة العثمانية انظر: الانسي، محمد علي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، 1318هـ 32؛ سليمان، أحمد السعيد، تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف ، مصر ، 1979م، ص ص 20–23.

(3)لقب احترام وتشريف يُستعمل في المراسلة أو المخاطبة بمعنى : صاحب السيادة ، صاحب السعادة ، ويُطلق على موظّفي الدولة جَناب.

(4) وردت في الأصل: ماتين.

تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج، يلاحظ كتابة الحجج بعضها تحت بعض مع فراغ بسيط بينها وبين الحجة التي تليها.

5. التوقيع على الحجة:

كُتِبَ اسم الكاتب الشرعي في نهاية الحجة.

6. ما طبيعة الحجة الشرعية ونوعها؟

الحجة الشرعية اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضورأحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، تقوم الحجة بعرض معلومات عن دعوى شرعية.

7. صفة الحجة وشكلها:

كتبت هذه الحجة في محكمة القدس الشرعية، بخط الكاتب الشرعي مصطفى الخالدي.

8. الظروف التاريخية للحجه:

كتب هذه الحجة في محكمة شرعية القدس، وذلك عندما كانت مدينة القدس تتبع للحكم المصري كغيرها من بلاد الشام.

9. القاضي الذي نظر في الحجة:

القاضي الشرعي السيد علي راتب وهذا ختمه

10. كاتب الحجة:

سعد الخالدي ويعمل موظف في محكمة شرعية القدس بتاريخ 1250هـ يقابلها بالميلادي1834م.

11. درجة اتصال الكاتب بالحجة:

اتصال مباشر بالحجة كتبت بخط يد الكاتب الشرعي لأغراض شرعية بحتة، وليست تاريخية بحيث تم استعراض القضية وحلها من قبل القاضي الشرعي في اليوم نفسه.

12. لمن موجهة هذه الحجة؟

كتبت الحجة لتحفظ في سجلات المحاكم الشرعية ليعود إليها القاضي الشرعي وقت الحاجة، وذلك لغرض إثبات الحجة على المتخاصمين وحلها بناء على ما جاء فيها من شروط وأحكام.

13. مصدر الحجة:

سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ- 1251هـ/1834م – 1835م) ،ص66، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف القدس الشريف.

14. تاريخ الحجة:

وردت الحجة بالتاريخ الهجري في29 شعبان سنة 1250هـ يقابلها بالميلادي 30 ديسمبر(كانون الأول) 1834م.

النقد الداخلي:

صحة الحجة:

الحجة صحيحة فقط وردت في سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319 ,ورقمها في الصفحة ص 66.

الصياغة والأسلوب التي كتبت بها الحجة:

كتب نص الحجة باللغة العربية، وقد جاءت لغة الحجة ركيكة وبنائها اللغوي غير متجانس كما نلحظ استخدام الكلمات العامية، وعدم جزالة الألفاظ. كما وردت بعض الكلمات والألفاظ العثمانية مثل: المرقوم: وتعني المذكور.

سلامة اللغة والاملاء:

يلاحظ في الحجة أنها كتبت بخط الرقعة الدارج، ولم تستخدم علامات الترقيم، وهمزة القطع، ووردت بها أخطاء إملائية مثل: ذلك وردت في الأصل ذالك، ومائتين وردت في الأصل ماتين.

موضوع الحجة:

الحجة الشرعية عبارة عن دعوى شرعية بين السيد بيك عقل و ابن عمه السيد يحيى بيك عقل.

المصطلحات الواردة في الحجة:

- الحاكورة: أرض تُحْبَس لزرع الأشجار قُربَ الدُّور.
- غرش أسدي: نقود عثمانية، قيمة الغرش 40 بارة وسمي كذلك لأن صورة الأسد مطبوعة عليه.
- القيراط: يساوي جزء من 24 جزء مقياس مساحة مصري.

تفاصيل الحجة:

- الحجة عبارة عن دعوى شرعية.
- كتبت الحجة في أربعة عشر سطر.
- الحجة انتهت بحل قضية الدعوى بعد الاطلاع على البينة الشرعية التي قدمها المدعى عليه.

الحجة الشرعية الخامسة (تعهد ) [1]:

(1 ) سجل شرعي، محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، ص66.

اشهد على نفسه السيد[1] يحي بيك[2] عقل زاده إنه من الآن وصاعدا قوله في المرورمن باب دار الغربي الملاصق الحاكورة[3] الشيخ سعد ولي الله وإنه ممنوع من الخروج الحاكورة المذكورة واشهد على نفسه ايضا إنه يسده بالأحجار والسبد[4] اشهادا شرعيا ثم اقرواشهد على نفسه أيضا أن الإسطبلين[5] الو اقعين سفلى الحاكورة المرقومة[6] الذي يفوه[7] بابهما شرقا الطريق وشمالا هابط قنطرة[8] خربه[9] وتمامه دار الباب سابقا والان بيد السيد سعيد حنكرة حق من حقوق حاكورة الشيخ سعد المفروغ بالنوايا[10] والنظر على حاكورة ولي الله الشيخ سعد للسيد محمود جلبي حطينه والان الإسطبلين[11] من حقوق وقف الشيخ سعد اشهادا و اقرارا شرعيا .

حررفي أواسط رمضان سنة خمسين ومائتين وألف . [1835/1/14م]

كاتبه الفقيرعبدالرحمن الشهابي

النقد الخارجي:

1. المادة المكتوبة عليها الحجة:

الورق حجمه 70 سم × 30 سم.

2. المادة التي كتبت بها الحجة:

المداد الأزرق.

3. نوع الخط:

خط الرقعة الدارج.

4. طريقة إخراج صفحات الحجة:

---

(1)السَّيِّدُ مؤنثه سيّدة لقبٌ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة (سَيَدَ).

(2)حاكم ، أمير، والي،انظر: سامي، شمس الدين، قاموس تركي، مطبعة اقدام، استانبول، 1317هـ ،ص297.

(3)أرض تُحْبَس لزرع الأشجار قُربَ الدُّور، انظر: إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط،،ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م، في مادة(حَكَرَ).

(4)السَّبَدُ : الوَبَر، ويقال بأَرض بني فلان أَسبادٌ أَي بقايا من نبت، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (سَبَدَ).

(5) وردت في الأصل: الاصطبلين. وتعني حظيرة تربى فيها الخيول.

(6)المرقومة بمعنى :المذكورة.

(7)يفوه بمعنى: يقابل.

(8)الجِسْر ، وما ارْتَفَعَ من البُنْيان ، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة (قنطر).

(9)الخَرابُ : ضِدُّ العُمْران، والخَرِبةُ : موضع الخَرابِ، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، في مادة(خَرَبَ).

(10)وردت في الأصل: النواية.

(11)وردت في الأصل: الاصطبلين.

تتضمن الصفحة عدة حجج تتراوح ما بين ثلاثة حجج وستة حجج، يلاحظ كتابة الحجج بعضها تحت بعض مع فراغ بسيط بينها وبين الحجة التي تليها.

5. التوقيع على الحجة:

كتابة اسم الكاتب الشرعي في نهاية الحجة.

6. ما طبيعة الحجة الشرعية ونوعها؟

الحجة الشرعية اسم أطلق على الوثيقة التي يتم تنظيمها في حضورأحد القضاة سواء كانت تحتوي حكمًا من الأحكام أو كانت بقصد تحديد حادثة حقوقية كالعقد أو الإقرار أو تعيين الوصي، تقوم الحجة بعرض معلومات عن تعهد بالالتزام بما حكم به القضاء الشرعي.

7. صفة الحجة وشكلها:

كتبت هذه الحجة في محكمة القدس الشرعية، بخط الكاتب الشرعي عبدالرحمن الشهابي.

8. الظروف التاريخية للحجه:

كتب هذه الحجة في محكمة شرعية القدس، وذلك عندما كانت مدينة القدس تتبع للحكم المصري كغيرها من بلاد الشام.

9. القاضي الذي نظر في الحجة:

القاضي الشرعي السيد علي راتب وهذا ختمه

10. كاتب الحجة:

عبد الرحمن الشهابي ويعمل موظف في محكمة شرعية القدس بتاريخ 1250هـ يقابلها بالميلادي1834م.

11. درجة اتصال الكاتب بالحجة:

اتصال مباشر بالحجة كتبت بخط يد الكاتب الشرعي لأغراض شرعية بحتة، وليست تاريخية بحيث تم استعراض القضية وحلها من قبل القاضي الشرعي في اليوم نفسه.

12. لمن موجهة هذه الحجة؟

كتبت الحجة لتحفظ في سجلات المحاكم الشرعية ليعود إليها القاضي الشرعي وقت الحاجة، وذلك لغرض إثبات الحجة على المتخاصمين وحلها بناء على ما جاء فيها من شروط وأحكام.

13. مصدر الحجة:

سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ويعود تاريخه (1250هـ- 1251هـ/1834م – 1835م)، ص66، وهو غير منشور ويحتفظ بنسخه منه على الميكروفيلم والنسخة الأصلية في أرشيف القدس الشريف.

14. تاريخ الحجة:

وردت الحجة بالتاريخ الهجري في13 رجب سنة 1250هـ يقابلها بالميلادي 14 يناير(كانون الثاني) 1835م.

النقد الداخلي:

صحة الحجة:

الحجة صحيحة فقط وردت في سجل محكمة القدس الشرعية رقم 319، ورقمها في الصفحة ص 66.

الصياغة والأسلوب التي كتبت بها الحجة:

كتب نص الحجة باللغة العربية، وقد جاءت لغة الحجة ركيكة وبنائها اللغوي غير متجانس كما نلحظ استخدام الكلمات العامية، وعدم جزالة الألفاظ. كما وردت بعض الكلمات والألفاظ العثمانية مثل: المرقوم: وتعني المذكور.

سلامة اللغة والاملاء:

يلاحظ في الحجة أنها كتبت بخط الرقعة الدارج، ولم تستخدم علامات الترقيم، وهمزة القطع، ووردت بها أخطاء إملائية مثل: ذلك وردت في الأصل ذالك، ومائتين وردت في الأصل ماتين.

موضوع الحجة:

الحجة الشرعية عبارة عن تعهد بالالتزام بما حكم به القضاء الشرعي.

تفاصيل الحجة:

- الحجة عبارة عن تعهد.
- كتبت الحجة في سبعة أسطر.

الخاتمة:

يتضح لنا مما تقدم أن حجج المحاكم الشرعية تعد من أهم المصادر، و أثراها في الحقبة العثمانية؛ ذلك لما قدمته من معلومات دقيقة وتفصيليه عن مختلف جوانب الحياة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والثقافية.

وقد كتبت معظم حجج محاكم القدس الشرعية باللغة العربية، ويوجد حجج كثيرة كتبت باللغة العثمانية، وهناك حجج باللغة العربية وجد فيها بعض الألفاظ والمفردات التركية، والمعلومات الواردة في حجج سجلات شرعية القدس متنوعة، مما يساعد الباحث على توظيفها في أكثر من اتجاه لخدمة بحثه ، فالسجل 319 والذي يعود تاريخه (1250هـ - 1251هـ /1834م – 1835م)، يضم بين دفتيه ما لا يقل عن أربعمائة حجة، ويتضح من خلال الصورة التفصيلية التي يقدمها هذا السجل أن الوثيقة أو الحجة هي خير تعبير عن حقيقة حياة الانسان الواقعية اليومية، مثل هذه الصورة الدقيقة والتفصيلية عجزت عن تقديمها المصادر التاريخية، كما أن هذا الكم من الحجج الشرعية تُسهم في توضيح مختلف جوانب الحياة لمجتمع مدينة القدس.

ويمكن القول إن تحقيق الحجج الشرعية تعد ركيزة أساسية يعتمد عليها الباحثين، لما توفره من معلومات غزيرة تغطي مختلف جوانب الحياة لمجتمع الدراسة، وتتميز هذه المعلومات بمصداقيتها ودقتها ونفاستها وتفردها عن غيرها من المعلومات الواردة في المصادر الأخرى. فمن خلال

المعلومات التي توفرها الحجج الشرعية يستطيع الباحث أن يجد الجانب العملي التطبيقي للتشريعات العثمانية.

وفي الختام يمكن القول إن هذه الدراسة محاولة علمية جادة لاستجلاء حجج شرعية لحقبة تاريخية مهمة من تاريخ القدس الحديث، وهي كذلك محاولة لتعديل الصورة المشوهة والمضطربة التي يحملها الناس في أذهانهم عن طبيعة الحكم العثماني في القرن التاسع العاشر.

المصادروالمراجع:


1. إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2004م.
2. إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار المعارف العربية، القاهرة، 2002م.
3. أقطاش، نجاتي، بنيارق، عصمت، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي صالح، منشورات الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إستانبول، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان،1986م.
4. الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، طبع في مطبعة جريدة بيروت، بيروت، 1318هـ.
5. بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2000م.
6. حقي، سهيل صابان بن الشيخ ابراهيم، معجم الألفاظ العربية،2005م.
7. حمامي، حسن، الأزياء الشعبية وتقاليدها في سورية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1971م.
8. دوزي، رينهات، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات،2012م.
9. رافق، عبد الكريم، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، دمشق،1985.
10. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، وزارة الارشاد والانباء، الكويت، 1984م.
11. الساحلي، خليل أوغلو، النقود في البلاد العربية في العهد العثماني، مجلة كلية الآداب، م2، أيار(مايو)1971م.
12. سامي، شمس الدين، قاموس تركي، إقدام مطبعه سي، درسعادت،1317هـ.
13. سلامة نعيمات، الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية، بحث منشور في كتاب: دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث، إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر، منشورات جامعة آل البيت، عمّان،1418هـ/ 1989 م.

14. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن أسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م.
15. شوكت، محمود، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة 1825م، ترجمة يوسف نعيسة، محمود عامر، دار طلاس، 1988م.
16. عقل، محمد، نقود إسلامية من فلسطين، إي- كتب، لندن، 2017م.
17. فريحة، انيس، معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية، منشورات الجامعة الأمريكية بيروت، 1947م.
18. مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت ،1302هـ.
19. محكمة القدس الشرعية، السجل رقم 319، 1250هـ - 1251هـ /1834م – 1835م.
20. محمد شعلان، نظم القياس الطولي والمساحية الإسلامية، مجلة دراسات تاريخية، العدد 73-74 آذار- حزيران 2001، كلية الآداب، جامعة دمشق.
21. محمود عطاالله، سجلات المحاكم الشرعية في القدس في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، دراسة تحليلية ، بحث منشور في كتاب : دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث ، إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر، منشورات جامعة آل البيت ،عمّان، 1418هـ / 1989 م.
22. المدني، زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها 1800م-1830م ، منشورات بنك الأعمال ، عمّان ، 1996م
23. مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري، ط7، دار العلم للملايين، بيروت،1992م.
24. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، لسان العرب المحيط، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، داربيروت، دارلسان العرب، بيروت،1970م.
25. هنتس، فالتر، المقاييس والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.
26. اليعقوب، محمد أحمد سليم، ناحية القدس الشريف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، 2ج، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، 1999م.
27. Atallah, Mahmud, The Architects in Jerusalem in the 10th-11th/16th-17th Centuries', in Sylvia Auld and Robert Hillenbrand (eds), Ottoman Jerusalem: The Living City, 1517- 1917, London 2000.
28. Bayerle, Gustav. Pashas, Begs, and Effendis: A Historical Dictionary of Titles and Terms in the Ottoman Empire. Istanbul, Isis Press, 1997.
29. Dagpınar, Aydın, Turkish-English / English-Turkish Proverbs and Idioms Dictionary, Minnetoglu Publishing, Istanbul 1982.
30. John E Mandville, The Jerusalem Sharia -records A supplement and complement to the central Ottoman Archives Studies on Palestine during the Ottoman period Jerusalem, 1975.
31. Red House, J.W. A Turkish and English Lexicon, Librairie, Du Liban, Berut, 1974.

# علماء الاصول في المشرق من خلال كتاب فهرست اللبلي الاندلسي ( ت 691هـ / 1291م )

الاستاذ المساعد الدكتوره آلآء حماد رجه/ جامعة بغداد/ كلية الاداب

## المقدمة

زخرت الدولة العربية الاسلامية بنتاجات علمية غزيرة ومتنوعة على يد جملة من المؤرخين والكتاب، فكان نصيب فن تراجم الرجال والسير الشخصية على اختلاف توجهاتها الدينية والسياسية والاقتصادية والادارية والفكرية والثقافية، فضلاً عن من اختص منهم في كتابة العلوم الطبيعية وعلوم الدين والفقه والاصول التي امتازبها العرب المسلمون في مدة حكمهم، فكان نصيب المؤرخين والمؤلفين الاندلسيين و افراً وغزيراً في تلك المجالات، وان كان منهم من جاد و ابدع لدرجة اصبح مؤلفه لا يمكننا الاستغناء عنه في توثيق بحوثنا في أي مجال من مجالات الحياة في الاندلس والتي نوهنا عنها اعلاه، ومنهم من اختص في مجال واحد دون غيره، والبعض منهم من اطال واسهب في ذكر معلومات تراجمه وشروحاته وموضوعاته، والبعض منهم اختصر واجاز ما دونه من معلومات.

وعلى هذا الاساس، نال كتاب ((الفهرست)) لاحمد بن يوسف الفهري اللبلي عناية واسعة واهتماماً واضحاً في معرفة علوم الاصول في اللغة والفقه والدين، لاسيما ان اللبلي سعي جاهداً في تضمين مؤلفه ((الفهرست)) سيروتراجم ومعلومات تخص شيوخه وشيوخ شيوخه، على خلاف ما ذكره في مقدمته البسيطة لكتابه، بانه سيقتصر على تدوين من اخذ عنهم علمي الاصول والفقه الديني، لكنه عند الشروع بكتابة مؤلفه، ثبت فيه سيرة شيوخه وشيوخ شيوخه وفق سلسلة ترجع بهم الى صاحب علم الاصول ابو الحسن الاشعري، وقد قصد اللبلي من ذلك ان شيوخه وشيوخ شيوخه وصولاً الى ابي الحسن الاشعري هم بمثابة شيوخاً له لانهم اساس العلوم التي استقاها من شيوخه في علمي الاصول والفقه الديني

وقد تكون هذه الفكرة هي مشكلة البحث من حيث التعرف على طبيعة كتاب ((الفهرست)) وما تضمنه من موضوعات تطرق اليها اثناء عرض سير شيوخه وتراجمه. وهنا يتبادر الى الذهن مجموعة من التساؤلات التي وجب الاجابة عنها في ثنايا البحث، منها: ما هو سبب تأليف اللبلي لمؤلفه ((الفهرست)) وهو المختص بتراجم شيوخه، وهو صاحب التصانيف في اللغة؟ وهل فعلاً ما ذكره اللبلي من معلومات في مؤلفه دلت على اختصاص شخصياته بعلوم الاصول والفقه؟ وهل كان اللبلي موفقاً في سوق الامثلة الدالة على ذلك؟ وهل نجح اللبلي في تغطية سير تراجمه؟ والى أي مدى؟ وما

طبيعة علاقة اللبلي بشيوخه؟ وهل كان اللبلي اشعرياً لدفاعه عن الاشعرية بقوة؟ ام لاقتناعه بصحة معتقدهم؟ وغيرها من التساؤلات.

فرضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة وثلاث محاوروخلاصة بالاستنتاجات التي توصل اليها البحث.

تضمنت المقدمة: لمحة موجزة عن اهمية موضوع البحث، وطبيعة كتابته، واهم التساؤلات والمشكلات التي سنحاول معالجتها في ثنايا متن البحث.

شمل المحور الاول: سيرة حياة ابو العباس اللبلي من حيث اسمه، ودراسته واهم الاماكن التي استقى منها علومه، واهم ما تركه من مؤلفات.

اما المحور الثاني: موارد ومنهج كتاب ((الفهرست)) من خلال عرض تحليلي و ابداء الرأي في الكتاب، واهم موارده التي استقى منها في عرض معلوماته، ومن ثم التطرق الى المنهج الذي سار عليه في تدوين تلك المعلومات.

في حين عالج المحور الثالث: سيرة علماء الاصول الذين تطرق اليه اللبلي في كتابه ((الفهرست)) من حيث علومهم وما اشتهروا به من صفات وما امتلكوه من علوم في المشرق.

## المحور الاول

## سيرة حياة ابو العباس اللبلي

### اولاً: اسمه وكنيته

هو احمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلي، ولد سنة 623هـ/ 1226م[1]، في مدينة لَبَلَة احدى مدن الاندلس[2]، واختلفت المصادر التي تناولت ترجمته في تحديد سنة مولده، فيرجعها

(1) الصفدي،صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/ 1362م)، بالوفيات،تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى،(دار احياء التراث العربي: بيروت،2000م)، ص192؛ مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم ( ت 1390هـ/ 1970م )، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد جنالي، ( دار الكتب العلمية: بيروت، 2002م )،ص284.

(2) الحميري،ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت897هـ/1491م)، الروض المعطار في خبر الاقطار،تعليف:ليفي بروفنسال،(در الجيل: بيروت،1988م) ص ص168-169.

ابن القاضي (ت960هـ/ 1025م) الى سنة 610هـ/ 1213م[1]، ويحددها ابن مخلوف سنة 613هـ/ 1216م[2]، و اتفقت المصادر على ان وفاته سنة 691هـ[3]

لصقت باللبلي كنيتان عرف بهما في حياته، الكنية الاولى (ابي العباس) التي ذكرها بنفسه بكثرة في صفحات كتابه ((فهرست اللبلي))[4]، وكتبه الاخرى[5]، وما يمكن ان نلحظه ان كنيته الثانية (ابا جعفر) ووردت في ((الفهرست)) مرات قليلة[6]، ولعل الامر راجع الى تفضيله الكنية الاولى لنفسه لكونها احب اليه، وما يلفت النظر ايضاً ان من تناول ترجمة اللبلي في كتب المؤرخين واصحاب التراجم سادت الاشارة فيها الى ان كنيته (ابي جعفر) ، على عكس ما ركز عليه في كتابه ((الفهرست)) ذاكراً بكثرة كنيته (ابي العباس) ، فجاء اسمة في ترجمتة عند الغبريني (ت 714هـ/ 1314م) : "ابو جعفر احمد ...."[7]، وعند الصفدي (ت 764هـ/ 1362م) بـ: "الاستاذ ابو جعفر اللبلي، احمد ... ابو جعفر الفهري اللبلي"[8]، وعند صاحب نفح الطيب بـ: "الشيخ الفقيه، ابو جعفر"[9]، لكن هذا لم يمنع بعضهم ذكر

(1) ابن القاضي،ابي العباس احمد بن محمد المكناسي ( ت 960هـ/ 1025م)، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال، تحق: محمد الاحمدي ابو النور، ( مكتبة دار التراث:القاهرة، 1971م )، جـ1، ص38.

(2) مخلوف، شجرة النور الزكية،،ص284.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات،ص192؛ابن مخلوف، شجرة النور الزكية،ص284؛ابن القاضي، درة الحجال،ص39.

(4) اللبلي،ابو جعفر احمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري (ت 691هـ/ 1291م)،فهرست اللبلي، تحق: ياسين يوسف عباس وعواد عبد ربه ابو زينه،(دار الغرب الاسلامي: 1988م )،ص ص24، 50، 66 وغيرها.

(5) لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح،تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سال،(جامعة ام القرى : الرياض،2011)،جـ1،ص1.

(6) المصدر نفسه، ص3.

(7) الغبريني،ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت 714هـ/ 1314م) تحق: عادل نويهض،(دار الافاق الجديدة: بيروت، 1979م)،ص345.

(8) الوافي بالوفيات ،جـ8،ص192.

(9) المقري، احمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1632م)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب،جـ2، تحق: احسان عباس،(دار صادر: بيروت، 1988م)، ص208.

كلا الكنيتين، فيقول صاحب الدراية عنه: "يكنى ابا العباس و ابا جعفر..."[1]، وعند المقري: "يكنى ابا العباس و ابا جعفر..."[2].

## ثانياً: علومه

اهتم اللبلي بدراسة العلوم الدينية والعربية المتنوعة على يد كبار المشايخ والعلماء في المشرق والمغرب، فمع بداية اهتمامه بمسيرته التعليمية، استقى علومه في مسقط رأسه بمدينة لبلة على يد شيخه يحي بن عبد الكريم الفندلاوي[3]، وتوجهت انظاره الى اشبيلية التي زخرت بالعلوم والاداب وكثرة العلماء في وقته، فدرس فيها على يد ابو علي عمر بن علي الشلوبين اشهر علماء اشبيلية، واصبح من المقربين اليه، و ابي الحسن ابن الدباج[4]، لكن مكوثه لم يستمر في اشبيلية مع تدهور اوضاع المدن الاندلسية وسقوطها الواحدة تلو الاخرى بيد الاسبان، فرحل الى سبته ليتخذها مقاماً له، فنهل من علومها على يد شيخه محمد بن عبد الله الازدي و ابي عبد الله العبسي وعبد الرحمن بن رحمون ومحمد ابن السراج، وللاستزادة من العلوم انتقل الى بجاية ليدرس على يد الشيخ ابن السراج الاشبيلي[5]، وفي تونس عن الشيخ الفقيه المقرئ ابي العباس الحميري البلاطي الذي درس على يده كتاب (التيسير) لابي عمرو الداني[6].

بعد ان حصل اللبلي على علوم علماء بلاد المغرب، قرر السفر الى الاسكندرية ليدرس على يد شرف الدين عبد الله بن يحيى الفهري التلمساني وفي القاهره على يد محمد بن خيرة[7]، و اكمل علومه في بلاد الشام بدمشق على يد الشرف الاربلي وشمس الدين الخسروشاهي[8]

اشتهر اللبلي بعلومه المتنوعة التي دونها في كتبه التي الفها، فعنو اناتها فيها اشارة ودليل على طبيعة معارف وعلوم صاحبها وتنوعها، ونتاجه المتنوع هو انعكاس لما استقاه من علوم على يد مختلف

---

(1) الغبريني، ص345.

(2) نفح الطيب،جـ2،ص208.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات،جـ8،ص192؛ المقري،نفح الطيب،جـ2،ص14.

(4) الصفدي،الوافي بالوفيات،جـ8،ص192.

(5) اللبلي،فهرست اللبلي،ص7.

(6) المقري،نفح الطيب،جـ2،ص14.

(7) ابن رشيد،ابي عبدالله محمد بن عمر الفهري السبتي(ت721هـ/1324م)،ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة،(تونس:الدار التونسية للنشر،1982)،جـ1، ص211.

(8) الصفدي،الوافي بالوفيا،جـ8،ص192.

العلماء والمشـــايخ في المغرب والمشـــرق[1]. ويمكننا ان نلحظ ذلك من خلال معرفة اهم علمائه والعلوم التي درسها على ايديهم، وموضوعات واختصاصات كتبه التي الفها، فجاءت كلمات المؤرخين واصحاب التراجم بصـــيغة دالة على تنوع علمه، فوصـــفه مخلوف: "الاســـتاذ المتفنن النحوي التاريخي اللغوي المحقق المتقن"[2]، و: "شهاب الدين ابو جعفر... النحوي ..."[3]، وذكره ابن رشيد انه: "الاستاذ المقرئ اللغوي النحوي المتفنن"[4]، ويقول المقري فيه: "كان يتبسط لاقراء سائركتب العربية، وله علم جليل باللغة، وله تواليف كثيرة ..."[5]، وفي موقع اخر ذكر الغيرني: "كان له علماً بالعربية وكان يتبسط لاقراء كتبها، وله علم باللغة وتأليف كثيرة ... وهو من اســـاتيذ افريقية"[6]، وقال ايضـــا: "الشـــيخ الفقيه النحوي الاستاذ اللغوي التاريخي"[7].

وفي سياق الرد على ما قاله ابو العباس الغبريني بأن اللبلي لم يستفد من علماء المشرق لكونه ذهب الى المشرق بعد حصوله على الاستاذية واكتفى بما لديه من علوم، يمكننا القول اولاً، ان العلم لايقف عند حد معين او شهادة او درجة معينة ، لا سيما ان سمة العلماء البحث والتقصي للاستزادة من العلوم والمعارف حتى اخررمق لديهم، وهذا ما لمسناه في ثنايا كتاب اللبلي ((الفهرست)) بان اللبلي بعد اخذه الاستاذية وجلوسه في تدريس التلاميذ يتوجه بعد قضاء مجلسه الى مجلس الشيخ ابن السكاك النحوي ليدرس على يديه علم النحو[8]، ووقفنا على مثلاً اخربهذا الصدد بان اللبلي كان يدرس على يد شيخه العزابن عبد السلام، وبذات الوقت درس العزابن عبد السلام على يد اللبلي بعض دروس اللغة بقرأة كتابه (بغية الامال في معرفة النظربجميع مستقبلات الافعال)، الذي قال فيه: " فاستجاده واستحسنه واطنب في وصفه وسمعه علي، وكذلك سمع علي ... الفصيح المسمى تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح"[9]، وثانياً، في كتاب (الفهرست) الذي دون بلسان اللبلي وقفنا على اكثرمن رد على كلام ابو العباس الغبريني، فالجملة الاولى في مقدمته التي ذكرفيها سبب تاليفه الكتاب جاء فيها"الذين

(1) ينظر:ابن رشيد،ملء العيبه فيما جمع بطول الغيبة،جـ1،ص ص208–220.

(2) شجرة النور الزكية،جـ1،ص284.

(3) حاجي خليفة،كشف الظنون،ص510.

(4) ابن رشد،ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة،ص208.

(5) نفح الطيب،2،ص208.

(6) عنوان الدراية،ص345.

(7) المصدر نفسه.

(8) فهرست اللبلي،ص 129.

(9) المصدر نفسه، ص132.

اخذت عنهم في البلاد المشرقية والمغربية علم الاصول"[1] والاشارة الاخيرة في ختام مؤلفه قال: "ولنقتصر على ذكر من اخذت عنه على ذكر هؤلاء الائمة والا فقد اخذت عن غيرهم شرقاً وغرباً"[2]، وما بين الصفحة الاولى والاخيرة امثلة متعددة بهذا الشأن منها ما قاله اللبلي "قرأت عليه[الخسروشاهي] وسمعت بالقاهرة وبدمشق[3]، وغيرها كثير.

## ثالثاً: مؤلفاته

ترك احمد بن يوسف الفهري اللبلي ارثاً علمياً غزيراً تمثل بجملة من المصنفات المختصة باللغة والنحو، فضلاً عن مصنفات في موضوعات اخرى مختلفة، لكن ما لمسناه او وقعت ايدينا عليه من خلال كتابه ((الفهرست)) واشار اليها بصراحة هي:

1- كتاب (وشي الحلل في شرح ابيات الجمل) ، الذي وضع بمجلدين قال عنه اللبلي بانه كتاب له فوائد كبيرة " لم يؤلف في حسن ترتيبه وجمعه مثله"[4]، الذي اختص بشرح ابيات الجمل[5]، وما يثبت اهميته ومكانته ان استاذه العز ابن عبد السلام كلما دخل عليه اللبلي يقطع ما بيده من درس ويطلب من اللبلي قرأة شرح تلك الابيات[6]، وذكر مخلوف وغيره ان اللبلي اهداه الى الامير المستنصر بالله الحفصي سنة 675هـ، الذي رفعه الى احد الاساتذة لقرأته ومعرفة مو اقع الخلل فيه، فاشار الاخير سراً للبلي لتصحيح ما صوبه فصححه[7]، وتم تحقيقه بمجلدين من قبل احمد محمد عبد الرحمن الجندي عام 2016[8] .

2- كتاب (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح)، الذي اشار اليه اللبلي اختصاراً (الفصيح)، ولاهميته درسه استاذه العز ابن عبد السلام بقرأة ابنه الفقيه ابي محمد عبد اللطيف[9]، واشار اليه مخلوف باسم (لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب

---

(1) المصدر نفسه، ص21.

(2) المصدر نفسه، ص134.

(3) فهرست اللبلي ، ص123.

(4) المصدر نفسه ،ص133.

(5) المصدر نفسه، ص133.

(6) المصدر نفسه، ص132-133.

(7) شجرة النور الزكية، ص284؛المقري، نفح الطيب،ج2،ص208.

(8) وشي الحلل في شرح ابيات الجمل،تحقيق:احمد محمد عبد الرحمن الجندي،(دار الضياء للنشر والتوزيع: الكويت، 2011).

(9) فهرست اللبلي، ص132.

الفصيح)[1]، وذكره الصفدي بـ: (الفصيح)[2]، وهو ما ذكره اللبلي اعلاه. ويبدو انه كتاب كبير تم اختصاره لذلك قال عنه ابن رشيد له" شرح كبير المستوعب للفصيح، واختصاره"[3]، ووصفه الحنائي: "وهو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه وغزارة فوائده ومنه يعلم فضل الرجل الذي الفه وبراعته"[4]. وتم تحقيق الكتاب بجزأين باسم (لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) من قبل مصطفى عبد الحفيظ عثمان عام 2011[5].

3- كتاب (بغية الامال في معرفة النظر بجميع مستقبلات الافعال)[6]، الذي الفه اللبلي بناءاً على طلب استاذه العز ابن عبد السلام بعد ان وجد فيه ما يتوسم خيراً في اللغة ، فدرسه على يديه فقال اللبلي"فصنفت له الكتاب المسمى بغية الامال في معرفة النظر بجميع مستقبلات الافعال الذي لم يؤلف في فنه مثله، فاستجاده واستحسنه واطنب في وصفه"[7]، وهو نفسه الذي اشار اليه الصفدي باسم (مستقبلات الافعال)[8]،.

4- كتاب (رفع التلبيس عن حقيقة التجنيس) الذي اشار اليه ابن مخلوف باسم (رفع التلبيس عن معرفة التجنيس)[9]، بينما اطلق عليه المقري(التجنيس)[10].

5- كتاب (العقيدة الفهرية)[11]، وذكر الصفدي ان للبلي: "عقيدة صغيرة"[12]، وجاء على لسان احد تلاميذ اللبلي انه درس العقيدة على يد اللبلي " في جامع رجا قائلاً: "فلقيته يوما بالجامع

---

(1) شجرة النور الزكية، ص284

(2) الوافي بالوفيات،ج8، ص192

(3) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، ص213.

(4) نقلا عن حاجي خليفة،مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي(ت1076هـ/1657م)،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،تحق:محمد شرف الدين،(دار احياء التراث العربي:بيروت، ) ،ص510.

(5) اللبلي،لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح.

(6) مخلوف، شجرة النور الزكية،ص284؛اللبلي،فهرست اللبلي،ص132.

(7) اللبلي،فهرست اللبلي،ص132،ابن رشيد،ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة ،ص213.

(8) الوافي بالوفيات، ج8، ص192.

(9) شجرة النور الزكية،ص284.

(10) نفح الطيب،ج2،ص208.

(11) مخلوف،شجرة النور الزكية،ص284.

(12) الوافي بالوفيات،ج8،ص192. ينظر نص العثيدة في ابي القاسم بن احمد البلوي التونسي البرزلي (ت824ه/1438م)، البرزلي، ابو القاسم احمد بن احمد البلوي التونسي (ت 814هـ/ 1428م)،فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين وللحكام،تحقيق:محمد الحبيب الهيلة،(دار الغرب الاسلامي: بيروت، 2002م)،جـ2،ص ص361-362.

الاعظم وذلك في اوائل شهر ربيع الاخر من عام ستة وثمانين وستمائة فاسمعني من لفظه وحفظه العقيدة التي سماها العقيدة الفهرية في الاعتقادات السنية"[1]، وعرفت باسم"عقيدة المؤمن في علم الكلام[2]، وقال صاحب درة الحجال: "وله عقيدة صغيرة في اصول الدين"[3]، وذكرها الغبريني: " وله عقيدة في علم الكلام"[4].

6-كتاب (الفهرست) الذي ذكره اصحاب التراجم بتسميات متعددة منها"وجمع مشيخته"[5]، و"له فهرست"[6]، وقال عنه ابن رشيد: " وله فهرست جمع فيها اسمعته وقفت على اكثر...وقد علقت منها نبذاً واسانيد شيوخه لايوجد اكثرها بهذه البلاد المغربية[7].

7-كتاب في التصريف، قال عنه السيوطي:"انه يضاهي به الممتع"[8]، وقال عنه ابن رشيد انه: " ضاهى به كتاب الاستاذ ابي الحسن ابن عصفور"[9].

8-كتاب (الاعلام بحدود قواعد الكلام في المنطق)[10]، وذكره الغبريني ان اللبلي تناول فيه الاسم والفعل والحرف[11].

9-كتاب (تاليف في الاذكار)[12]، وذكره الغبريني: "ورأيت له تأليفاً في الاذكار"[13]، وذكره ابن القاضي له"تسبيح صغير"[14].

---

(1) ابن رشيد،ملء العيبو بما جمع بطول الغيبة،ص213.

(2) البغدادي، اسماعيل بن محمد امين بن مير سليم الباباني(1399هـ/ 1978م)، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين،(دار احياء التراث العربي:بيروت،1951م)،ص623.

(3) ابن القاضي،ص39

(4) عنوان الدراية، 345.

(5) الصفدي، الوافي بالوفيات،ج8،ص192.

(6) مخلوف، شجرة النور الزكية،ص184.

(7) ابن رشيد،ملء العيبة بما جمع بطزل الغيبة، ص213.

(8) ابن جابر،شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي(ت749هـ/)،برنامج ابن جابر الوادي آشي،تحقيق:محمد الحبيب الهيله،(تونس:1981)،،ص283.

(9) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة،ص213.

(10) البغدادي،هدية العارفين،ص623؛ ابن القاضي ،درة الحجال، ص39.

(11) عنوان الدراية،ص346.

(12) مخلوف،ص284

(13) عنوان الدراية، ص345.

(14) درة الحجال،ص39.

10- كتاب (تقييد في النحو)[1].

11- كتاب (الكرم والصفح والغفران والعفو)[2].

## المحور الثاني
## موارد ومنهج كتاب ((الفهرست))

### اولا: عرض وتحليل كتاب ((الفهرست))

امتازكتاب ((الفهرست)) بصغرحجمه من حيث عدد صفحاته مقارنةً مع الكتب والتصانيف التي وضعها علماء عصره ومن سبقه ومن تلاه، فلم تتجاوز صفحاته مئة وثلاث وثلاثون صفحة، لكنها شملت فائدة كبيرة لتطرقه الى سيرة مجموعة من علماء المسلمين، لا سيما من ذوي المذهب الاشعري، فثبت عنهم الرو ايات الدالة على توجهاتهم ومدى اهتمامهم بدراسة وتدريس العلوم، وما تحلوا به من اخلاق حميدة، وكان دقيقاً في تحديد الاطارالزمني والمكاني لمادة كتابه، فحدد البدايات بذكرسيرة الامام ابو الحسن الاشعري، الذي اتبعه اهل الحديث والفقه من اهل السنة والجماعة[3]، وصولاً الى زمنه، اما الاطار المكاني فقد شمل ما شهدته بلاد المشرق من العلوم، ولا سيما في نيسابورو والعراق مقر اكثر تراجم علمائه[4].

لم يكن اختيار اللبلي لتراجم رجاله وما اشتهروا به من علوم انتقائياً ولا عشو ائياً بقدرما كان قائماً الاختيار على من قرأ عنه من اساتذته وبعض مؤلفاتهم، وما يلفت النظر، ان اللبلي حدد شخصيات كتابه بسير اساتذته وشيوخه في المشرق والمغرب، لكن ما وجدناه انه اهمل ذكرشيوخه في المغرب تماماً ، فلم يفرد لاي واحد منهم أي ترجمة، و اقتصرت تراجمه على شيوخه في المشرق ومن اخذوا عنهم علم الاصول والفقه وصولاً الى ابي الحسن الاشعري[5]، فهو عادةً ما اورد عبارات دالة على امتلاك صاحب الترجمة لمؤلفات وتصانيف كثيرة، فعند ذكره للامام المقترح قائلاً " له تصانيف الحسنة والتواليف

(1) المصدر نفسه.

(2) ابن جابر الوادي اشي،برنامج ابن جابر،ص283.

(3) فهرست اللبلي،ص74.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص ص23-134.

(5) المصدر نفسه، 20-21.

المستحسنة"[1]، وان ذكر البعض منها فقط. وبترجمة استاذه شرف الدين ابن التلمساني قال" له التصانيف النفيسة، والتواليف المفيدة في الاصول والفروع وغيرها"[2] .

مع ما اشتهر به اللبلي من معرفة واسعة ومتنوعة وسعيه وراء العلم في المشرق والمغرب، فضلاً عن ان سبب تأليفه كتابه ((الفهرست)) بناء على طلب من العلماء والتلاميذ، بمعنى ان تأليفه معلوم ومخطط له مسبقاً، لكننا وجدنا في ذكره لبعض العلماء ما فيه من الاختصار لدرجة لا يذكر غير اسم العالم كما في سيرة الخطيب الرازي قائلاً: "فلم يثبت لدي من اخباره الا ما اثبته منها"[3]، وفي هذا الامر وجهان، الوجه الاول رغم اهتمام اللبلي بشيوخه وعلماء الاشعرية لكنه اخفق في مو افرة المعلومات عن بعضهم، فنعده قصوراً في جهود المؤلف لعدم قدرته على المتابعة او الاستقصاء على مزيد من المعلومات مكتفياً بما لديه من معلومات وموارد، وقد يرجع السبب في ذلك الى احتمالية تسرع اللبلي في تدوين معلومات كتابه تلبيةً للمطالب التي دعته الى تأليفه اوكان معد له مسبقاً، فقال عند تلبية طلب العلماء في وضع مؤلفه"وسارعت الى امتثال مرغوبهم ... واذكر ما حضرني من معرفة وفاتهم وولادتهم"[4]. إذ اكتفى بما لديه من معلومات قد سمعها من اساتذته وما شهده على ايديهم عندما كان طالباً للعلم، فبقت تلك المعلومات محفوظة في ذاكرته، فضلاً عن عدم الاجادة والاستزادة ببذل الجهود للحصول على الموارد المتطرقة الى سير شخصياته، واكتفى بما وقع تحت يده، لذلك وجدناه معتمداً بالدرجة الاساس على مصدرين هما كتاب الخطيب البغدادي ( ت463هـ/ 1072م ) (تاريخ بغداد)[5]، وكتاب ابن عساكر ( ت 571هـ/ 1175م ) (تبيين الكذب)[6] . وبطبيعة الحال هذا لا يعفي اللبلي من القصور لانه عالماً بالاصول واللغة والنحو، فضلاً عن انه تاريخي، اي باحث في حوادث التاريخ ومتتبعاً لها. وعلى الرغم من ان اللبلي حدد في مقدمته المنهج الذي قرر اتباعه في تدوين معلومات شيوخه، لم يكن تطبيقه له دقيقاً او على نسق واحد، فنجده في سيرة بعضهم يسهب بذكر الروايات المتعلقة باخبار تلك الشخصيات، وفي بعضها لا يكلف نفسه سوى ذكر معلومات بسيطة، بل لجأ الى الاختصار مع تو افر

(1) المصدر نفسه، ص28.

(2) المصدر نفسه،ص ص24–25.

(3) المصدر نفسه، ص129.

(4) المصدر نفسه، ص22.

(5) البغدادي،ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن مهدي،تاريخ بغداد،(دار الغربالاسلامي:بيروت،2001م).

(6) ابن عساكر،ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،تبين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري،تحق:محمد زاهد الكوثري،(دار الكتاب العربي،بيروت،2010م).

المعلومات لديه عنها، ولا يذكر سنوات الولادة والوفاة في بعض التراجم[1]، لكن ما اهتم به بعناية تتبع اسانيد مصادر معلوماته وصولاً الى قائلها[2].

لم يعنى اللبلي في كتابة مقدمة لمؤلفه ((الفهرست)) الذي اكتفى باستفتاح كتابه بالتسمية والصلاة على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وحمد الله تبارك وتعالى على ما انعم عليه من نعمة العلم ومو افرة المعلومات لديه[3]، وبين سبب تأليفه كتاب ((الفهرست)) بناءاً على طلب جلة من العلماء الاجلاء والطلبة لوضع مؤلف يشتمل على شيوخه واهم العلوم التي اخذها عنهم، فاستجاب اللبلي لطلبهم خدمة للعلم واهله،فحدد موضوعات مؤلفه بتناول سيرة شيوخه الذين اخذ عنهم علم الاصول وغيرها من العلوم الدينية في البلاد المغربية والمشرقية، والتأكيد على اهم التصانيف التي اخذ منها عنهم، سواء عن طريق السماع ام القرأة ام الاجازة، مؤكداً على حرصه في تتبع اسانيد اصحاب تلك التصانيف والروايات "موصولاً اسانيدها باصحاب التصانيف وارباب المذاهب والتواليف"[4]، وحدد ايضاً في مقدمته البسيطة طبيعة المعلومات التي تناولها في سيرة كل من شخصيات مؤلفه بذكر اسمائهم وصفاتهم الحسنة وسنوات ولادتهم ووفاتهم[5].

ويبدو ان اللبلي مقتنعاً تماماً بان علوم الاصول والفقه التي اخذها من علمائه اساسها في الاسناد الامام ابو الحسن الاشعري، لذلك ابتدأ تراجمه بذكر سيرة استاذه شرف الدين بن التلمساني وصولاً الى ابي الحسن الاشعري وما بينهما سلسلة لاولئك الاساتذة[6]، قائلاً: " فعلى هؤلاء الائمة ... اخذ علم اصول الدين وها انا اذكرهم بحول الله تعالى وقوته اماماً اماماً وعالماً عالماً واحداً اثرواحد على النسق الذي ذكرناه والترتيب الذي نظمناه"[7]. لم يتقيد في ما ذكره بمقدمته بتناول مؤلفه شيوخه واصحاب التصانيف التي اخذها عنهم والتي حددها بتسعة شخصيات، لكن مولفه شمل على عشرين شخصية، ويبدو ان اللبلي قد كان غافلاً وناسياً بعض من اخذ عنهم، و اثناء تدوين معلومات مؤلفه استذكرهم في

(1) فهرست اللبلي،ص ص 27–29.

(2) المصدر نفسه،ص 121.

(3) المصدر نفسه ،ص 21.

(4) المصدر نفسه، ص ص21–22.

(5) المصدر نفسه،ص 22.

(6) المصدر نفسه، ص ص23–114.

(7) فهرست اللبلي، ص22–23.

اثناء ترجمته لسيرة بعض شخصياته بقطع الترجمة والبدء بذكر ترجمة شخصية اخرى، ومن ثم يرجع لاستكمال اخبار الترجمة الاولى[1].

عند قرأة صفحات الكتاب "الفهرست" يلفت النظر الى مسألة واضحة، وهي اهتمامه بذكر اسماء العلماء وتصانيفهم في العلوم كافة، وهي كثيرة، والابرز في ذلك تتبعه لاسانيد معلوماته، لكن نجده في تراجم اخرى يشير عموماً الى امتلاك صاحب الترجمة لعدد كبير من التصانيف من دون ذكر اسماءها او ذكر النزر اليسير منها[2].

ما يلفت النظر ايضاً، ان الجزء الاكبر من صفحات كتاب ((الفهرست)) قرابة ثلثه خصصه في الرد على مزاعم واراء ابن حزم الاندلسي، الذي عده خارجاً عن الدين، ضد ابو الحسن الاشعري ومذهبه في الفقه، فحاول في تلك الصفحات دحض التهم التي قذف بها ابو الحسن الاشعري، ومنتقداً كل من عارضه او اعاب عليه، وعلى رأسهم ابن حزم الاندلسي و الحسن بن علي الاهوازي و ابو نصر عبيدالله بن سعيد السجزي، فضلاً عن ذكر سيرته وارائه ومؤلفاته واصحابه و اثره في علماء الاصول في عصره الى ايام اللبلي، و انه نال تلك المنزلة"لحسن تصانيفه وصحة مذهبه واعتقاده"[3]، ومعللاً اسباب تهجم ابن حزم وغيره على مذهب ابو الاشعرية " لقصور معرفته لعلومهم وكونه غير بصير بشيء من كلامهم، لانه انما قرأ كتبهم وحده"[4].

## ثانياً: موارده

### 1-القرآن الكريم

استشهد اللبلي بالايات القرآنية في سياق كلامه عن سيرة العلماء والاحداث التي تناولها في سياق تدوين معلوماته وفق ما ارتأه مناسباً ويخدم النص والمعلومة، وان كان استشهاده قليلاً، لكن استشهاداته مناسبة في سياق الحدث الذي تناوله، فعند رده على اقاويل ابن حزم الاندلسي بان الله يمكنه ان يكذب ويظلم ولا يعدل ويتخذ لنفسه زوجة وولد استشهد بقول الله تبارك وتعالى: "فكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الارض وتخر الجبال هدا،ان دعوا للرحمن ولدا،وماينبغي

(1) المصدر نفسه، ص92.

(2) المصدر نفسه، ص133.

(3) المصدر نفسه، ص74.

(4) المصدر نفسه، ص83.

للرحمن ان يتخذ ولدا"[1]. وعن ما ارد اللبلي تأكيد حب الله تبارك وتعالى لقوم ابي موسى الاشعري لما تمتعوا به من علو الخلق، ذكر بلسان الله جل جلاله: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"[2]، المقصود بهم الاشعرية، وعند محاولته اثبات ان الله موجود قبل خلق أي شيء"وكان عرشه على الماء"[3].

اما استشهاده بالحديث النبوي الشريف كان مختصراً وعادةً ما يلازم ذكره للايات القرآنية في سياق كلامه، فضرب بالحديث الذي جاء فيه"اذا لم تستحي فاصنع ما شئت" مثلاًلوصف ابن حزم وعلمه الذي اوصله في تخطأة اعلام الائمة والتعرض لاعراضهم[4]، واضاف تأكيداً على منزلة الاشعرية عند الله بعد ذكره الاية القرآنية السابقة الذكر فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "هم قوم هذا" مشيراً الى ابي موسى الاشعري[5].

2-الرواية الشفاهية

غطت الرواية الشفاهية حيزاً كبيراً من موارد اللبلي، فلا يكاد احد تراجمه يخلو من هذا المصدر، لا سيما ان الرواية الشفاهية برزت من بين مصادر كتلبات الاوائل من المؤرخين العرب والمسلمين، وانها ما زالت الى يومنا هذا، إذ تعد احد موارد البحث والتقصي عن الحقائق، إذ ان ظهورالتدوين و انتشاره رغم اهميته وحلوله المقام الاول في اغناء الباحثين بالمعلومات التي يحتاجونها، لكنه لم يبلغ ما يمكن التعرف عليه من معلومات من افواه اصحابها او من عاصر تلك الاحداث، لاسيما اذا علمنا ان بعض الاحداث بقت غامضة لم يدون عنها ما يشفي الصدور ويكشف الحقائق او يسلط الضوء عليها، او الاحداث التي لم يعاصرها المؤلف فيسمعها من غيره من المقربين الى شخصيات تراجمه، وهذا ما نلحظه عند كلامه عن ابو حامد الغزالي قائلاً" فهو على ما اخبرنا به الامام عزالدين بن عبد السلام"[6]، وفيما يخص الشخصية نفسها قال" واخبرني ايضاً بالقاهرة الحافظ المحدث عبد العظيم بن عبد القوي المنذري"[7]، زفي شأن فضل الامام الجويني على ابن ابو المعالي قال" وهو ما اخبرنا به الامام عزالدين بن

(1) سورة مريم، الايات:91–92؛ فهرست اللبلي، ص87.

(2) سورة المائدة، الاية:54،المصدر نفسه، ص85.

(3) سورة هود،الاية:7،المصدر نفسه،ص 102.

(4) فهرست اللبلي، ص86.

(5) المصدر نفسه، ص100.

(6) المصدر نفسه، ص29.

(7) المصدر نفسه، ص30.

عبد السلام الدمشقي"[1]، وكذلك الحال نفسه في ذكر ابو بكر الباقلاني"فهو على ما اخبرنا به شيخنا الامام عز الدين ... واخبرني بالقاهرة ايضاً شيخنا الحافظ المحدث زكي الدين بن عبد العظيم ..."[2] ، وفي سياق تبيان علم وفطانة القاضي ابي بكر الخطيب عند ملاقاته الرافضة في احد مجالس المناظرات" وحدثنا ان ابن المعلم ..."[3]، واعتمد في الجانب الاكبر من معلوماته على ذكر الاخبار بارجاعها الى قائلها متتبعا اسماء السند فيها، فقال بشأن ابو اسحاق الاسفرايني"على ما اخبرنا به شيخنا الامام عز الدين بن عبد السلام عن الحافظ بهاء الدين ابي محمد القاسم عن ... واخبرني به ايضاً باسكندرية الشيخ الفقيه الصالح الراوية العلامة ابو زيد عبد الرحمن بن علي ..."[4]. وفي بعض الحالات عندما يتكرر ذكره لمصدره الذي يرجع في سنده الى نفس السند السابق يدرج عبارة دالة على ذلك السند من دون ذكرها من باب الاختصار قائلاً" "بالسند المتقدم الى ابن عساكر قال ..."[5]، وفي كلامه عن براعة ابو الحسن الاشعري في علم الاصول وتفقهه فيه اشار الى وفد بني تميم حين اتاه قال "وقد ذكرته قبل في اسناده..."[6]، وفي موضع اخر قال" وسندي المتقدم الى الامام الحافظ ابي القاسم ابن عساكر"[7].

ودون بعض الاحداث كونه شاهد عيان فكان حاضراً في جنازة الاستاذ الخسروشاهي قائلاً" وحضرت جنازته وكان يوما كثير الثلج"[8].

3- الكتب المؤلفة

كانت الكتب المؤلفة احدى مصادر اللبلي الرئيسة الى جانب ما سمعه من روايات عن اساتذته بشأن شخصيات تراجمه، ففي حالات نجده واضحاً كل الوضوح في احالة معلوماته الى مصادرها بالاشارة الى اسم المؤلف واسم كتابه، فلا يترك مجالاً للغموض والحيرة لدى القارئ في الاستدلال على مصدر المعلومة، ومن الحالات التي كان اللبلي واضحاً في اشارته الى المصدر في سياق مناقشته لاراء ابن حزم الاندلسي بشأن الاشعرية فقال" وكذلك رأيت ابا محمد بن حزم قد حكى فيما الفه من القبائح التي

(1) المصدر نفسه، ص51.
(2) فهرست اللبلي ، ص52.
(3) المصدر نفسه، ص54.
(4) المصدر نفسه، ص67.
(5) المصدر نفسه، ص94.
(6) المصدر نفسه، ص106.
(7) المصدر نفسه، ص108.
(8) المصدر نفسه، ص124.

لقبها ب .(النصائح) وفي كتابه (الفصل بين النحل والملل) ونسب ما وقع فيه ابن حزم من اوهام الى ما "تكلم في كتابه "الفصل" عن المحال"[1]، واشار الى ان مو اقف ابن حزم تجاه الأئمة الشافعي والحنفي ومالك وغيرهم من العلماء انما ضمنها"ابن حزم في كتابه "المجلى" وغيره من كتبه على الأئمة المقتدى بهم"[2].

على الرغم من اقتناء اللبلي لاغلب معلوماته من ابن عساكر و ابي بكر الخطيب البغدادي وغيرهم، لم نجد لهم اشارات واضحة تدل على اسم مؤلفاتهم الا في حالات نادرة، فعند محاولته احالة القارئ الى ان ما اثبته من اراء ومعلومات اسهبت في مدح ابي الحسن الاشعري انما اخذها من المصادر الموثوق بنزاهتها وعلم اصحابها فقال" ناقلاً ذلك من كلام الأئمة ... الذي لا ريب في عدالتهم ولا نزاع في امانتهم كالامام الحافظ ابي نعيم الاصبهاني مصنف (حلية الاولياء ) و (طبقة الاصفياء) وغيرها من مصنفاته، وكالامام الحافظ شيخ السنة ابي بكر احمد بن الحسن البيهقي مصنف كتاب (معرفة السنن والاثار) وغيرها، وكالامام الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي صاحب كتاب (تاريخ بغداد) وغيره"[3]، وعند شرحه معنى كلمة جرجانية ذكر: "قال ياقوت الحموي في كتاب البلدان يقال لها كركانج"[4]، واعطى اشارة واضحة الى مصدر معلوماته عن فخر الرازي قائلاً" واما ابن الخطيب شيخ شيخنا الخسروشاهي على ما ذكره في تاريخه الشيخ الفقيه شمس الدين احمد بن محمد ابن خلكان"[5].

ان المرة الوحيدة التي اشاربها الى كتاب ابن عساكر في ترجمة ابو الحسن الاشعري قائلاً" وكشف سره الامام ابو القاسم ابن عساكر بتصنيف جليل سماه تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري"[6].

وعند الحديث عن تسمية ابو حامد الغزالي بالغزالي بانها جاءت نسبة الى الغزال أي الغزالي وفق عادة اهل خوارزم وجرجان باعتماده على ما ذكره ابن خلكان قائلاً" كذا ذكر الشيخ الفقيه شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان في تاريخه"[7]، لكنه في استرساله بالكلام عن شخصية ابو حامد

(1) المصدر نفسه، ص84.

(2) المصدر نفسه، ص89.

(3) فهرست اللبلي ، ص121.

(4) المصدر نفسه، ص126.

(5) المصدر نفسه، ص127.

(6) المصدر نفسه، ص79.

(7) المصدر نفسه، ص38.

الغزالي يورد لنا مثلاً اخر قائلاً: " وقال عن السمعاني ..."[1]، من دون ذكر اسم مؤلفه، وفي ذكره لسنة وفاة الغزالي قال"وذكر ابن خلكان ان الامام ..."[2] ايضاً من دون ذكر اسم المؤلف، وقد يكون هنا له ما يبرر ذلك بانه قبل اسطر ذكر اسم ابن خلكان ومؤلفه، لكن بالنسبة للسمعاني لم يذكره سابقاً، وقد يكون كتاب السمعاني معروفاً لدى اللبلي فوجد لا حاجة لذكر اسم مؤلفه، لكن هذا ينقصه الدقة ويضع القارئ غير العارق بتلك المصادر في حيرة لمعرفة اسم المؤلف، لا سيما ان اغلب المؤرخين في الدولة الاسلامية متعددي المؤلفات فالواحد منهم يمتلك مجموعة من المؤلفات.

اختلف اللبلي في احدى معلوماته التي هاجم فيها ابن حزم بشأن مدى ثقة نعيم بن حماد في السند قال"وقال النسائي ابو عبدالله نعيم بن حماد ليس بثقة"[3]، و: "قال ابو سعيد بن يونس: نعيم بن حماد روى احاديث لشاكر عن الثقات"، وقال"وقال ابو زرعة ..."[4]، وفي مواصلته الكلام عن ابي الحسن الاشعري قال" حدثنا القاضي ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن الاصبهاني قال ..."[5]. وقال بعض البصريين: "ولد ابو الحسن الاشعري في سنة ..."[6]، من دون ذكر اسماء مؤلفاتهم ،ولوصف علوم ابو اسحاق الاسفرايني اقتبس اللبلي الكلام من ابن عساكر قائلاً" وذكر الامام محدث الشام ابو القاسم بن عساكر قال ..."[7]

يبدو ان اللبلي اطلع على مصادر متعددة لكنه لم يذكر اسمها عند ذكره للروايات والمعلومات التي اخذها منها الا في حالات قليلة، ففي ثناء العلماء على ابي الحسن الاشعري قال" وثنا شيخ السنة الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في تصانيف كثيرة ... وقد افرد للثناء عليه كلاماً منه رسالته الى العميد..."[8]

سادت صفحات كتاب ((الفهرست)) بذكر اسمي ابن عساكر و ابو بكر الخطيب في نقل المعلومات، إذ لم يكد تخلو صفحة واحدة من ذكرهما من دون الاشارة الى كتابهما تاركاً اسماء مصادره

(1) المصدر نفسه، ص38.
(2) المصدر نفسه، ص38.
(3) فهرست اللبلي، ص91.
(4) المصدر نفسه، ص91.
(5) المصدر نفسه، ص98.
(6) المصدر نفسه، ص98.
(7) المصدر نفسه، ص68.
(8) المصدر نفسه،ص102.

مهمة ، فعندما اراد اللبلي ذكر اسم ابو بكر الباقلاني قال"قال الحافظ ابو بكر الخطيب محمد بن الطيب بن محمد ابو بكر القاضي المروف بابن الباقلاني"[1]، وفي سياق الكلام عن ابن الباقلاني قال" قال الحافظ ابن عساكر: اخبرني الشيخ ابو القاسم ..."[2]، وبالاشارة الى مقدم القاضي ابو بكر الخطيب ذكر"قال القاضي ابو المعالي ... لما قدم القاضي ..."[3]، وعن وفاته"قال القاضي ابو المعالي ابن عبد الملك... مات القاضي ابو بكر الاشعري يوم السبت ..." [4]، وبشأن سيرة ابو اسحاق الاسفرايني قال" وذكر الامام محدث الشام ابو القاسم بن عساكر قال ..."[5]، من دون ان نتعرف على اسم مصادرهم.

ونجده اكثر وضوحاً عند الحديث عن ابو الحسن الاشعري فلم يكتفِ بذكر مصدر واحد، فقال بان اصحاب الامام ابو الحسن الاشعري سواء من اخذ ام استفاد منه تم"ذكرهم الائمة الحفاظ الثقات الايات، ابو عبدالله الحاكم النيسابوري، والحافظ ابو نعيم الاصبهاني، والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي، والحافظ ابو القاسم بن عساكر، وقد اشرت الى من ذكره كل واحد منهم"[6]، وهذا ما لاحظناه في تكراره اسماء المؤلفين من دون ذكر اسماء مؤلفاتهم في كل شخصية تناولها في كتابه"الفهرست".

واختلفت الفاظ اللبلي في الاشارة الى ابن عساكر فتارة قال: "الامام محدث الشام ابو القاسم بن عساكر"، وتارة قال: " قال الحافظ الامام ابن عساكر" واخرى: "وقال الحافظ ابن عساكر"[7] .

4-كتب اصحاب الترجمة

عند حديثه عن استاذه الخسروشاهي الذي حثه على الاعتناء في قرأة كتابه (نهايات العقول) الذي عده الخسروشاهي من افضل كتبه، وهذا ما اكده اللبلي بقوله"وصدق رحمه الله وليس في مصنفاته كتاب يفوقه"[8]، وحصل على معلومات الشيخ المطرزي من تلميذه الخسروشاهي الذي روى للبلي عن تصانيف المطرزي: " قال شيخنا شمس الدين الخسروشاهي وللمطرزي شيخنا كتاب في اللغة سماه

(1) المصدر نفسه، ص ص53-54.

(2) المصدر نفسه، ص55.

(3) المصدر نفسه، ص59.

(4) المصدر نفسه، ص ص60-61.

(5) المصدر نفسه، ص68.

(6) فهرست اللبلي ، ص76.

(7) المصدر نفسه، ص ص55-56.

(8) المصدر نفسه، ص124.

(المغرب) تم اختصاره وسماه بـ (المعرب) قال وله كتاب في النحو صغير من نحو ست كراريس ... واخبرني انه قال قرأ عليه (المفصل) ثلاثمائة فقيه"[1]، وحصل من شيخه على ادق تفاصيل حياة المطرزي منها الوضعية التي ينام فيها المطرزي[2]، ويبدو ان الخسروشاهي كان يعظم استاذه السيف الامدي كثيراً ، وهذا ما نوه اليه اللبلي قائلاً" قال شيخنا الخسروشاهي والله ما جرى قط على خاطري السيف الامدي ان كتبه تقرأ علي ولا اعتقد ذلك"[3].

5- مؤلفاته

كان من الطبيعي ان يذكر اللبلي مصنفاته الاخرى في سياق كلامه عن شيوخه لاهميتها في علم اللغة، فبعد ثناءه على شيخه العز بن عبد السلام الذي قربه اليه ورعاه، بعد اختباره في امور اللغة، ووجد لديه براعة فيها فطلب منه وضع كتاب يتناول مستقبلات الافعال"فصنفت له الكتاب المسمى بغية الامال في معرفة النظر بجميع مستقبلات الافعال"[4]، الذي نال رضا واستحسان العز بن عبد السلام[5]، فضلاً عن ذلك دراسة الاستاذ العز بن عبد السلام على يد اللبلي احد كتبه في اللغة قائلاً: " وكذلك سمع علي مع جلالة قدره وامامته شرحي لكتاب الفصيح المسمى بتحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح"[6]، وقال العز بن عبد السلام بشأن مكانة كتاب اللبلي" وشي الحلل في شرح ابيات الجمل: " الذي وضع بمجلدين "لم يؤلف في حس ترتيبه وجمعه مثله"[7].

6- الشعر

نال الشعر نصيباً من موارد اللبلي لكن ما يلفت النظر ان ما اورده من شعر في ثنايا مؤلفه ليس من نظمه، بل من نظم شعراء اخرين، وفي هذا اشارة او دليلاً للقول ان اللبلي العالم باللغة والنحو

(1) المصدر نفسه، ص125.
(2) المصدر نفسه، ص126.
(3) المصدر نفسه، ص127.
(4) المصدر نفسه،ص 132.
(5) المصدر نفسه،ص132.
(6) فهرست اللبلي ،ص 133.
(7) المصدر نفسه، ص133.

لا يجيد نظم الشعر، لذلك استشهد بذكر اشعار الاخرين على ما ذكره من احداث، فاشار الى بيتين من الشعر في وفاة ابو المعالي الجويني:

قلوب العالمين على المقالي و ايام الورى شبه الليالي

ايثمر غُصن اهلِ الفضل يوما وقد مات الامام ابو المعالي[1].

وفي وفاة القاضي ابو بكر الخطيب درج اللبلي ابيات شعر ترثيه:

انظر الى جبل يمضي الرجال به و انظر الى القبر ما يحوي من الصلف

و انظر الى صارم الاسلام منغمداً و انظر الى درة الاسلام في الصدف[2].

وفي سياق كلامه عن اخلاق وصفات القاضي ابي بكر الخطيب استشهد بقصيدة طويلة لابي الحسن بن عيسى السكري:

ملكت محبات القلوب ببهجة مخلوقة من عفة وتحبب

فكأنها من حيث ما قابلتها شيم الامام محمد بن الخطيب

اليعربي فصاحة وبلاغة والاشعري اذا اعتزى للمذهب

قاضٍ اذا التبس القضاء على الحجى كشفت له الاراء كل مغيب[3].

## ثالثا: منهجه

### 1- حجم الترجمة

لم يسير اللبلي بمستوى واحد وثابت في ترجمة شيوخه والعلماء، ففي اكثر الاحايين ذكر اسم العالم واعماله وبعض الحوادث التي مر بها وصفاته وعلمه، والابرز في تراجمه جميعاً الاسناد في ذكر مروياته، فنجد صفحات كثيرة من مؤلفه على خلاف تراجم اخرى لم تتعدى معلوماتها عن خمسة اسطر او نصف صفحة او ما يتجاوز الصفحة بقليل، فكانت ترجمته الاكبر والابرز لابي الحسن الاشعري، التي غطت قرابة ثلث مؤلفه البالغ صفحاته المائة واربع وثلاثون صفحة[4]، ويمكن ان نعزوا ذلك لاسباب متعددة

(1) المصدر نفسه، ص49.

(2) المصدر نفسه، ص61.

(3) المصدر نفسه،ص63.

(4) ينظر: فهرست اللبلي ، ص ص73–124.

يأتي في مقدمتها ان اللبلي اشعري في عقيدته ومتمتاً في ميله للاشعرية عاداً ابو الحسن الاشعري امام علوم الاصول التي درسها من خلال بعض كتبه اوكتب تلاميذه، إذ تأثر به لا سيما محاولته الدفاع عنه وعن معتقد الاشعرية ضد اتهامات الفرق الاخرى ولا سيما اتهامات ابن حزم الاندلسي، لذلك نالت ترجمته تلك عكس ما قيل عنه من مساوئ بذكر اراء العلماء والفقهاء فيه، والسبب الاخر كثرة المعلومات المتو افرة عن ابي الحسن الاشعري نظراً لكثرة ما كتب عنه، وبالتأكيد حيازة اللبلي على تلك المؤلفات لكونه مهتماً ودارساً لعلم الاصول الذي يعد ابو الحسن الاشعري واضع اسسه، وعلى الرغم ما ذكره عن ابي الحسن الاشعري الا انه ذكر بعض العبارات الدالة على الاختصار لوفرة ما لديه من معلومات بشأن سيرته وفضائله قائلاً" فاقتصرنا منه على هذا القدر"[1]، وعند حديثه عن مؤلفاته قال" ولولا الخوف الاطالبة وخشية السأمة لاوردت من كلام الآئمة فيه... لكن اقتصرت على هذا النزر اليسير..."[2].

وجدنا عكس ما ذهب فيه بترجمة ابو الحسن الاشعري انه لم يتطرق في ترجمة الخطيب الرازي غير خمسة اسطر خلت من أي معلومات مفيدة[3]، وبعض المعلومات عن ابو القاسم الانصاري[4]، والسيف الامدي[5]، و ابو القاسم الاسفر ايني[6].

ما يلفت النظر، ان معلومات اللبلي عن المشايخ والعلماء والفقهاء اكثر غزارة كلما ابتعد صاحب الترجمة عن زمن اللبلي، بمعنى ان شيوخه الذين درس على ايديهم جاءت تراجمهم قصيرة او متوسطة الحجم مثل ترجمة العز بن عبد السلام والخسروشاهي اذا ما قورنت بتراجم ابو الحسن الاشعري و ابن الباقلاني و ابو حامد الغزالي وغيرهم.

2- طبيعة ذكر اسماء تراجمه

سار على هذا نهج ذكر الكنى ومن ثم الاسم في عدد من تراجمه، فقد اقتتح كلامه عن شيخه شرف الدين قائلاً" اما شيخنا شرف الدين ابن التلمساني العالم الفاضل فهو ابو محمد عبد الله بن يحي بن

(1) المصدر نفسه، ص108.
(2) المصدر نفسه، ص121.
(3) المصدر نفسه، ص132.
(4) المصدر نفسه، ص130.
(5) المصدر نفسه، ص133.
(6) المصدر نفسه،ص ص49–50.

علي الفهري المشهوربابن التلمساني"[1]، وعن الشيخ المقترح قال: " اما المقترح شيخ شيخنا شرف الدين التلمساني، فهو الامام تقي الدين ابو العز مظفر"[2]، واستمر على هذه الطريقة في ترجمة الطوسي[3]، و ابو حامد الغزالي[4]، و ابو المعالي الجويني[5]، و ابو القاسم الاسفراييني[6]، وسار اللبلي على هذا المنوال في جميع تراجم مؤلفه باستثناء ترجمتين، الترجمة الاولى المتعلقة بالخطيب البغدادي الذي ابتدأ الكلام عنه قائلاً"،"واما الامام السعيد عمر..."[7]، وفي ترجمة استاذه ابن عبد السلام " واما... الامام عز الدين بن عبد السلام الدمشقي "[8] ، فانه ذكر الاسم كاملاً من دون تقديم اللقب او الكنية على الاسم على خلاف بقية التراجم كما نوهنا لها اعلاه.

وضع اللبلي كلمة (اما) في بداية كل ترجمة وكذلك "واما الاستاذ ابو القاسم الاسفراييني"[9]، و: "اما القاضي ابو بكر الطيب ..."[10]، وعند انتقاله من فقرة الى فقرة جديدة غالباً ما يبدأ فقرته بكلمة (قال) او (ذكر) مثل: "قال الحافظ ابوبكر"[11]، و"قال ابو بكر ابن ث ابت"[12]، و"ذكر الحافظ ابو بكر الخطيب"[13]، و"قال القاضي ابو المعالي"[14]، و"ذكر الامام محدث الشام"[15]، وغيرها كثير.

3- ذكر سنوات الولادة والوفاة

(1) المصدر نفسه، ص23.
(2) فهرست اللبلي ، ص27.
(3) المصدر نفسه، ص28.
(4) المصدر نفسه، ص29.
(5) المصدر نفسه، ص ص38-39.
(6) المصدر نفسه، ص49.
(7) المصدر نفسه، ص129
(8) المصدر نفسه، ص131.
(9) المصدر نفسه، ص49.
(10) المصدر نفسه، ص52.
(11) المصدر نفسه، ص53.
(12) المصدر نفسه، ص55.
(13) المصدر نفسه، ص57.
(14) المصدر نفسه، ص59.
(15) المصدر نفسه، ص68.

خالف اللبلي لما ذكره في مقدمة مؤلفه بذكره تواريخ الولادة والوفاة لتراجم شخصيات مؤلفه، ففي بعض الحالات دون سنوات الولادة والوفاة بصورة واضحة باليوم والشهر والسنة، ويلحظ تلك الدقة في ذكر معلومات الولادة والوفاة بشأن ابو حامد الغزالي، ولم يكتفِ بالتواريخ بل لصقها بحادث معين او موقع جغرافي يحدد مكان دفنه، قائلاً"ان الامام ابا حامد ولد سنة خمس واربعمائة"[1]، وعن سنة وفاته قال"ومضى الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادي الاخرة سنة خمس وخمسمائة، ودفن بظاهر قصبة طاب ران"[2]، واشار الى سنة ولادة ابو المعالي الجويني بدقة محدداً عمره قائلاً" وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة، وتوفي وهو ابن تسع وخمسين سنة"[3]، وهذا ما اكده في ذكر سنة وفاته في"ليلة الاربعاء بعد صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر من سنة ثمان وسبعين واربعمائة ونقل في الليلة الى البلد"[4].

اقتصر ذكره في ترجمتي المطرزي لسنة الولادة اولاً ثم الوفاة "وولد المطرزي في العاشر من رجب ستة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم ... فانه ولد في السنة التي توفي فيها الزمخشري، وتوفي المطرزي هذا يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادي الاخرة من ستة عشر وستمائة"[5]، وترجمة الفخر الرازي، الذي "كانت ولادته في خامس عشرين من شهر رمضان السنة اربع واربعين وخمسمائة بالري ... وتوفي يوم الاثنين وكان عيد الفطر سنة ست وستمائة بمدينة هرات"[6].

في حالات اخرى، وجدنا اللبلي لم يثبت تواريخ الوفاة والولادة لشخصيات تراجمه، فمع معاصرته لاستاذه شرف الدين بن التلمساني لم يحصل على سنوات ولادته ووفاته فذكر"ولم يتحقق لدي تأريخ مولده ووفاته حتى اثبته"[7]، وفي هذا قصور في مجال البحث لكون صاحب الترجمة عاصر اللبلي ودرس اللبلي على يده فكان بالامكان الاستقصاء عن المعلومات المتعلقة به، لكن على ما يبدو انه ذهب في تدوين مؤلفه من باب العجلة، كما ذكرنا سابقاً. وفي ترجمة الامام تقي الدين ابو العز المقترح

(1) المصدر نفسه، ص38.
(2) المصدر نفسه،ص 37.
(3) فهرست اللبلي ،ص48.
(4) المصدر نفسه، ص48.
(5) المصدر نفسه،ص 126.
(6) المصدر نفسه، ص128.
(7) المصدر نفسه، ص21.

لم يثبت سنوات الولادة والوفاة من دون الاشارة الى عدم حصوله عليها[1]، وسار على النهج نفسه في ترجمة الامام شهاب الدين الطوسي[2]، و ابو الحسن الباهلي[3]، وغيرهم.

في حالات اخرى، ذكر في بعض تراجمه على احدى سنوات الولادة او الوفاة من دون تبرير ذلك، وعادةً ما ذكر في تراجمه عامة سنوات الوفاة قبل سنوات الولادة، فثبت في ترجمة ابو القاسم الاسفرايني" وتوفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر سنة اثنين وخمسة واربعمائة"[4]، وينطبق الامر نفسه على ابو محمد الجويني الذي "توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين واربعمائة"[5]، و اقرن وفاة القاضي ابي بكر الخطيب باحداث دقيقة يمكن الاستدلال من خلالها على وقت الوفاة قائلاً"مات القاضي ابو بكر الاشعري يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة، ودفن بداره بنهر طابق ثم نقل الى باب معرب ودفن بقرب قبر الامام ابي عبدالله محمد بن حنبل[6] ، واضاف ان الشيخ ابا الفضل التميمي حضر يوم وفاته العزاء حافياً والذي استمر مواضباً في زيارة قبره كل يوم جمعة[7]، وعند تناوله ابو اسحاق الاسفرايني الذي تمنى الموت في بلده نيسابور" فتوفي بعد هذا الكلام بنحو من خمسة اشهر بعاشورا سنة ثماني عشرة واربعمائة وصلى عليه الامام الموفق"[8]، من دون ان يذكر سنة ولادته. وفي ترجمة ابن فورك ذكر سنة الوفاة فقط دون اليوم والشهر، فحددها بسنة ست واربعمائة، ولم يذكر سنة ولادته[9]، و اكتفى بذكر سنة وفاة شخصية الخسروشاهي قائلاً" فتوفي- رحمه الله - عند غروب الشمس من يوم الاثنين الرابع والعشرين من شوال سنة اثنين وخمسين وستمائة ودفن بالصالحية منها"[10].

(1) المصدر نفسه، ص ص27–28.

(2) ينظر:المصدر نفسه، ص ص28–29.

(3) المصدر نفسه، ص ص70–72.

(4) المصدر نفسه، ص50.

(5) المصدر نفسه، ص51.

(6) فهرست اللبلي ، ص61.

(7) المصدر نفسه، ص60.

(8) المصدر نفسه، ص69.

(9) المصدر نفسه، ص95.

(10) المصدر نفسه، ص124.

في حالة واحدة ذكر مكان الوفاة من دون التطرق الى تاريخ الوفاة عند ترجمته العز بن عبد السلام قائلاً" وتوفي رحمه الله بالقاهرة"[1].

سار اللبلي منحاً اخر غير ما الف لديه في تراجمه في ذكر سنوات ولادة ووفاة ابو الحسن الاشعري، فلم يقتصر ذكره على سنة واحدة للوفاة او سنة محددة بسبب اختلاف من تناول سيرته، وهذا يخالف ما سار عليه في بعض تراجمه بعدم ذكر أي سنة سواء معللاً ذلك بعدم امتلاكه للمعلومات او لم يبرر تاركاً الامر دون ذكر شيء، فقال" وقال بعض البصريين ولد ابو الحسن الاشعري في سنة ستين ومائتين، ومات سنة نيف وثلاثين وثلثمائة"[2]، وفي موقع اخر قال" ان الاشعري مات ببغداد بعد سنة عشرين وقبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ودفن في مشرعة الروايا في تربة الى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهي عن يسار المار من السوق الى دجلة[3]، واشار الى رأي اخر انه"مات في سنة اربع وعشرين وثلاثمائة"[4].

من خلال ما تطرقنا اليه بشان تثبيت اللبلي لسنوات الولادة والوفاة لشخصيات تراجمه لم ينهج نهجاً واحداً في ذكر تلك السنوات فتارة ذكر التواريخ كاملة ومرونة ببعض الاحداث البارزة، وتارة اخرى اهمل ذكرها من دون الاشارة الى جهله بها، وتارة اخرى يبرر ذلك لعدم امتلاكه لتلك المعلومات.

4- الاقتباس من الكتب المؤلفة

ما يلحظ على كتاب اللبلي ((الفهرست)) انه كثيراً ما اقتبس معلوماته من الكتب التي اطلع عليها، لذلك عادةً ما وضع كلمة "قال" و"ذكر" في منازل كثيرة من صفحات مؤلفه، فعند تثبيته لاسم ابو القاسم الانصاري قال" واما ابو القاسم الانصاري فهو على ما ذكره ابن عساكر..."[5]، وعن اسم الفخر الرازي قال" على ما ذكره في تاريخه الفقيه شمس الدين احم بن محمد ابن خلكان"[6]، وفي مدح ابو

(1) المصدر نفسه، ص133.
(2) المصدر نفسه، ص98.
(3) المصدر نفسه، ص98.
(4) المصدر نفسه، ص98.
(5) فهرست اللبلي ، ص130.
(6) المصدر نفسه، 127.

الحسن الاشعري قال: " وثنا شيخ السنة والامام الحافظ ابو بكر البيهقي في تصانيف كثيرة..."[1]، واشار الى ان ما قاله ابن حزم من اراء ضمنها"في كتاب الفصل عن المحال واصدر في منطقه واحال"[2].

5-نقد النصوص و ابداء الرأي

يمكننا القول من خلال الاطلاع على كتاب اللبلي ((الفهرست)) انه لم يكن ناقلاً للمعلومات والروايات فقط، بمعنى انه لم يكتفِ بتدوين وتثبيت معلومات كتابه وتركها للقارئ للحكم عليها، بل كان كثير التدخل و ابداء الرأي في تلك الروايات او على اقل تقدير تفضيل رأي على اخر، لا سيما في الروايات التي تواترت واختلفت فيها الاراءاو اختلفت او عدم ملائمتها للعقل، فكان واضحاً ومدافعاً عن سيرة ابو الحسن الاشعري ضد ما قيل بشأنه من البعض ولا سيما من قبل ابن حزم الاندلسي، فقد عد اللبلي ابي الحسن الاشعري مصدر علوم الاصول والتفقه مبرراً رأيه وقناعته"لحسن تصانيفه وصحة مذهبه واعتقاده ... ولسنا ننسب بمذهبنا في التوحيد اليه، على معنى انا نقلده فيه ونعتمد عليه، ولكننا نوافقه فيما صار اليه من التوحيد لقيام الادلة على صحته لا مجرد التقليد"[3]، و ابدى رأيه بمذهبه قائلاً" وكان في مذهبه شافعياً وحكى بعضهم انه كان مالكياً والاول هو المعروف"[4]، وهاجم اللبلي الحسن بن علي الاهوازي الذي كال الذم لابي الحسن الاشعري قائلاً" فانه بالغ في ذم الامام ابي الحسن الاشعري في كتابه المسمى"البيان" المشحون بالكذب والبهتان"[5]، ووصف ابو نصر عبيدالله بن سعيد السجزي المخالف لابي الحسن الاشعري قائلاً" وكذلك اللعين المعروف بالسجزي فأنه تصدى ايضاً للوقوع في اعيان الائمة وشرع الامة بتأليف تالف وهو على قلة مقداره وكثرة عواره ..."[6] ، و ابدى اللبلي رأيه في الرد على ما جاء في مؤلفات ابن حزم الاندلسي تجاه آئمة الاسلام، فعده اللبلي فاشلاً"لقصور معرفته لعلومهم وكونه غير بصير بشيء من كلامهم"[7]، ووصل به الامر اتهام ابن حزم الاندلسي بالجنون" ولو عرف حقيقة الواجب والمحال ومعنى تعلق القدرة بالمقدور لما ارتكب من الهذر والمحظور

(1) المصدر نفسه، ص102.

(2) المصدر نفسه، ص84.

(3) المصدر نفسه،ص74.

(4) المصدر نفسه،ص75.

(5) المصدر نفسه،ص ص 78-79.

(6) المصدر نفسه، ص ص80-81.

(7) فهرست اللبلي ، ص83.

ما لا يرتكبه عاقل ولا يقول به قائل"[1]، ووصف مؤلفات ابن حزن الاندلسي بالسوء والخارجة عن الشرع قائلاً" ومن وقف على ما الفه من القبائح شاهد فيها وفي غيرها ... ما لا يصدر عن متمسك بالشرع"[2]، واشار الى ان: "اقواله الفاسدة الشنيعة ..."[3]، ورغم تحمله و انتقاده لابن حزم لكننا نجده لا يجزم عن الدين، لكنه رجح فضل ذلك قائلاً" والذي يغلب على الظن ان ما يصدر من ان ابن حزم هذا الكفر العظيم، وما يقوله من الهذيان ويحكيه عن الائمة من التخرص والبهتان انه ما يكون في حال سلامة من عقله وصحة من ذهنه"[4]، وعد ما الفه ابن حزم كلاماً لا يمكن معالجته من قبل الحكماء قائلاً" انه ربما يهيج عليه اخلاط يعجز عن مداواتها سقراط وبقراط، فتصدر منه هذه الحماقات ويهذي بهذه المحالات"[5].

و ابدى رأيه في رو اية ابن حزم بشأن مقتل ابن فورك قائلاً" وما ذكره لا يعرج عليه ولا يلتفتون اليه وهذه الحكاية – لعمري - من الكذب البارد و ايراد مثلها يدل على العقل الفاسد"[6]،وعلى هذا الاساس عد مدح ابن حزم لمحمود سبكتكين "من قلة التحصيل شأن الامام ابن فورك، وترحم على ابن سبكتكين جهلاً وجرأة"[7]، لا سيما ان سبكتكين قتل جمعاً من الناس بعد اعطائهم الامان فقال فيه اللبلي" فعلى من فعل هذه الفعلة الشنيعة يترحم ابن حزم، ويلعن من بقي عمره في نصرة الدين والرد على المبتدعة والملحدين[8]، وغيرها من الامثلة كثيرة.

وعندما حث الخسروشاهي اللبلي على قرأة كتابه (نهايات العقول) لانه بر أيه" لم يؤلف مثله.وصدق رحمه الله وليس في مصنفاته كتاب يفوقه هو احسن كتبه وكتب عدة"[9].

(1) المصدر نفسه، ص84.
(2) المصدر نفسه، ص ص86–87.
(3) المصدر نفسه، ص87.
(4) المصدر نفسه، ص88.
(5) المصدر نفسه، ص88.
(6) المصدر نفسه، ص92.
(7) المصدر نفسه، ص96
(8) المصدر نفسه، ص97.
(9) المصدر نفسه، ص124.

ذهب اللبلي مأخذ بعيدة في ابداء الرأي بشخص ابن عساكر وفضله على الاشعرية قائلاً" وكذا اقول انا في الحافظ ابن عساكر ما من اشعري الا وللاشعري عليه منة الا الحافظ ابن عساكر فان له على الاشعري منة"[1]، وذلك لتأليفه كتاب(تبيين الكذب) الذي دافع به عن ابو الحسن الاشعري.

## المحور الثالث

## سيرة علماء الاصول عند اللبلي

1- ابو محمد بن عبد الله بن يحيى بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني

الذي حمل الصفات الحميدة والخلق الحسن، قال عنه اللبلي: "فاضلاً ديناً متواضعاً، حسن الخلق"[2]، وامتاز باتقانه اكثر من فن من فنون العلوم التي ضهرت في مؤلفاته الكثيرة في علم الاصول والفروع المتصلة به، فذكر اللبلي انه: "كان - رحمه الله – نظاراً محققاً، وفي علم الاصوليين مدققاً"[3]، و"له التصانيف النفيسة والتواليف المفيدة في الاصول والفروع وغيرها"[4]، وما دل على تخصصه بعلوم الاصول مؤلفاته التي وضعها اهمها شرحه (للمعالمين) الاصولية والدينية للامام فخر الدين الرازي[5]، و اتم شرح (الارشادة) التي بدأها شيخه المقترح[6]، ولم يكملها بسبب وفاته[7].

اشار اللبلي انه قرأ على شيخه شرف الدين ابن التلمساني كتاب "الارشادة" للامام ابي المعالي في مصر تفقهاً، وبعض من كتاب (البرهان في اصول الفقه) وجزء من (غاية الرسل في علم الجدل) للسيف الامدي[8][9]، وشروح بعضه، وبعض من كتاب (الاسرار العقلية في الكلمات النبوية) للمقترح[10]، فضلاً عن تلك العلوم سمع على شيخه بعض من كتاب "المعالم الاصولية والدينية"[11].

---

(1) فهرست اللبلي ، ص78.

(2) المصدر نفسه ، ص23.

(3) المصدر نفسه،ص23.

(4) المصدر نفسه،ص24.

(5) سيأتي ذكره.

(6) سيأتي ذكره.

(7) المصدر نفسه ،ص25.

(8) سيأتي ذكره.

(9) المصدر نفسه ،ص26.

(10) المصدر نفسه،ص27.

(11) المصدر نفسه،ص27.

وبعد اتقانه لما درسه على يد شيخه منحه الاخير اجازة الاقراء كاتباً بخط يده على شيخه اللبلي التي قرأ فيها امامه جاء فيها: "قرأ على جميع كتاب "الارشـاد" لامام الحرمين، ومن "برهانه" في اصـول الفقه الى النواهي ... وقد اذنت له – وفقه الله – ان يقرئ ذلك لمن يرغب فيه ثقة بحذقته وعلمه وجودة ذهنه وفهمه"[1].

2- تقي الدين ابو الحر مظفر المعروف بالمقترح[2]

احد علماء الاصول الذي عده اللبلي "انظر اهل عصره، واحدهم خاطراً في علم الكلام وغيره، و اقطعهم للخصوم في المناظرة، واعرضهم بطرق الجدال في المباحثة" ، وعرف باسلوبه العذب الخالي من الحشو والعبارات المنتظمة[3]، فهو صاحب شرح (الارشاد) لامام الحرمين ابي المعالي [4]، وشرح (البحر الكبير) المعروف باسم (المقترح) و(الاسرار العقلية في الكلمات النبوية) فضلاً عن ما ابداه من تعليق بسيط على كتاب (البرهان) لامام الحرمين ايضاً[5].

3- شهاب الدين الطوشي

الذي امتاز بقدرته على المناظرة وحسن المنظر، وقدرته الكبيرة على الجدل، وذاعت شهرته في المشرق والمغرب على حد سواء، وله كتاب (التعليق) المتخصص في علم الخلاف الذي كثر فيه التحقيق[6].

4- محمد بن محمد بن محمد ابو حامد الغزالي

الذي عد من ابرز علماء الاسلام و ائمة الدين، تمتع بطلاقة اللسان وفهماً وذكاءاً، طلب العلم منذ نعومة اظافره، فاخذ الفقه على يد الامام احمد الراذكاني، وارتحل بعدها الى نيسابور للدراسة على يد امام الحرمين ابو المعالي، فتخرج بعد مدة قصيرة، فجلس للدرس والارشاد لدرجة ان امام

---

(1) المصدر نفسه.ص26.

(2) سمي بالمقترح نسبة الى كتاب حمل هذا الاسم كان على ملازمه اينما ذهب يحمله في يدة وبين اكمامه. المصدر نفسه ،ص48.

(3) المصدر نفسه ،ص28.

(4) سيأتي ذكره.

(5) المصدر نفسه ،ص28.

(6) المصدر نفسه،ص29.

الحرمين الامام ابو المعالي وهو اســتاذه، ورغم مكانته العالية كان عادةً ما يبتعد عن الغزالي: "لانافته عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان متخرجاً به منتسباً اليه"[1].

ولما عرف به من مزايا وعلوم حضي باهتمام الوزير السلجوقي نظام الملك ( ت 485هـ/ 1092م )، الذي اجلســه في مجلســه مع بقية العلماء والائمة، فزادته تلك المجالس علماً وبروزاً ليطلق عليه امام خراســان، وبعد انتقاله الى بغداد وجلوســه للتدريس في المدرســة النظامية[2]، نال لقب امامة العراق[3]، ونالت علوم الاصــول اهتماماً واضحاً في سيرة الغزالي، فدرس علم الاصــول فاجاده ووضع التصانيف به وجدد المذهب في الفقه، محاولاً انهاء الخلاف واضعاً عدد من التصانيف المتناولة لتلك الامور[4]، التي اثرت في طبعه وخلقه، فبعد ان عرف بالاعتداد بنفســه والتبجح غير من طباعه بعد اداءه للحج وعيشه في الشام واطلاعه على التصانيف المشهورة بالدين والرسائل: "فانقلب للشيطان الرعونة وطلب الرئاسة والجاه والتخلق بالاخلاق الذميمة الى سكون النفس وكرم الاخلاق والنزاع عن الرسوم والتزينات والتزي بزي المصلحين ..."[5].

عاد ابو حامد الغزالي الى نيســابور بناء على طلبات اهلها الملحة، فجلس للتدريس في المدرســة النظامية، وبعد مدة تركها و اقام في جوار منزله مدرســة لتدريس الطلبة حتى وفاته[6]، فقال اللبلي في علومه: "فما خلفه من الكتب المصــنفة في الاصــول والفروع وســائر الانواع يخلد ذكره ويقرر عند المطالعين المصنفين المستفيدين منها انه لم يخلف مثله بعده"[7].

5- <u>عبد الملك بن يونس الجويني ابو المعالي</u>

(1) المصدر نفسه،ص30-31.

(2) وهي من المؤسسات التعليمية التي انشاها وزير السلاجقة نظام الملك سنة 459هـ/ 1066م. للمزيزيد ينظر: ابن الدبثي، ابو عبد الله محمد بن ابي المعالي سعيد بن ابي طالب بن الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج (ت637هـ/1239م)،ذيل تاريخ مدينة السلام،تحق:بشارعواد معروف،دار الغرب الاسلامي:بيروت،1006م)؛ابو الرب،هاني،الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية،مجلة جامعة القدس،العدد21 (3)،2007.

(3) فهرست اللبلي،ص31.

(4) المصدر نفسه،ص31.

(5) المصدر نفسه،ص32.

(6) المصدر نفسه ، ص ص36-37.

(7) المصدر نفسه،ص37.

عرف بتواضعه وخلقه الرفيع وخشوعه، فلم يكن يجاري اصحاب الجاه والائمة في قول ضعيف، ولم يتهاون في ذكر من استفاد منه وان كان شخصاً ذو شأناً بسيط، لذلك سمع الكلام من افواه اضعف الناس علماً لدرجة ان بساطته وتواضعه فسرانه استهزاء بالاخرين[1]، فنجده وهو العالم الذي لا يجاريه احد في زمانه، ويجلس العلماء والطلبة لسماع درسه، بعد ان هجرت مجالس الفقهاء بسببه لتفضيلهم حضور درسه وما سواه، فوصل عدد الجالسين بين يديه يومياً قرابة (300) شخصاً[2]، وعرف عنه مواضبته لدراسة النحو على يد الشيخ ابا الحسن علي بن فضال بن علي المجاشيعي النحوي القادم الى نيسابور سنة 469هـ/ 1102م فقرأ عليه كتاب (اكسير الذهب في صناعة الادب) فقال عنه المجاشيعي: "ما رأيت عاشقاً للعلم، أي نوع كان، مثل هذا الامام، يطلب العلم [للعلم]، وكان كذلك"[3].

امتاز الجويني بعلوم العربية وما تعلق بها ليصبح اديباً بارعاً، فصيح اللسان في القاء المحاضرات والدروس من دون تلعثم او استدراك المعلومة[4]، فقيل فيه: "وما يوجد في كتبه من العبارات البالغة كنه الفصاحة غيض من فيض ما كان على لسانه"[5]، فبدأ حياته العلمية بالدرس على يد والده ركن الاسلام الذي تنبأ فيه خيراً للعلم واهله، فسعى الى دراسة مصنفات ابيه وتصرف فيها وخرج المسائل بعضها عن بعض، وزاد في علوم ابيه انه اهتم بالتحقيق ومسائل المذهب والخلاف ومجالس النظر، التي زادته علماً ودفعته الى اتباع طرق: "المباحثة وجمع الطرق بالمطالبة والمناظرة والمناقشة حتى اربى على المتقدمين، و انس تصرفات الاولين ..."[6]، فتمكن من الجلوس محل ابيه بعد وفاته للتدريس وهو دون سن العشرين، وبالوقت نفسه درس واجتهد في مدرسة البيهقي[7]، بعلم الاصول واصول الفقه على يد الاستاذ والامام ابي القاسم الاسكافي الاسفرايني، لدرجة انه: "كنت علقت عليه في الاصول اجزاء معدودة، وطالعت في نفسي مائة مجلد"[8]، ودرس القرآن في مسجد

(1) المصدر نفسه،ص47.
(2) المصدر نفسه،ص42.
(3) المصدر نفسه،ص46.
(4) المصدر نفسه، ص ص39–40.
(5) فهرست اللبلي ،ص40.
(6) المصدر نفسه،ص40.
(7) المصدر نفسه،ص41
(8) المصدر نفسه،ص41.

الاستاذ ابي عبد الله الخبازي و اقتبس منه بقية العلوم على اختلافها[1]، نتيجة لاضطراب الاوضاع في نيسابور، وقد سافر الجويني الى بغداد ملتقياً بكبار العلماء فناظرهم وتدارس معهم فزاده ذلك تهذباً في النظر، و انتقل بعده الى الحجاز ساكناً قرب مكة اربعة سنوات يدرس وجمع طرق المذهب، وعاد الى نيسابور بعد زوال الاضطراب فيها بزوال الب ارسلان، وتولي الحكم نظام الملك[2]، ليدرس في المدرسة النظامية لمدة ثلاثين سنة، فتمتع طوال تلك المدة ان: "سلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة والمناظرة"[3].

اعتنى الجويني بعلم الاصول لدرجة انه تفرغ الى دراسته، فاجاد في دراسة كتاب (نهاية المطلب في دراية المذهب) وزاد في : "البحث والتقرير والسبك والتفسير والتدقيق والتحقيق بما شفي العليل، واوضح السبيل ونبه على قدر هو محله في علم الشريعة، ودرس ذلك للخواص، من التلامذة وفرغ منه ومن اتمامه فقعد مجلساً لتتمة الكتاب حضره الائمة الكبار"[4]، فوصفه ابن عساكر: "فالفقه فقه الشافعي والادب ادب الاصمعي وحسن بصره بالوعظ للحسن البصري"[5].

6- عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسكان الاسفرايني الاسكافي

من كبار الشيوخ والفقهاء من اصحاب ابو الحسن الاشعري، برع في التدريس والفتوى على طريقة السلف في الزهد والفقر والورع، ودرس على يديه امام الحرمين علم الاصول[6].

7- عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني النيسابوري

المعروف بكنية ابو محمد، وركن الاسلام، الذي ابدع في النحو وفقه الاصول والتفسير، فتخرج على يده عدد من الائمة الكبار، وتمتع بهيبة لدى تلاميذه، فلم يعرف في حياته غير الجد والحث على العلم، وكان له تصانيف كثيرة في الفقه منها (التبصرة) و(التذكرة) و(مختصر المختصر) و(التفسير

(1) المصدر نفسه، ،ص41.

(2) المصدر نفسه، ص ص30–31.

(3) المصدر نفسه ، ص42.

(4) المصدر نفسه،ص ص43–44.

(5) نقلا عن المصدر نفسه،ص45.

(6) فهرست اللبلي ،ص50.

الكبير) الذي وضع بعشرة اجزاء، لدرجة ان من عاصره من الائمة لخلقه وعلمه قالوا فيه: "لو جاز ان يبعث الله تعالى نبياً لما كان الا هو من حسن طريقته وزهده وورعه وديانته في كمال فضله"[1].

8- ابراهيم بن عمر بن ابراهيم ابو اسحاق الاسفر ايني

الذي عرف بزهده وعلمه في العراق وخراسان، ورحل الى نيسابور ليدرس في مدرستها[2]، واستقى علومه عن ابا بكر محمد بن عبد الله الشافعي و ابا محمد دعلج بن احمد السجزي، وفي خراسان عن ابي بكر الاسماعيلي[3].

وصل ابو اسحاق الاسفر ايني الى درجة الاجتهاد لتو افر الشروط لديه: "لتبحره في العلوم، واستجماعه شرائط الامامية من العربية والفقه والكلام والاصول، ومعرفة الكتاب والسنة"[4]، ونقل اللبلي عن ابن عساكر قوله هو: "الفقيه الاصولي المتكلم والمتقدم في هذه العلوم"[5]، ووصفه الصاحب ابن عباد انه: "نار محرق وكأن روح القدس نفث في روعه"[6]، ومن الصعب احصاء علومه ومعارفه التي ذاع صيتها وحصرها في مجلدات وفق ما قاله اللبلي ان: "فوائد هذا الامام وفضائله واحاديثه وتصانيفه اكثر واشهر من ان تستوعب في مجلدات، فضلاً اطباق واوراق"[7].

9- محمد بن الخطيب بن محمد ابو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني

من اهل البصرة، سمع الحديث في بغداد على مجموعة من العلماء، فاجاد علم الكلام وبرع فيه، واشتهر بتصانيفه الكثيرة في الرد على المخالفين من المعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم[8]، لدرجة انه حاول اختصار مؤلفاته لكنه لم يوفق لسعة علمه وكثرة حفظه[9]، فقال ابو الحسن التميمي الحنبلي لاصحابه: "تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه غنى ابداً"[10]، وعرف عنه الزهد والورع في

(1) المصدر نفسه،ص ص51–52.

(2) المصدر نفسه،ص68.

(3) المصدر نفسه،، ص68.

(4) المصدر نفسه،ص68.

(5) نقلا عن المصدر نفسه، ص68.

(6) المصدر نفسه،ص69.

(7) المصدر نفسه،ص69.

(8) المصدر نفسه،ص54.

(9) فهرست اللبلي،ص58.

(10) نقلا عن المصدر نفسه،ص59.

الدين[1]، ولداريته وعلمه وفطنته استخدمه السلطان عضد الدولة السلجوقي ( 455-465هـ/ 1063-1072م)، في سفارة الى ملك الروم[2]، وخاض في المناظرات مع كبار العلماء وفاقهم فيها فشهد له الشيخ ابا القاسم بن برهان النحوي قائلاً: "من سمع مناظرة القاضي ابي بكر لم يستلذ بعدها بكلام احد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمترسلين ... من طيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه واشارته"[3]، ولتلك الخصال وما ذاع من صيته في اصول الدين عينه عضد الدولة قاضي قضاة اقليم فارس وكرمان وارض شيرازوما والاها وخراسان واعمالها وجزائر العرب كلها، وارض الموصل وديار بكر، ليكون الحاكم الناهي فيها بما يخص احكام الاسلام والحسبة والخطابة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

10- ابو الحسن الباهلي

الذي كان احد تلاميذ الشيخ ابو الحسن الاشعري واستاذ ابن فورك والباقلاني و ابي اسحاق الاسفرايني[5]، فقال الباقلاني يصفه: "كنت انا والاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني والاستاذ ابن فورك – رحمهما الله – معاً في درس الشيخ ابي الحسن الباهلي، تلميذ الشيخ ابي الحسن الاشعري"[6]، وعادةً ما كان يضع الحجاب بينه وبين تلاميذه الذين يدرسهم كل جمعة لشدة ورعه و انشغاله بالله فلا يقطع الدرس حتى كان يذكر بانتهائه، فكاد من يدرس على يديه يشك في جنونه[7]، ولسعة علمه وتواضعه قال فيه ابو اسحاق الاسفرايني: "كنت انا جنب الشيخ ابا الحسن الباهلي كقطرة في جنب البحر، وسمعت الشيخ ابو الحسن الباهلي يقول كنت انا في جنب الشيخ الاشعري [ابو الحسن الاشعري] كقطرة في جنب البحر"[8].

11- محمد بن احمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ابو عبد الله الطائي

(1) المصدر نفسه، ص59.

(2) المصدر نفسه،ص55.

(3) نقلا عن المصدر نفسه،ص57.

(4) المصدر نفسه،ص66.

(5) المصدر نفسه،س70.

(6) المصدر نفسه، ص71.

(7) المصدر نفسه،ص71.

(8) المصدر نفسه،س72.

ولقب بالبصري لمولده في البصرة، وسكن بغداد، وعرف بتدينه وسيرته الحسنة، له كتاب حسن في علم الاصول[1].

12- ابو الحسن الاشعري

عده اللبلي صاحب المذهب الاشعري، الذي وضع علم الاصول والفقه، فاصبح امام اهل السنة، وهاجم الفرق الاخرى مثل المعتزلة والجهمية وغيرهم، وهو على المذهب الشافعي، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء[2]، ووضع تصانيف متعددة في علم الاصول والفقه[3]، ونالت ارائه رضا كثير من العلماء والائمة[4]، وحاول اللبلي الدفاع عنه ضد اراء ابن حزم وغيره ممن وجدوا بالاشعري خارجاً عن الدين[5]، وادرج اللبلي ما وضعه ابو الحسن الاشعري من تصانيف ، وهي كثيرة لا مجال لذكرها هنا[6].

13- محمد بن الحسين بن فورك

درس المذهب الاشعري في العراق ورحل بعدها الى الري، فبعد ان سعى به البعض، وطلب اهل نيسابور من الامير ناصر الدولة ابي الحسن بن ابراهيم[7]، لارساله اليهم، فارتحل اليهم فبنوا له دار ومدرسة في نيسابور فافادهم بشتى العلوم وتخرج على يده عدد من الفقهاء[8]، ونال شهرة ومكانة دينية وعلمية لدى كبار العلماء لدرجة اخذوا يدعون الله به لدفع السوء عنهم[9].

حاول اللبلي جاهداً في اثبات عدم صحة رواية ابن حزم الاندلسي في سبب موت ابن فورك مهاجماً ابن حزم الذي ذكر ان ابن فورك قتل على يد محمود سبكتبين ( 367-387هـ/ 977-997م )، لنشره مقالة لم ترضيه[10]، فاشار اللبلي الى ذكر فعال وعلم ابن فورك الذي: "بلغ من تصانيفه في

(1) المصدر نفسه،ص73.

(2) فهرست اللبلي ،ص75.

(3) المصدر نفسه،ص74.

(4) المصدر نفسه،ص77.

(5) المصدر نفسه،ص84.

(6)المصدر نفسه،ص ص 109–118.

(7) المصدر نفسه،ص75.

(8) المصدر نفسه ،ص94.

(9) المصدر نفسه،ص95.

(10) المصدر نفسه،ص92.

اصول الدين واصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المئة"[1]، وله مناظرات في مدينة غزنة رد فيها على اصحاب احمد بن حنبل وعند عودته في الطريق من غزنة سم ونقل الى نيسابورودفن فيها[2]، ووصف ابو المعالي امام الحرمين ابن فورك قائلاً: "الامام ركن الاسلام ابو بكر بن فورك ممن يفتخر به الانام ويتزين به اهل الاسلام ... ولم ير الا معلماً او عابداً، ولم يسمع منه مصاحبوه الا كلاماً صاعداً[3].

ومن هذه النصوص حاول للبلي اثبات مكانة وخلق ابن فورك على خلاف ما ذكره ابن حزم، عاداً ابن حزم قليل المعلومات عن ابن فورك، فكيف يترحم على محمود سبكتكين قاتل ابن فورك وفق رؤيته، وهو من قتل جمعاً من الناس بعد اعطائهم الامان في جامع اصبهان بعد قتلهم لواليه هناك: "فعلى من فعل هذه الفعلة الشنيعة يترحم ابن حزم ويلعن من بقي عمره في نصرة الدين والرد على المبتدعة والملحدين"[4].

14- شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي

وحيد عصره وفريد دهره في العلوم النظرية والتحكمية، لا ينازعه فيها احد، لذا انهال عليه الناس من كل حدب وصوب لتمتعه بالعلم والخلق[5]، فقال اللبلي: "واخذت ايضاً علم الاصول الدينية والفقهية عن الخسروشاهي"[6]، مثل كتاب (الخمسين) للشيخ الامام فخر الدين الرازي، وكتاب (الاربعين) للشيخ الامام ابن الخطيب: "من اول الكتاب الى اوله ..."[7]، وسمع اللبلي على الخسروشاهي تفقهاً كتاب (المحصل في علم الكلام) ومعظم كتاب (المحصول في اصول الفقه)[8]، فضلاً عن دراسته على كتاب (الاحكام في اصول الفقه) للسيف الامدي[9].

15- ابو الفتح ناصر بن ابي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي

(1) المصدر نفسه،ص95.

(2) المصدر نفسه، ص95.

(3) المصدر نفسه،ص96.

(4) فهرست اللبلي ،ص97.

(5) المصدر نفسه،ص123.

(6) المصدر نفسه،ص123.

(7) المصدر نفسه،124.

(8) المصدر نفسه،ص124.

(9) المصدر نفسه،ص ص126–127.

كان حنفي المذهب وله علم في اللغة والنحو والشـعر والفقه، والف اكثر من كتاب في الفقه، وهو صـاحب كتاب (شـرح المقامات)[1]، وكتابه اللغوي (المقرب) الذي اختصـره باسـم (المعرب)، وله كتاب صـغير في النحو ضـم سـت كراريس، وتخرج على يديه قرابة ثلثمائة فقيه في حفظ (المفصـل)، واكثر من خمسمائة فقيه بحفظ نصفه او اقل[2].

16- فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن ابي الحسين بن الحسن بن علي البكري الطبرستاني الاصل الرازي المولد المعروف بابن الخطيب

الذي عرف بورعه وادبه وبسـاطته، وتلقى علم الاصـول على يد والده[3]، وهو على حاله درس علم النحو على يد النحوي ابن السكاك الذي اشاد بالفخر الرازي لتواضعه حضور مجلسه وهو عالم امام، فقال ابن السـكاك بصـفته: "كان الامام يبحث معي في كتاب المفصـل، فكان الجزء الاول ربما يكون مثلي او دوني يسـيرا، اما في الجزء الثاني فكان يحل لي المشـكلات التي كانت تعتاص علي"[4]، وهو استاذ الخسروشاهي استاذ اللبلي[5]، وهو على المذهب الشيعي[6].

17- عمر بن الحسين الخطيب الرازي

وهو والد الامام فخر الدين الرازي وشـيخه، واكتفى اللبلي بهذا الذكر معلاً ذلك لعدم امتلاكه المعلومات بشأنه مستمنياً ان يحصل عليها قابل ايامه، أي عند كتابته ((للفهرست))[7].

18- سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن اسماعيل بن اسحاق بن يزيد بن زياد ابو القاسم الانصاري

(1) المصدر نفسه،ص125.
(2) المصدر نفسه،ص125.
(3) المصدر نفسه،ص128.
(4) فهرست اللبلي ،ص129.
(5) المصدر نفسه،ص128.
(6) المصدر نفسه،ص129.
(7) المصدر نفسه،ص129.

الذي عرف بورعه وزهده، فعاش عيشة السلف الصالح، وله علم بالصوفية، وله طريق حسنة، وكان اماماً في الدين ملماً باراء الائمة وطرقهم في علم الكلام، وعادةً ما يقصر بعباراته لكنها حملت معنى عميق[1].

19- عز الدين بن عبد السلام بن ابي القاسم الدمشقي

من مواليد دمشق، و انتقل الى القاهرة ليستقر فيها حتى مماته، و اتصف بالخصال الحميدة، فلا يجاري احد في الحق ولا يداهن اصحاب الرتب العليا، ثابتاً في آرائه الدينية، واشتهر بالفتوى، فضلاً عن التواضع فكان: "عالماً بالتفسير والاصول والفقه على مذهب الامام الشافعي"[2]، ولازم اللبلي ابن عبد السلام عند وصوله الى مصر سنتين، انتفع بهما كثيراً من علمه، وبالوقت نفسه قرأ ودرس ابن عبد السلام على يد اللبلي بعض مصنفاته[3]، وان دل على شيئ دل على تواضعه وحبه للعلم وان كان الحصول عليه على يد تلاميذه.

20- ابو الحسن علي بن علي المشهور بالسيف الامدي

فهو عارفاً ومقدماً بالعلوم النظرية، لاسيما في علم الجدل لا يضاهيه فيه احد، فقد حفظ عشرون تصنيفاً فيه، ووضع التصانيف المفيدة في علم الكلام، واصول الفقه وفي العلوم الحكمية، واشتهر بحلاوة الكلام ولطافة العبارات، وبراعة الجواب عند السؤال، وله قدرة فائقة على الخطابة[4].

(1) المصدر نفسه،ص130.

(2) المصدر نفسه،ص131.

(3) المصدر نفسه، ص131-132.

(4) المصدر نفسه،ص133.

## الخلاصة

توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات اهمها:

1- اثبت اللبلي عن قناعة ان علم الاصول راجع الى الاشعرية، لذلك وصل بتراجم رجاله الى ابو الحسن الاشعري، الذي عده اساس هذا العلم.
2- كان اللبلي واضحاً في تبيان سبب تاليفه كتاب ((الفهرست)) محدداً ذلك في مقدمته بانه بناءاً على طلب من اهل العلم لمعرفة علم الاصول وشيوخه الذين استقى منهم ذلك العلم.
3- لم يكن اللبلي محايداً في طرح معلوماته، فكان متعصباً لمذهبه الشافعي، ولمعتقده الاشعري، لدرجة انه كفركل من عارضهما، لذلك اطلق ابشع الصفات على ابن حزم والسجزي والاهوازي.
4- نصب اللبلي نفسه مدافعاً عن مذهب الاشعرية، لذلك خصص قرابة ثلث كتابه في ذكر سيرة وصفات ومحاسن ابو الحسن الاشعري وما تمتع به من علوم.
5- وما يلفت النظر، عدم التزام اللبلي بما ذكره في مقدمة كتابه ((الفهرست)) باقتصار ذكر شيوخه وما اخذ عنهم من علم الاصول، وحددهم تسعة شخصيات، لكنه عند الشروع بكتابة ((الفهرست )) وصل عددهم الى عشرين شخصية، وقد يفسر هذا وجود شخصيات لم يدرس على ايديها، و انما تتبعهم الواحد تلو الاخر ممن اشتهروا به في علم الاصول وصولاً الى ابي الحسن الاشعري.
6- امتاز اسلوب اللبلي بالوضوح والدقة في اختيار المعلومات، لكن اسلوبه مثل غيره من المؤلفين والمؤرخين اللذين الفوا قبله وبعده ممن تكلف في كثرة الاطناب والسجع في كتابة مؤلفاتهم مثل لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي ( ت 776هـ/ 1274م ) في كتابه (الاحاطة في اخبار غرناطة).
7- سار اللبلي على منهج واحد لم يشذ فيه الا في حالات قليلة لا تشوه من طبيعة عرض معلوماته ونسق ترتيبها.
8- اعتماد اللبلي على عدد من الموارد ذات التوجه المؤيد للاشعرية، و اتخذها اساساً في ترتيب معلوماته، مثل ابن عساكر في كتابه (التبين) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، وغيرها من الموارد، والتي استخدمها في التدليل على سلامة المذهب الاشعري.
9- ان وجود بعض النقوصات في معلومات شخصياته، لاسيما في ذكره للخطيب الرازي، وهو قريب العهد بزمنه على خلاف الشخصيات الاخرى، والذي لم يتجاوزسير ترجمته سوى ذكر

اســمه، و انه لم يبحث عن تلك المعلومات بصــورة كافية، و اكتفى بما لديه او وقع تحت يده من موارد، وما حفظ من معلومات سمعها على يد اساتذته في المشرق والمغرب.

10- كان للبلي حضــوراً في تدوين معلوماته عن اســاتذته وهذا ما لمســناه في علاقتة باســتاذه الخسروشاهي وتاليف مصنفاته في اللغة مثل مستقبلات الافعال.

11- لم يكن اللبلي مجرد ناقل للرو ايات والاحداث من مصــادرها، فعادةً ما يعطي رأيه في الرو اية او الحادثة مؤيداً او ر افضــاً، بل وصــل به الامر ان يكون مهاجماً لتلك الرو ايات وواضــعيها، ومنتقداً اصــحابها وواصــفهم بالجنون وعدم ســلامة العقل والكذب، كما فعل مع ابن حزم الاندلسي ومؤلفاته.

12- مكننا اللبلي من خلال عرض معلومات كتابه الاطلاع على كثير من المصــنفات المتنوعة في علم الاصول والفقه لكبار العلماء والمشايخ، والتي درسها او لم يدرسها على يد اساتذته.

13- حصــل اللبلي على علومه ومعارفه بطرق متعددة، منها الســماع عن شــيوخه والقراءة على يد شيوخه ومن ثم الاجازة له، منها الاجازة الخاصة بعلم معين، ومنها الاجازة بكافة العلوم.

## المصادر

1- البرزلي، ابي القاسم بن احمد البلوي التونسي ( ت 814هـ/ 1428م )، فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين وللحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ( دار الغرب الاسلامي: بيروت، 2002).

2- البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن مهدي، تاريخ بغداد، ( دار الغرب الاسلامي: بيروت، 2001م ).

3- ابن جابر، شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي ( ت749هـ/ 1348م )، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق: محمد الحبيب الهيله، ( د.مط: تونس، 1981م ).

4- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ( ت 1076هـ/ 1657م )، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تحق: محمد شرف الدين، ( دار احياء التراث العربي:بيروت، 1941م ).

5- الحميري، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت897هـ/1491م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تعليف: ليفي بروفنسال،( دار الجيل: بيروت، 1988م ).

6- ابن الدبثي، ابو عبد الله محمد بن ابي المعالي سعيد بن ابي طالب بن الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج ( ت637هـ/ 1239م )، ذيل تاريخ مدينة السلام، تجق: بشار عواد معروف، ( دار الغرب الاسلامي: بيروت، 1006م ) .

7- ابن رشيد، ابي عبدالله محمد بن عمر الفهري السبتي ( ت721هـ/1324م )، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة، ( تونس: الدار التونسية للنشر، 1982 )، ص211.

8- ابن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ( ت 571هـ/ 1175م )، تبين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري،تحق:محمد زاهد الكوثري،( دار الكتاب العربي، بيروت،2010م ).

9- الغبريني، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله ( ت 714هـ/ 1314م ) تحق: عادل نويهض، (دار الافاق الجديدة: بيروت، 1979م ).
10- ابن القاضي، ابي العباس احمد بن محمد المكناسي ( ت 960هـ/ 1025م )، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال، تحق: محمد الاحمدي ابو النور، ( مكتبة دار التراث: القاهرة، 1971م ).
11- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله ( ت 764هـ/ 1362م )، الوافي بالوفيات، تحق: احمد الارناؤط ونركي مصطفى، ( دار احياء التراث العربي: بيروت، 2000م ).
12- اللبلي، احمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري ( ت 691هـ/ 1291م )،
- فهرست اللبلي، تحق: ياسين يوسف عباس وعواد عبد ربه ابو زينه، (دار الغرب الاسلامي: 1988م ).

- لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سال، ( جامعة ام القرى: الرياض، 2011م ).
- وشي الحلل في شرح ابيات الجمل،تحقيق:احمد محمد عبد الرحمن الجندي، ( دار الضياء للنشر والتوزيع: الكويت، 2011م ).

13- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم ( ت 1390هـ/ 1970م )، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد جنالي، ( دار الكتب العلمية: بيروت، 2002م ).
14- المقري، احمد بن محمد ( ت 1041هـ/ 1632م )، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحق: احسان عباس، ( دار صادر: بيروت، 1988م ).

المراجع

1- البغدادي، اسماعيل بن محمد امين بن ميرسليم الباباني (1399هـ/ 1978م)، هدية العارفين اسماء المؤلفين و آثار المصنفين، ( داراحياء التراث العربي: بيروت،1951م ).

## البحوث المنشورة

1-ابو الرب،هاني،الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية،مجلة جامعة القدس،العدد21 (3)،2007.

# الأرشيف والكتابة التاريخية المعاصرة

ذ. لحسن أوري

المملكة المغربية

جامعة سيدي محمد بن عبدالله/كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس

## مقدمة:

شهدت الكتابة التاريخية تطورا كبيرا، من حيث الرؤية والمنهاج والأسلوب خلال القرن العشرين في أوروبا وبخاصة في فرنسا، فاصطلح عليها بالتاريخ الجديد، ومن أهم ما أفرزه هذا الاتجاه، خروج التاريخ من دائرة التخصص الضيق والكتابة للمشتغلين في التاريخ وحدهم، للانفتاح على جمهورعريض من القراء. فأصبح بذلك المؤرخ يكتب للجميع، وبدأ الجميع يقرأ للمؤرخ، بل إن أفكاره لم تصل إلى المتلقي عبر الكتاب فقط، و إنما عبر مختلف قنوات الاتصال، من صحف وإذاعات وتلفيزيونات(1)، حيث انتقل من طور الكتابة إلى طور الإسهام في النقاش المجتمعي، وبقية النقاشات التي تهم تاريخ المجتمعات الإنسانية، عندما بدأ يدرك أن التاريخ فبالإنسان وللإنسان. وأصبحت المقاربة التاريخية حاضرة، معبرة ومؤثرة، والثقافة التاريخية نافعة، وشاسعة، وذائعة، وتنوع مصادرها أصبح واسعا، بما أن التاريخ يشكل حقيبة يمكن لدارسه أن يستجلي معارف علمية غير تاريخية، لكنها تتقاسم مع التاريخ منافع كثيرة تتجلى أساسا في البناء السليم للقضايا التاريخية بمختلف تخصصاتها.

هكذا يمكننا القول بتعدد المصادر التي تبرز من خلالها المعرفة التاريخية، وتتنوع المظاهر التي تبرز من خلالها قيمة هذه المعرفة. فأولى هذه المصادر: الوثيقة التاريخية، التي تعكس مرحلة مهمة من تطور وعي الإنسان بذاته، وبما يجري حوله، وتطوروعي المؤرخ بنسبية الظواهر الإنسانية، التي تعتبر في حد ذاتها شرطا لإدراك تلك الظواهر إدراكا علميا، والذي لن يستقيم إلا باستحضار جل مصادر البحث التاريخية والأدوات المعرفية التي لا محيد عنها لدراسة الإنسان في الفضاء الذي يعيش فيه.

## المحور الأول: أهمية الأرشيف في الكتابة التاريخية

- التحديد المفاهيمي للأرشيف التاريخي:

يلتبس مصطلح الأرشيف ويتداخل مع مجموعة من المفاهيم لدرجة يصعب الفصل بينهما، ومن بينها على سبيل الذكر لا الحصر:" الوثائق، والمخطوطات....". وتزداد الصعوبة حين نجد

1 أندري بورغيير ومجموعة من المؤلفين، الكتابة التاريخية: التاريخ والعلوم الاجتماعية، التاريخ والذاكرة- تاريخ العقليات، ترجمة محمد حبيدة، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015، ص.7.

هذه المفاهيم حاضرة في عدة حقول معرفية أهمها: التاريخ وعلم الاجتماع والحضارة والأنساب والإدارة والآداب وغيرها[1].

وإذا كان مصطلح الأرشيف يحدد بكونه" موسوعة عناوين، نصوص قانونية، ومساطير إدارية لمؤسسة ما، ومخطوطات، ووثائق أخرى مهمة تهم تاريخ دولة، أو جهة، أو مدينة، أو عائلة مثلا، فإن تمييزه عن مصطلح المصدر يفرض ذاته، باعتبار المصدر لغة " أصل الكلمة التي تصدر صوادر عنها الأفعال، وتفسيره أن المصادر كانت أول الكلام، كقولك الذهاب والسماع والحفظ، و إنما صدرت الأفعال عنها[2].

ويقصد بالمصادر مختلف الوثائق المكتوبة على الورق أو الرق أو الألواح والمخطوطات والكتب، باعتبارها مادة أساسية وضرورية للبحث العلمي، ثم الوثائق التي تحدد بكونها " مخطوطات تتألف من لفائف البرد وأدراج الرق أو سجلات أو مطبوعات، تشتمل الإجراءات والمراسيم والقوانين والأوامر وحسابات الأموال وغير ذلك، مما ينشأ عن تأدية أي عمل من أي نوع، ويرجع إليها عند البحث والدراسة، وهي لا تقتصر على الأعمال الحكومية، بل قد تكون وثائق لجمعيات أو لأشخاص أو لهيئات غير حكومية[3].

ويتحدد القاسم المشترك بين مفهومي الأرشيف والتاريخ؛ في اعتبار أن الأرشيف؛ هو مجموع الوثائق المكتوبة أو المخطوطة شفاهية كانت أو كتابية، وهي تشمل الإنتاج الحضاري العام للأمة، مهما تنوعت مصادره بين المعاجم، والمقالات، والقوانين، والأغاني الشعبية، والحوارات وغير ذلك، باعتباره مادة أساسية لعمل المؤرخ. أما مفهوم التاريخ حسب مفهومه العام" قصة من ماضي الإنسان، أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث الماضية باعتبارها خطوة في التقدم البشري فحسب، بل يسعى إلى إيضاح أسباب هذه الأحداث، ودلالاتها، ويعرضها على نحو يدل على تشابكها معا في قصة واحدة، ويستعين التاريخ في ذلك بالآثار والروايات والمعاهدات والمذكرات والأساطير، ولعل الشطر الثاني من هذا التعريف يكشف عن دور الأرشيف في كتابة التاريخ، باعتبارهما متلازمان ولا يمكن للواحد منهما الاستغناء عن الآخر. فالأرشيف هو التاريخ والتاريخ هو الأرشيف، بل الأرشيف هو تلك المرآة التي تعكس تاريخ الشعوب[4].

---

1- محمد المعزوزي، " الأرشيف وكتابة التاريخ"، أعمال الملتقى الثقافي الحادي عشر لبلدية مدينة صفرو 19-21 مارس 1999 الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب، منشورات أنفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2000، صص.6-7.

2- محمد المعزوزي، " الأرشيف وكتابة التاريخ"، ... م. س.، ص. 7.

3- محمد المعزوزي، " الأرشيف وكتابة التاريخ"، ... م. س.، ص.7.

4- نفسه.

ويرى الباحث الإيطالي Vil fred Pareto أن التاريخ مجرد حركة دورية تحل فيه نخبة قيادية مكان أخرى، مما يفرض على كل نخبة الدفاع عن وجودها، من خلال المكتوب بغية إبراز تفوقها المادي والفكري، فهل يمكننا إسقاط هذه الرؤية الليبرالية أو مقالتها الماركسية على الأرشيف والتاريخ المغربيين؟(1).

لقد بدأت ولادة الأرشيف منذ أن بدأ الإنسان يحافظ على الأشياء العزيزة عليه، ويدون الكثير من مظاهر حياته الشخصية والاجتماعية. وتكونت أولى أرشيفات الحضارات القديمة في مصر وبلاد الر افدين، ثم أيضا في بلاد اليونان والرومان والفرس والهند وبعض بلدان الشرق الأقصى(2).

وفي العصور الوسطى أصبحت الوثائق تر افق الملوك والحكام وتنقلاتهم، لكن عندما انهزم ملك فرنسا لوي فليب في إحدى المعارك سنة 1194م وضاعت منه كل وثائقه، أمر بترك الأرشيف منذ ذلك الحين في باريس ليصان من الإتلاف والضياع(3).

- تحديد مفهوم الوثيقة:

لقد احتلت الوثيقة التاريخية مكانة متقدمة، وأصبحت لها أهمية بالغة لدى عدد مهم من المؤرخين باعتبارها مصدرًا من المصادر التاريخية التي تعنى بتوثيق أحداث الماضي. وتجلت هذه الأهمية بشكل واضح عند لانغلو وسينبوس الذي أكد على أنه " لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق، فلا تاريخ"(4)، " واعتبرها شوقي الجمل بأنها " المصدر الأصلي الذي يعتمد عليه الباحث التاريخي، أو المادة الخام التي يصوغ منها نسيجه" (5).

فالوثيقة التاريخية إذن هي "كل أثر مكتوب أو محفور أو منقول(6)، أو هي " كل المصادر المادية من آثار، وعمارة، ونقوش، وأختام، وشواهد قبور، ومسكوكات ، وأدوات الاستعمال اليومي، وآلات الحرب، وغيرها من الأنماط التي يمكن للباحث في التاريخ استعمالها. أما الوثيقة التاريخية المدونة فهي ورقة أو مجموعة أوراق codex أو سجلات Registers تمثل جميع الأنشطة التي تقوم بها هيأة أو مؤسسة رسمية أو غير رسمية" (7).

---

1– محمد المعزوزي، " الأرشيف وكتابة التاريخ"، ... م. س.، ص. 12.

2- Samuel Noah KRAMER, l'Histoire Commence à Sumer, Flammarion, 1994, p.278.

3 – محمد بوسلام، " الأرشيف في خدمة البحث العلمي والتنمية"، أعمال الملتقى الثقافي الحادي عشر لبلدية مدينة صفرو 19–21 مارس 1999 الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب، منشورات أنفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2000، ص.18.

4– لانجلو وسينوبوس، المدخل للدراسات التاريخية، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص.5.

5– شوقي الجمل، علم التاريخ نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص.91.

6– نفسه، ص.54.

7– إبراهيم المهداوي، مصادر ليبية في أرشيف ليفورنو، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، libsco.org/ST/P0022.HTM

وهي في نظر المتخصصين في علم المكتبات كل مدون أو وسيط يحتوي على بيانات أو معلومات أو حقائق، بينما هي في نظر أهل القانون كل مدون يثبت أو يمنع حقا خاصا أو عاما، وهي في نظر علماء الإدارة أي مدون رسمي يحتوي على معلومات تنظيمية أو تنفيذية، كما أنها في نظر المؤرخين كل مدون يحتوي على معلومات ذات قيمة تاريخية اقتصادية وسياسية واجتماعية أو غيرها(1)، بما فيها السجلات والملفات الخاصة بالحكام والوزراء والجيوش والمحافل والقضاة والأطباء والمؤسسات الاجتماعية، وغيرها عمومًا، والوثيقة الرسمية المدونة خصوصًا بما فيها المستندات المعاصرة للتاريخ الذي نكتب فيه كالرسائل الصادرة والمنشورات والسجلات والأحكام والفتاوى ونصوص المعاهدات والمخالفات وعقود البيع والشراء وغيرها، مصدرًا تاريخيًا مهما لا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل بحثي يخص أزمنة التاريخ الحديث أو المعاصر(2).

فالوثيقة هي كل مصدر للمعلومات التي يحتاجها فكر المؤرخ، والتي تمكنه من استنباط معلومات عن ماضي الإنسان، فهي لبنة أساسية في كتابة الأحداث التاريخية ووضعها في سياقها الموضوعي في مختلف الميادين، والمصدر الوحيد للمعلومات عند الباحث بصفة عامة، والموثق بصفة خاصة. ومما لا جدال فيه أن الوثيقة هي الدليل على الشخصية الحضارية لأمة من الأمم، وإلا كان التاريخ مجرد سرد للأحداث عن طريق الروايات المتوافرة والتخمينات(3).

فهي لا تموت بمجرد الانتهاء من استعمالها الإداري، بل إن فائدتها تستمر على مدى الحياة، وبذلك تنتقل من القيمة الإدارية إلى القيمة العلمية، أي أن أهمية الأرشيف الإدارية لا تنفصل عن أهميته العلمية. فما يقدمه العلم والتاريخ لا يعاد له وزن ذهب ولا فضة، إذ منه تستقى المادة الأولية لمعرفة الأحداث والأمكنة والإنسان، وبالاعتماد عليه تدرس الأحوال الاقتصادية والسياسية، وتعرف العقليات، والعادات، والتقاليد، ومختلف مظاهر الحياة اليومية، من أكل، وسكن، وفراش، ولباس، وفنون وآداب، وطرب وموسيقى، وغيرها(4).

---

1- أشرف عبد المحسن الشريف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية: المعايير والإجراءات، دار المصرية اللبنانية، ط.1، القاهرة، 2011، صص.25-26.

2- سالم عبود الألوسي، الوثيقة التاريخية وأهميتها في كتابة التاريخ"، مجلة المؤرخ العربي، العدد39 السنة الخامسة عشر، 1499هـ/1989م، ص.205.

3- عبد الكريم حافظي، "الوثائق المخطوطة المحفوظة في قسم المخطوطات في الخزانة العامة( فترة الحماية)"، ضمن: وثائق عهد الحماية رصد أولي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم57، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة فضالة المحمدية، 1997، ص.13.

4- محمد بوسلام، " الأرشيف في خدمة البحث العلمي والتنمية"، أعمال الملتقى الثقافي الحادي عشر لبلدية مدينة صفرو 19-21 مارس 1999 الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب، ... م. س.، ص.23.

فالأرشيف إذن هو المعين الأكبر الذي يستمد منه المؤرخون والسوسيولوجيون والإثنوغرافيون والمعماريون والاقتصاديون واللسانيون والفنانون والجغرافيون وغيرهم مصادرهم الأساسية، لترميم الماضي، واسترجاع الأحداث، وتحديد المواقع الأثرية. ولا تنحصر أهميته في استعادة الماضي، وفهم أحداثه فقط، بل يعتبروسيلة ضرورية يحتاج إليها الحاضركذلك، حيث يمكن استعماله كلما دعت الضرورة إلى ذلك، إذ تعتبر؛ محاضر الاجتماعات، وتقارير الملتقيات والندوات، والمراسلات المتنوعة الوارد منها والصادر؛ وبدون استثناء، كنوزا كبرى للبحث والباحثين(1).

فقد كانت أهم سند للمؤرخ الذي يريد الوصول إلى حقيقة غيرمشوهة، ولا منقوصة، باعتبارها صادقة في نظره وأصدق محدث، والمعين الأول الذي يستقى منه ويعتمد عليه، فلا تاريخ بدون وثائق، لأنها تشكل مادته، وذاكرة الجنس البشري، الأمر الذي حذى بالدول المتقدمة في مضمار الحضارة والرقي، إلى التسابق فيما بينها من أجل الاهتمام بالوثائق وجمعها وصيانتها ودراستها ونشرها، وتأسيس المباني الفخمة لحفظها، إلى أن أصبحت مراكزودوروثائق يرتادها الباحثون من أجل كتابة تاريخ مجتمعاتهم وأوطانهم. من هنا تكمن أهمية دور الأرشيفات التي تحفظ الوثائق التي كانت نتاج واقع معين، والتي تعكس مضامينها، تواريخ لا يمكن للباحث أن يصافها في غيرها من مصادر المعرفة التاريخية المعاصرة(2).

## المحور الثاني: الكتابة التاريخية والأرشيف:

يقول لانغلو وسنيوبوس" التاريخ يصنع من وثائق، والوثائق هي الآثار التي حلفتها أفكار السلف و أفعالهم"، و"حيث لا تاريخ فلا وثائق"(3)، ويقول رانكه أن التاريخ هو" تصويرما حدث بالضبط"(4)، ويقول فوستيل دوكولانج: أن " لا تاريخ بدون نصوص"، فهو" علم لا يتخيل بل يرى. وهو نظيركل علم ينظر إلى الأحداث، ويحللها ويقارن بينها، ويحقق الروابط القائمة بينها، والمؤرخ يبحث عن الحدث ويدركه بدراسة النصوص بإمعان ودقه، والطريقة واحدة في كل علم مؤسس على الملاحظة الدقيقة"(5).

1– محمد بوسلام،" الأرشيف في خدمة البحث العلمي والتنمية"، أعمال الملتقى الثقافي الحادي عشر لبلدية مدينة صفرو 19–21 مارس 1999 الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب، ... م. س.، صص.23–24

2 – سالم عبود الألوسي، " الوثيقة التاريخية وأهميتها في كتابة التاريخ"، مجلة المؤرخ العربي، العدد39، السنة 1499هـ/1989م، ص.203.

3 – شارل لانجلو وشارل سنيوبوس، النقد التاريخي، ترجمة عبدالرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط.4، 1981، صص.6–7. (الأصل ص.92)

4– مصطفى شاكر، " التاريخ هل هو علم"، عالم الفكر،1974، ص.188.

5– نفسه، ص.188. ( ص.92) (صص.89–130.)

نستخلص من هذه التحليلات والتعريفات أن المنظور الوضعاني يرهن كتابة التاريخ بمدى تو افر الوثائق، وبمدى الثقة التي تحققها، كما أنه يعمم مفهوم الوثيقة على كل الآثار التي يخلفها إنسان الماضي. على أن هناك تنسيبا لهذه المعرفة التي تتحقق بدراسة الوثائق، وذلك بتقديمها على أنها لا توصل إلى اليقين بل تقوي الافتراضات، وفي هذا الصدد يقول مارو متحدثا عن المنهجية الوضعانية:" ينبغي أن يستخلص المؤرخ الحقيقة من الوثيقة، ولكن الأخيرة لا تثبت بشكل قطعي حدوث الو اقعة، إذ أن التقد لا يمكن أن يحدد إلا المصداقية التي تستحقها شهادة الوثيقة...، ولكن إذا تمكنا من تجميع شواهد عديدة(...) فإن احتمال حقيقة حدوث الو اقعة، يصبح كبيرا، وينتهي بالوصول إلى المعرفة اليقينية"([1]).

فضلا عن ذلك فالوثيقة في نظر رواد المدرسة الوضعية، هي في آن واحد موضوع الماضي وأداة المؤرخ والدليل على علمية التاريخ([2])؛ فهي موضوع للماضي من حيث كونها تنتمي للماضي ومن مخلفاته وتشهد عليه، وهي أداة للمؤرخ من حيث كونها المادة الأولية التي يبني المؤرخ التاريخ بواسطتها، وهي دليل علمية التاريخ، من حيث إن المعرفة التاريخية لا تكتسب مشروعيتها، إلا عبر الصرامة المنهجية، التي يتم إعمالها في دراسة الوثائق وتحليلها([3]).

لقد اعتبر"هنري إيري مارو" بأن المؤرخ لا يمكنه أن ينفصل عن التاريخ، ولذلك اعتبر أن الوثيقة هي كل مصدر للأخبار يتمكن من خلاله فكر المؤرخ من استخلاص شيء من أجل معرفة الماضي البشري، منظورا إليها من زاوية السؤال المطروح. وشيئا فشيئا يتسع المفهوم لكي يشمل نصوصا و آثارا وملاحظات من كل نوع"([4]).

إن تجدد المعرفة التاريخية أصبح رهينا بتجدد المادة العلمية التي يعتمدها المؤرخ، ونظرة الباحثين لمصادر هذه المعرفة كل واحد وفق الجيل الذي ينتمي إليه، من الوضعانية إلى التاريخ الجديد، مما سيفضي إلى نوع من التلاقح بين التاريخ والعلوم المعرفية الأخرى، بما فيها الجغر افية حيث سيشمل المشهد الجغرافي، الذي يؤكد على التر ابط بين الزمان والمكان في دراسة التاريخ، والتي فرضتها ضروريات تأويلية ([5])،( ضرورة الإشارة إلى أهمية الوثيقة الكارطوغر افية في البحث التاريخي).

ثم علوم الآثار التي حددتها المدارس التاريخية الجديدة في الأثر المادي الذي تحول إلى قلب النقاش التاريخي بعدما كان لا يمثل سوى جزء من المعرفة خلال القرنان 16 و17م، فالسوسيولوجيا والإثنولوجيا، التي فرضتها المدرسة الأمريكية خصوصا بعدما تطورت وسائل الاتصال الحديثة،

1– Henri Iréné, Marrou, **De la connaissance Historique**, Ed. Du seuil, Paris, 1975, pp.122-123.

2 J. Leduc, V. Marcos- Alvarez, J. Le Pellec, **Construire l'histoire**, p.39( 93)

3– نفسه، مجلة التدريس، ص.93.

4- H.I. Marrou, **De la connaissance Historique**, ... Op. Cit., p.73.

5– نفسه، مجلة التدريس، ص.97..

وأصبحت معها ميادين المؤرخ الجديدة تفرض عليه استعمال الأدوات الشفهية ( تاريخ الحياة اليومية، التقنيات الحديثة...)([1]).

لقد ساهم الانفتاح على العلوم المعرفية والعلوم الاجتماعية في توسع مفهوم الوثيقة بحيث لم تعد مقتصرة على الوثيقة المكتوبة بل تجاوزت ذلك لتشمل المشهد الجغرافي والأثر المادي والشهادة الشفوية، وساهم الانفتاح على علوم أخرى في اتساع دائرة مصدر المؤرخ وظهوروثائق جديدة يمكنها أن تسهم في كتابة التاريخ حيث ينتهي عبد الله العروي في هذا الاتجاه إلى رأي اعتبره صائبا ومقنعا إلى حد كبيرإذ ميز"أنواع الكتابة بأنواع الشواهد المعتمدة"([2]).

فإذا كانت المصادر أساسية في عملية الكتابة التاريخية كما يقول هنري إ. مانرو:" إن التاريخ يكتب انطلاقا من الوثائق"، فإنها تملي علينا ماذا يجب قوله، ولذا لا بد أن تتوفر لدى الباحث معالجة إشكالية، وتفسيردقيق للنصوص حتى لا تصبح الكتابة التاريخية بحثا بلا مغزى ولا طائل من ورائه([3]).

المحور الثالث: تطور الكتابة التاريخية قراءة تحليلية:

تطور المنهج الوضعاني في الكتابة التاريخية، واكتمل خلال القرن التاسع عشر، ضمن السياق العام الذي تطورت فيه الوضعانية في سائر العلوم الحقة والعلوم الاجتماعية. هكذا نظر المؤرخون الوضعانيون، الذين يطمحون إلى أن يصبح التاريخ علما، إلى دور الوثيقة في كتابة التاريخ، على أنه مماثل لدورالمادة في بناء المعرفة العلمية من قبل العالم الطبيعي وتفسيره، وهم في كل ذلك كانوا يحاولون الابتعاد عن التأويلات الفلسفية والتنظيرات العامة التي التصقت بالكتابة التاريخية لفترة من الزمن. وقد فسح التصور الوضعاني لمفهوم الوثيقة ودورها في بناء المعرفة التاريخية، المجال لازدهار النقد التاريخي، وتطوره في أفق إنتاج معرفة تاريخية تتسم بالموضوعية؛ بشكل لا يقل موضوعية عن المعرفة العلمية الحقة([4]).

هكذا انبثقت أهمية الأرشيفات التاريخية، وأصبحت مصدرا من مصادر الثقافة، إذ تحتوي على كم هائل من المعلومات المفيدة للباحثين، وتساهم بشكل كبير؛ على غرار ضبط المعلومة

---

1- نفسه، ص.98.

2- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1992، ص.47.

3-محمود التايب، " الذاكرة والهوية والمناهج في الكتابة التاريخية الحديثة والمعاصرة لبلدان المغرب"، ضمن مؤلف جماعي: الكتابات التاريخية في المغارب: الهوية، الذاكرة والإسطوغرافيا، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 138، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط.1، 2007، ص.55.

4- محمد صهود، "مفهوم الوثيقة التاريخية بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية"، مجلة التدريس، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الراط، العدد 8، السلسلة الجديدة، دجنبر 2016، صص.91-92.

التاريخية وتحقيقها؛ في إثبات حقوق الأفراد، وتحديد العلاقات الاجتماعية[1]. فالتاريخ يكتب اعتمادا على وثائق مكتوبة، بدون شك عندما تكون متوفرة، لكنه أيضا يمكن أن يكتب اعتمادا على كل الأدوات، التي يُتاح للمؤرخ استعمالها، والاستعانة بها.

ومن هذا المنطلق قارب الفلاسفة بين نوعين من المصادر التي يعتمدها المؤرخ، الوثيقة المكتوبة والمعلمة التاريخية في إطار ما أطلقوا عليه كقاعدة: بحفريات المعرفة ( Archéologie du savoir)"، التي لا يستقيم البحث التاريخي إلا بها، على غرار ما كان سائدا في السابق حينما كان التاريخ يقرأ في الكتب كما تقرأ الروايات الشيقة، الطافحة بالحوادث والمغامرات، ولم تكن للنصوص التاريخية أية أهمية، إذ أن قراءتها؛ تقتضي القيام بعملية نقدية هادفة وإلى إجراء نوع من التمحيص والتحقيق.

وعلى هذا الأساس أصبح المؤرخ يتحمل مسؤولية جديدة وجسيمة في الآن نفسِه. فلم تعد مهمته تقتصر على سرد الأحداث بأسلوب أدبي يغري بجماله، بل أصبح شغله الشاغل؛ تناول المصادر التي يعتمد عليها بالدرس والمقارنة، ويستخرج منها كل العناصر الصالحة، ويلغي منها كل ما يبعث عن الشك والريبة، متسلحا في ذلك بالأدوات المعرفية التي تقتضيها المعالجة التاريخية للنصوص والوثائق، طبقا للتوجهات الجديدة التي تدعو إليها المدارس التاريخية برمتها ومدرسة الحوليات على وجه الخصوص.

كل هذا يوضح ضرورة استحضار الوثيقة التاريخية باعتبارها المادة الأولية التي يتوقف عليها عمل المؤرخ، لأنها تقدم ضمانات و افية بالرغم من أنها ليست مبرأ من التحريف والتزوير، ولكنها أقل بكثير تعرضا لمثل هذا الخطر عن الرواية الشفوية التي أصبت تطرح نفسها بإلحاح عند غياب الوثيقة.

تعتبر كتابة التاريخ، منهجا ورؤية بعيدة تُلخّصها في النهاية وثائق وأسانيد تضم في سطورها حقائق، وتكشف عن أمور وقضايا تتجدد مع البحث العلمي على الدوام، وتفتح أمام الباحثين أبو اباً للاجتهاد والدراسة والتحليل، وفقاً للظروف والعوامل التاريخية التي استوجبتها تلك الوثائق في مرحلة زمنية معينة.

وإذا ما تو افرت هذه الوثائق و أُتيح لها الظهور، تظل مصدراً حقيقياً لكتابة التاريخ والبحث فيه. فلا تاريخ بلا وثائق ومن دون شواهد أو أدلة مؤكدة. فمنذ زمن ليس بالبعيد، وإلى حدود الآن، ومع نشوء المدارس التاريخية الحديثة وتطورها، لم يعد التاريخ حكايات وقصص تُروى، أو أساطير خارقة، أو مو اقف ساخرة يتندر بها ... ولكن التاريخ أصبح ذاكرة حية للشعوب، ومادة علمية غزيرة تحتاج في التعامل معها إلى أمانة متناهية، لا يتقنها سوى المؤرخون والباحثون المخلصون، ويكاد يرددها

1- أشرف عبد المحسن الشريف، م. س.، صص.34-35.

كثير من الناس في بلادنا كل يوم في شغف بالماضي وإسقاط على الحاضر ... والمستقبل أيضاً، ربما يقدمان في و اقع الأمر ومن منظور الموروث الشعبي تعريفاً شاملاً ومختصراً للتاريخ ووقائعه، ويشيران بجلاء إلى أهمية الوعي بقيمة الوثائق التاريخية. وما دام أن التاريخ والوثيقة لا ينفصلان، ويلتقيان في نقطة واحدة، هي التاريخ نفسه، فإن المصادر المحلية بما تحتويه من وثائق تظل ذات أهمية كبيرة لمن يهمه الاشتغال بموضوعات تاريخ المغرب المعاصر على سبيل المثال.

وهذا ما بدأ الاشتغال به منذ استقلال المغرب، حيث أصبحت الحاجة إلى كتابة تاريخه الحديث والمعاصر أمرا ملحا، من أجل جمع شتات الأفكار، ومواجهة التحديات التي تهدف إلى النيل من هوية البلاد الخاصة. ومن أجل هذا أسرع بعض الباحثين إلى سد هذه الحاجة. إلا أن الرغبة في الإنجاز السريع جعلتهم يعيدون بعض الأفكار الجاهزة أو لا يتفطنون لبعض العيوب، فجاء تاريخهم ذاكرة وأسطورة أصبحت متجاوزة مع مستجدات البحث التاريخي، وما توفره دور الأرشيفات من وثائق للإجابة على ما كان أسطورة، وأصبح و اقعا حيا تؤرخ له الوثائق التاريخية التي وضعتها دور الأرشيفات الأجنبية رهن إشارة الباحثين في تاريخ المغرب المعاصر خلال السنوات الأخيرة، والتي أسهمت لا محالة في إعادة طرح الإشكالات السابقة، وتصحيح مجموعة من المعارف التاريخية التي لم تكن تستند في السابق إلى دلائل مادية وتاريخية تساهم في توضيحها ( والأمثلة في هذا الاتجاه كثيرة مثلا وثيقة المطالبة بالاستقلال التي كانت في نسختها الأولى عبارة عن وثيقة تمت المطالبة فيها بتغيير وثيقة الحماية بوثيقة أخرى؟ وهو ما كان غائبا عند مجموعة من الباحثين).

ومن جملة ما يمكننا توجيهه من انتقادات لهذه الكتابات، هي إنها ركزت كل اهتماماتها على الأفراد في اعتقاد من أصحابها أنهم صانعي التاريخ، في الوقت الذي اعتبرنا فيه أن كتابة التاريخ؛ وخصوصا في الوقت الراهن؛ أصبحت تولي اهتمامها الكبير لكفاح وهموم ومتطلبات الشعوب؛ أي لمنسيي التاريخ؛ من الاهتمام بالسير الشخصية وبحياة الأبطال أو البيوغر افيات. فالتاريخ أصبح اليوم مرآة المجتمع، فالكل له الحق أن ينظر نفسه في هذه المرآة ومن الزاوية التي يختارها.

وهنا يمكن أن نقول بأن الأمر لا يتعلق بخطأ أو اتهام، ما دام كل باحث يطرق على سندان الماضي ليوجه حزمة الشرار نحو الاتجاه الذي يريده، فالأمر يتعلق بموقف، وباسم هذه المو اقف يقع لا الخطأ، و إنما التشويه، وهذه ضريبة القراءة التي أراد البعض أن يعالج بها تحليل الماضي.

إن الماضي الإنساني عندما كان "حاضرا" كان شيئا غامضا ومعقدا كثير الإشكال، وغير واضح المعالم، يستحيل على الذين عاشوه أو شاهدوه أن يدركوا كنهه أو يتفطنوا لو اقعه الحقيقي، لذلك حاولت الكتابات التاريخية المعاصرة (في المغرب) أن تجعل من عمل الحوليين ومما تقدمه الوثائق، رؤية مرتبة تنبثق عنها الخطوط والمعاني العامة. وهذا ما يتعارض مع ما ذهب إليه سينوبوس (Seignobos) اعتمادا على قولته الشهيرة:" إن التاريخ هو الوثيقة"، بالرغم من أن اتجاهه هذا تعرض

لمجموعة من الانتقادات التي تذهب في مجملها إلى أن دور المؤرخ انطلاقا من هذه الرؤية، تحول إلى تقني أو عامل اقتصرت مهمته على ترتيب المواد الخام.

لكن ليس هناك ما يدعو إلى الانزعاج، سيما وأن مجمل المؤرخين يعتبرون أن التاريخ المعتمد على الوثيقة ما هو إلا تلك الأجوبة المؤقتة لأسئلة تطرح باستمرار على الماضي. وبدون هذا التساؤل يظل الماضي الإنساني يكتنفه الغموض والصمت أي أنه شيء تافه une foutaise حسب تعبير Valery.

فبالأجوبة عن " كيف" و"لماذا" يتقدم البحث نحو المركز غير المرئي لذلك التيه الشاسع، حيث تكمن الأسرار التي لم يتفطن إليها الحوليون، بالرغم من أن كل التساؤلات لا يمكن أن تؤدي إلى الأجوبة الصحيحة.

فالمعرفة التاريخية يمكن أن تشوه منذ البداية، ارتباطا بالطريقة التي وُضع بها السؤال، الذي يطرح هو الآخر مجموعة من الإشكالات يصعب تحديدها.

إن المفاهيم التاريخية (حتى لا نقول الحقائق التاريخية) تتطور بتطور الزمن، وتاريخ المغرب المعاصر الذي نحن بصدده، ملحق لحاضرنا. ومن هنا يمكن القول، إن لكل جيل رؤيته التاريخية التي تميزه عن الأجيال الأخرى. ففهم التاريخ يحتم على كل واحد أن يوظف قوة من الإدراك والإحساس والخيالية، تختلف من جيل لآخر. فلكل نفس سلوكها، وإذا كانت هناك قاعدة تلتقي حولها جميع النفوس؛ هي أن لكل واحد الحق في الخطإ والهفوة. فالتاريخ مدرسة حرية لا مدرسة تبعية، وكثير من يقينياتنا تتصل اتصالا وثيقا بمشاعرنا وعواطفنا، لأن التاريخ كما قال الأستاذ إبراهيم بوطالب" لا ينحصر عند سطح الأحداث وذكر البطولات والتنويه بالأمجاد، و إنما التاريخ تحليل شامل وشرح إلى أبعد ممكنات الشرح، " فهو علم الإنسان بالدرجة الأولى" على حد قول مارك بلوخ، مجرد عن الاعتبارات الأخلاقية، يعنى بالأصول والفروع والجزئيات والكليات والثوابت والمتغيرات، مما كان العلامة ابن خلدون قد أدركه باكرا"([1]).

إننا من خلال هذه المحاولة لا نطمح إلى تقديم قراءة نقدية لكل الإنتاج المعرفي المنجز من قبل الأوربيين وفي مقدمتهم الفرنسيين حول المجتمع المغربي في الفترة المعاصرة. ولا نسعى أيضا إلى القيام بجرد ونقد بيبليوغرافي لذلك الإنتاج، وذلك لسببين: يتمثل الأول في كون قراءة من هذا النوع تتطلب تضافر جهود باحثين ينتمون إلى مختلف الحقول المعرفية التي تطرقت لها الدراسات والوثائق الخاصة بإدارة الحماية الفرنسية، وإلى حد ما الإسبانية، نظرا لكون المغرب خضع في نهاية المطاف

1- إبراهيم بوطالب، "البحث الكولونيالي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية: حصيلة وتقويم"، ضمن كتاب: البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، الرباط، 1989، ص.135.

للسيطرتين معا. أما السبب الثاني فيكمن في كون موضوع "الإنتاج الكولونيالي"، موضوع سال بشأنه مداد كثير من الطرفين معا: الطرف المغربي الذي كان في تلك الفترة موضوعا لذلك الإنتاج، ثم أصبح في المرحلة اللاحقة، أي بعد الحصول على الاستقلال، من المساهمين والمشاركين في النقاشات التي دارت حول ذلك الإنتاج. والطرف الفرنسي الذي كان في مرحلة أولى من موقع المنتج والمقرر؛ إنْ على المستوى السياسي أو الإداري أو الاقتصادي أو المعرفي. فتحول بذلك إلى شريك في تقييم الحصيلة والنتائج.

ففيما يتعلق بالطرف الأول (المغربي) حاول الباحثون المغاربة منذ الاستقلال، وفي مجموعة من التخصصات المنتمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي مقدمتها التاريخ، وخاصة تاريخ الفترة المعاصرة، وعلم الاجتماع واللسانيات وإلى حد ما الجغرافية، نقض الأطروحات الكلونيالية التي حبلت بها دراسات ما قبل الحماية و إبانها. وتم التركيز على القرن التاسع عشر بالخصوص وبداية القرن العشرين، في محاولة للنقض والبناء في آن واحد: نقض الأحكام والمواقف الفرنسية، وبناء رؤية جديدة، بغية رسم صورة مغايرة لتلك التي رسمتها الأقلام الفرنسية وغيرها، والتي كانت تدخل في إطار تبرير "المصير الحتمي" الذي آل إليه المغرب بعد ذلك، والمتمثل في الخضوع للسيطرتين الفرنسية والإسبانية.

ولرسم تلك الصورة، اعتمد الباحثون المغاربة على مرجعية أخرى، لم تكن في متناول الفرنسيين آنذاك، أو أنها كانت في المتناول لكنها وُظفت لخدمة الأغراض المسبقة، بمعنى أنها قُرئت وأُوِّلت وفق ما يؤكد خلاصات الدراسات النظرية أو الميدانية. ونقصد بها الوثائق المخزنية. وقد تم التركيز على هذا التوجه إلى درجة أن البعض صار يتحدث عن "تكوين مدرسة مغربية في ميدان التاريخ"، المرحوم جرمان عياش نموذجا.

ويعتبر اعتماد الوثيقة المخزنية، وتحقيق مجموعة من الأعمال التي بقيت إلى حدود ذلك التاريخ غميسة ومجهولة، وحبيسة الخزانات العمومية والفردية، نتيجة حتمية لموقف المغاربة من الإرث المعرفي الذي خلفه الاستعمار. وهو الموقف الذي اتسم في البداية بنوع من التشنج، نظرا لكون عدد من الدراسات الصادرة عن المغرب، كانت قد أُنْجزت في إطار التمهيد للاستعمار، ومن جهة ثانية بسبب أن الأعمال المنجزة في ظل الحماية، وُظف جانب منها في السيطرة أو استكمال السيطرة على المغرب، و إقحامه في دائرة الهيمنة الفرنسية. وبذلك كانت عملية إنتاج المعرفة بشأن المغرب مُزامنة من الناحية التاريخية للمشروع الاستعماري ومواكِبةً له. كما أن التقييم النقدي، ومحاولات نقض أسسه ومسلماته كانت موازية للحركات التي أدت إلى الاستقلال، الذي لم يكن مقتصرا فقط على الجانب السياسي، و إنما تعداه إلى المستوى المعرفي أيضا.

لكن ذلك الموقف وإن كان في البداية متشنجا، فقد بدأ يلين مع مرور الزمن، وذلك لاعتبارين: الأول هو الوعي بأن تلك المعرفة لا تخلو من فوائد، وإن أنتجت في ظل السيطرة الاستعمارية، فقط يجب تخليصها من النزعة الاستعمارية العالقة بها. أما الاعتبار الثاني؛ فيتجلى في كون أن إعادة كتابة تاريخ المغرب في امتداده الزمني لا يمكن أن يتم فقط بناء على "الوثائق المخزنية" وحدها، لأنها غير

كافية لتقديم إجابة و افية على جملة من القضايا والإشكالات المطروحة، بل والتي لا زالت عالقة في تاريخ المغرب المعاصر على وجه الخصوص، أو التي اعترضت سبيل الباحثين أثناء إنجاز أبحاثهم ودراساتهم، فصار الإنتاج الكولونيالي أُفُقا يصعب تخطيه أو تجاوزه.

أما فيما يتعلق بالطرف الآخر، فرنسيا كان أم أوربيا، فقد حاول من جهته القيام بمراجعة نقدية للدراسات التي خلفها أسلافه خلال الفترة المعاصر. وقد اتخذت تلك المراجعة شكلين مختلفين لكنهما متكاملين: شكل جماعي هو عبارة عن ندوات دولية كبرى انعقدت خصيصا للقيام بتلك المراجعة، وكان أهمها على الإطلاق أربع ندوات كان موضوعها العلاقة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلاقتها بالاستعمار، واحدة منها احتضنتها كلية الآداب بالرباط سنة 1989 وكان موضوعها:" البحث في تاريخ المغرب: حصيلة و آفاق"، بينما انعقدت الأخرى بباريس 17-18 يونيو 1977 في موضوع:

« Elaborations et applications politiques des sciences humaines en Afrique au 19 ème siècle » (1).

التمثلات والتطبيقات السياسية للعلوم الإنسانية في أفريقيا إبان القرن 19

والتي نشرت أعمالها في مؤلف بعنوان:

« Sciences de l'Homme et Conquête Colonial : Constitution et usages des sciences humaines en Afrique (XIX-XX Siècle), communications réunie et présentées par Daniel Nordman et J. P. Raison, Presse de l'Ecole Normal Supérieur, Paris, 1980 » (2).

أما الندوة الثالثة فقد عقدت بالولايات المتحدة الأمريكية بجامعة برينستون ما بين 24-26 أبريل 1982 وشارك فيها باحثون أمريكيون وأوربيون ومغاربيون ونشرت مداخلاتها في مؤلف آخر بعنوان:

Connaissance du Maghreb : Sciences Sociales et colonisation, Paris, Ed. du Centre National de la (CNRST), 1984.(3)

ثم هناك ندوة رابعة انعقدت حلقاتها بباريس والتي خصص موضوعها للسوسيولوجيا الإسلامية عند روبير مونطاني Robert Montagne .

---

1- كمال، حسن، (2002)، مؤسسات البحث العلمي والتعليم بالمغرب خلال فترة الحماية" مقاربة تاريخية"، أطروحة الدكتوراه، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- أكدال، ص.5.

2- حسن كمال، مؤسسات البحث العلمي... م. س.، ص.5.

3- نفسه

أما الشكل الثاني فقد كان فرديا وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات التي أنجزها باحثون في إطار اهتمامات أو توجهات فردية أكاديمية. وكانت تلك مناسبة لكلا الطرفين معا لتحقيق المصالحة، ونقطة أساسية لتقاطع وجهات النظر على الأقل في مسألة التقييم النقدي لما كتب خلال الفترتين السابقتين.

هكذا إذن يمكننا القول بخصوص الوثائق الأجنبية أنه وبالنظر لخفوت الحماس الوطني بعد الستينات، تمت إعادة الاعتبار لهذا الصنف من المصادر، ولم يعد النظر إليها كمصدر ثانوي ومساعد، بل أثبتت الدراسات المنجزة أن الوثائق الأجنبية؛ إذا ما استعملت بما ينبغي من الحيطة والحذر، قد تصبح أساسية في الكشف عن بعض الجوانب أو الحقائق التاريخية التي لم تحظ باهتمام كاف من طرف مصادرنا التقليدية ([1]).

إن التركيب التاريخي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستغني عن الوثيقة، لأنه لا يريد أن يكون مجرد خيال مفرط لا علاقة له بالواقع التاريخي وبما يشهد عليه من وثائق وآثار، ولكن هذا التركيب لا يتعامل مع الوثيقة بنفس تعامل المؤرخ التقليدي، فهو لا يأخذها كمعطى، بل كنتيجة.

خلاصة: إن ما يمكننا تسجيله في الموضوع هو أن الوثائق الأجنبية ولا الكتابات التاريخية المغربية الخاصة بالفترة المعاصرة لم تكن لتتخلص من (الأنا)، لذلك وجب الاحتياط منهما جميعا.

ويعكس تتبع تطور التأليف التاريخي بالمغرب منذ الاستقلال إلى اليوم، تطور الوعي بكتابة التاريخ الوطني من جهة، والتزام التوجهات المنهجية المعاصرة من حيث البحث التاريخي على المستوى العالمي من جهة ثانية. وحرص الجيل الأول من المؤرخين المغاربة على ترسيخ الهوية الوطنية وتخليد الأمجاد والتركيز على كل المظاهر التي تدعم وحدة الأمة وتقوي الدولة الوطنية، بالرغم من أنه لم يكن هو التاريخ الذي تتوق إليه همم المؤرخين الشباب والذين كان اهتمامهم يتعدى الوجه الزاهي والمشرق من الماضي الذي يحتاج إلى غربلة وتدقيق.

إن الدراسات التاريخية المعاصرة مازالت تحمل في قسمها الأكبر حالة من البعد عن هموم الفلسفة وعلوم الاجتماع والفكر، وأسئلة هذه الأخيرة حول قضايا الدولة والمجتمع والأمة والسلوك والمصير وطبائع العلاقات والنفسيات. كما أنها مازالت تعطي منهجا في التعامل مع الوثائق والمصادر دورا كليا في التوصل إلى تقرير "الوقائع" و" الحقائق"، وتمنح صرامة التقنية في نقد هذه الوثائق معنى مبالغا به لما تسميه " الموضوعية"، في حين تشهد العلوم الاجتماعية والألسنة وتطور علم المعرفة موقف تعيد النظر بمفهوم "الموضوعية" وبأنماط " الحتميات" المختلفة([2]).

1- الأبحاث التي قام بها مثلا الأستاذ حسن الفكيكي في موضوع: الثغور المغربية الشمالية المحتلة من طرف الإسبان.

2- وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص.85.

# توثيق النقود من خلال التاريخ مسكوكات الخليفة العباسي المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م) في سمرقند وبخارى في فترة خلافته وبعد خلعه وبعد وفاته أنموذجاً

الدكتور ضياء الحسن /شركة الزبيدي للاستشارات الإدارية الاردن

## المقدمة

تعد دراسة تاريخ المشرق الإسلامي من المواضيع المهمة التي أثارت اهتمام الكثيرمن المؤرخين العرب والأجانب، وذلك لما فيها من موضوعات وأحداث تاريخية تشد الباحثين وتجلب أنظار الدارسين وتسترعي اهتمامهم باستمرار، والنقود من الادلة الاثارية الصريحة والحيادية لتعضيد دراسة التاريخ، وازاحة الكثيرمن اللبس الذي يعتري المرويات، اذ هي احدى مقومات السلطة بعد البيعة والخطبة.

اذ يسلط الضوء هذا البحث على الاحداث التاريخية في بلاد ما وراء النهر(اوزبكستان حاليا) بالحواضر الرئيسية (بخارى وسمرقند) وتبادل الادوار بالسيطرة على المنطقة من قبل السامانيين والصفاريين وظهور البويهيين وهيمنتهم على دار الخلافة وللفترة ما بين (227-334هـ/841-945) وارتباط تلك الحوادث التاريخية بالنقود وبالذات في عهد الخليفة المستكفي بالله(333-334هـ/944-945م) لما تشكله النقود(المسكوكات) من اهمية بارزة في تثبيت التاريخ وتصحيحه، بما تحمله من دلالات ومأثورات وكتابات لحكام وامراء لعبوا دوراً في المشرق الإسلامي وبالذات في مدينتي بخارى وسمرقند.

اذ تناول المبحث الاول وبإيجاز اهم المجريات التاريخية في بلاد ما وراء النهر منذ عهد الخليفة الواثق بالله لغاية عهد الخليفة المستكفي بالله وكيف دانت السيطرة للسامانيين على بلاد ماوراء النهر، اما المبحث الثاني فتناول توثيق النقود التي ظهرت في عهد الخليفة المستكفي بالله، والنقود التي ظهرت بعد عزله من قبل البويهيين، فظهرت نقوده في بلاد ماوراء البحر لعدم اعتراف السامانيين بالخليفة الذي نصبوه البويهيين مكان المستكفي بالله وظهرذلك جليا من خلال النقود، وحتى بعد وفاة المستكفي بالله ظهرت له نقود في بلاد ماوراء النهر من قبل السامانيين، نتم نشر نقود عند خلافته وبعد خلعه، وبعد وفاته وثم النتائج، والمصادروالمراجع، وجدولين بشجرة نسب السامانيين ومدة حكمهم، والاشكال.

## المبحث الاول

## لمحة تاريخية عن بلاد اقليم ماوراء النهر(سمرقند وبخارى) في ظل الخلافة العباسية

تم في عهد الواثق بالله (227- 232هـ/841- 846م) فصل اقليم ما وراء النهر أدارياً عن سلطة الطاهريين[1] في خراسان وعهد بها الى السامانيين[2]، وجعل ولايتهم على المستوى ذاته للخلافة مباشرةً[3].

توفي وهو على سمرقند سنة 227هـ/841م، زعيم الاسرة السامانية نوح بن اسد الذي حكمها للفترة ما بين (204- 227هـ/ 819- 841م) فانتقلت ولايتها إلى اخيه أحمد والي فرغانة الذي حكم للفترة ما بين (204-250هـ/819- 864م).

تولى الخلافة بعد وفاة الواثق بالله أخوه جعفر، الذي لقب بالمتوكل على الله(232- 247هـ/846-861م)، حيث كان على ولاية خراسان طاهر الثاني بن عبدالله بن طاهربن الحسين(230-248هـ/ 844- 862م) وقام الخليفة الله بتثبيت أبناء اسد السامانى على مدن اقليم ما وراء النهر.

---

(1)- يرجع نسبهم الى قائد المأمون ابو الطيب طاهر بن الحسين بن اسعد بن أزريق، ولد سنة 159هـ/775م، وتوفي سنة 207هـ/ 822م، وهو والي على المشرق، ولقبه المأمون بذو اليمينين، وخلفه على ولاية المشرق ابنة عبدالله، انظر ابن الاثير، عزالدين ابوالحسن علي بن محمد الجزري (630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، 12 جزء، تحقيق يوسف سيد، ج6، المطبعة الازهرية المصرية، القاهرة- مصر، 1883م، ص75- 80، وسيشار اليه فيما بعد، ابن الاثير، الكامل في التاريخ؛ ابن خلكان، ابي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، (681هـ/ 1282م) وفيات الاعيان وأنباء الزمان، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م، ص 75-476، وسيشار اليه فيما بعد، ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء الزمان؛ زامباور، ادوارد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تحقيق: زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، 1980م، ص: 299-300، وسيشار اليه فيما بعد، زامباور، معجم الأنساب والأسرات.

(2)- السامانيين أسرة مؤسسها سامان بن جسمان، وكان جده مزربان أذربيجان، وكان سامان من اصحاب ابو مسلم الخراساني (ت: 136/ 753م)، وابنه أسد من الموالين للخلافة العباسية هو واولاده( أحمد: والي فرغانة، ونوح: والي سمرقند، وإلياس: والي هراة، ويحيى: والي أشناس، والحارث)، حيث ولى الخليفة المأمون غسان بن عباد سنة 204هـ/ 819م على خراسان وبلاد ما وراء النهر، الذي قام بدوره توليه اولاد اسد السامانى على مدنها، وقام المأمون بتثبيتهم لإخلاصهم الى الدولة العباسية، حيث توارثوا الحكم عليها ووسعوا سلطانهم على مدن اخرى لفترة تزيد عن القرنين، أنظر المزيد، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص122، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص:306، 308.

(3)- تعددت التفسيرات بهذا الاجراء، فإما لرفع شأن السامانيين الذين بدأوا بكفاءة عالية إدارة هذه المناطق، أو لرفع العبء عن الطاهريين الذين بدأ حالهم بالتراجع وبالذات بعد وفاة عبدالله بن طاهر، انظر الهامي، محمد، رحلة الخلافة العباسية،ج1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2013، ص:592، وسيشار اليه فيما بعد، الهامي، رحلة الخلافة العباسية.

توفي أحمد بن أسد الساماني في سنة 250هـ/ 864م، وهو على سمرقند وفرغانة، فخلفه ابنه نصر الاول بن احمد(250- 279هـ/864- 892م)، وقام الخليفة المستعين بالله (248-251هـ/862- 865م)[1] بتثبيته على المدن التي كانت بيد أبيه.

سيطر يعقوب بن الليث الصفاري على سجستان وعلى بوشنج وهراة وامتد نفوذ سيطرته الى نيسابور والري وقزوين والاهواز، حيث أسس يعقوب مع اخيه عمرو للصفاريين ملكاً عريضاً في شرق الدولة الاسلامية بمدة لم تتجاوز ال 36 سنة[2].

أرسل الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/869- 892م) كتاباً بتولية الامير نصر بن أحمد على جميع اعمال ما وراء النهر من نهر جيحون الى اقصى المشرق حيث أقام الامير أسماعيل بن أحمد الخطبة في بخارى لأخيه الامير نصر، وحذف اسم يعقوب بن الليث الصفاري من الخطبة والسكة، وبذلك آل اقليم الصغد وباقي مدن ما وراء النهر للسامانيين، بعدما زال عنها الصفاريون[3].

توفي الامير نصر الاول بن احمد في سنة تولي المعتضد بالله الخلافة(279- 289هـ/892-901م) فتولى بعده أخوه الأمير إسماعيل بن احمد (279-295هـ/ 892- 907م) ولاية اقليم ما وراء النهر، بعد ان كان والي لمدينة بخارى، فذهب إلى سمرقند حاضرة اقليم ما وراء النهر، و أقرهُ الخليفة على الاقليم[4].

في سنة 288هـ/900م، كافأ الخليفة المعتضد بالله الأمير الساماني إسماعيل، بعد ان قضى على عمرو بن الليث الصفاري، بأن أرسل إليه تقليداً بحكم خراسان، فصارت من حقبة حلوان وولاية خراسان وبلاد ما وراء النهر تابعه له، فبعد ان كانت بلاد ما وراء النهر تابعة أدارياً إلى خراسان، وتعيين حكامها يأتي

---

(1)– ترك المستعين بالله سامراء الى مدينة السلام سنة 251هـ/865م، بعد ان احس بدنوا اجله، فاتفق رجال القصر والقادة على تولية الخلافة الى اخيه ابو عبدالله المعتز بالله، فتنحى المستعين سنة 252هـ/866م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص:21.

(2)– كان يعقوب بن الليث من افراد المطوعة (وهي تشكيلات عسكرية) تعمل على حماية سجستان وفارس وكرمان من هجمات الخوارج، ثم عظم امره فاستولى مع اخوه عمرو على عدة مدن في المشرق الاسلامي، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 60.

(3) اضطر السامانيون إلى كتابة اسماء الصفاريون على نقودهم لكي لا يتوسعوا في اراضيهم، بعد أن سيطر يعقوب الصفاري - على خراسان وعلى جزء من بلاد ما وراء النهر، لكن وبعد الولاية التي جاءت من الخليفة المعتمد على الله، قاموا بحذف اسمائهم من النقود، انظر، الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، 1999م، ص: 41–42، وسيشار اليه فيما بعد، الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي.

(4)– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص:151.

منها، تم فصل خراسان عن بلاد ما وراء النهر، ثم وبموجب هذا التكليف أصبحت خراسان تابعة إلى بلاد ما وراء النهروتعيين العمال والولاة لها يأتي من الحكام السامانيين[1].

توفى الأمير إسماعيل بن أحمد وهو على بخارى في خلافة المكتفي بالله(289- 295هـ/901- 907م) الذي تولى الخلافة خلفاً لأبوه المعتضد بالله، فأرسل الخليفة لواء خراسان وبلاد ما وراء النهر إلى الأمير أحمد الثاني بن إسماعيل والذي حكم للفترة ما بين(295- 301هـ/907-913م) بيد وزيره طاهر بن وزير[2].

ثبت الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907- 932م) ما بيد الامير أحمد الثاني بن اسماعيل، من بلاد خراسان و اقليم ما وراء النهر[3].

قتل الأمير أحمد الثاني بن إسماعيل في سنة 301هـ/ 913م، ولقب بالشهيد وولى الحكم بعده ابنه أبو الحسن نصر الثاني بن أحمد الثاني الذي حكم للفترة ما بين (301-331هـ/913- 942م) ولقب بالسعيد(ظهر هذا اللقب على النقود).

أسند الخليفة المقتدر بالله إلى الأمير نصر الثاني الساماني ولاية الري في سنة 314هـ/926م والذي بدوره ولى عليها محمد بن علي بن صعلوك(ظهرت له نقود). في سنة 318هـ/930م، خرج أبو زكريا يحيى، و أبو صالح منصور، و أبو اسحق إبراهيم (أولاد أحمد بن إسماعيل) على اخيهم الأمير نصر الثاني؛ لمخالفتهم له، مما أدى لإيداعهم بالقهندر(قلعة)، ثم هربوا وعملوا ثورة ودخلوا نيسابور، فلحق بهم، وتغلب عليهم، ثم عفى عنهم وتصالح معهم[4](النقود صلحت التاريخ بظهور اسم احد هؤلاء الثوار سنة 316هـ/928م)

(1)– الطبري، محمد بن جرير،(ت:310هـ/922م)تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 2012م، ج5، ص656،وسيشار اليه فيما بعد، الطبري، تاريخ الامم والملوك؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 198.

(2)– الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص:669؛ النرشحي، أبو بكر محمد بن جعفر، (ت: 348/959م) تاريخ بخارى، ترجمة: أمين عبدالمجيد بدوي، دار المعرفة، القاهرة– مصر،1965،ص:، وسيشار اليه فيما بعد النرشخي، تاريخ بخارى، ص 96؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص2.

(3)– ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص:10

(4)– ذكر ابن الاثير بان الثورة حدثت سنة 317هـ/929م، وفي مكان اخر سنة 318هـ/930م، ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج8، ص:52، لكن النقود حملت تاريخ آخر يختلف عن التواريخ التي ذكرها ابن الاثير(بحث مستقل).

وفي خلافة القاهر بالله (320-322هـ/932-933م) أستطاع الأمير أحمد الثاني من استعادة مدينة جرجان، واستعمل عليها ابو بكر محمد بن المظفر بن المحتاج[1]، ورد اليه تدبير الامور بنواحي خراسان، وعاد الامير الى بخارى مقر العاصمة[2].

في خلافة القاهر بالله بدأ ظهور أولاد بويه أبي شجاع وهم؛(أبو الحسن علي عماد الدولة، أبو علي الحسن ركن الدولة، أبو الحسين أحمد معز الدولة) وبويه من اصل فارسي، ويرجع نسبه الى يزدجر الساساني، وكان صياداً، وبدأوا أولاده كجند عند القائد ماكان بن كالي[3]، الذي اختلف مع مرداويخ بن زيار[4]، فذهب ابن كالي الى الامير السامانى أحمد الثاني بن نصر فمال اولاد بويه مع الاقوى وهو مرداويخ، الذي احسن استقبالهم وأكرمهم، وقلد أبا الحسن علياً مدينة كرج[5].

سملت عينا القاهر بالله سنة 322هـ/933م، وأجبر على التخلي عن الخلافة من قبل رجال القصر، وأخرج محمد بن المقتدر بالله من السجن، وتولى الخلافة ولقب بالراضي بالله الذي حكم للفترة ما بين(322-329هـ/ 933-940م).[6]

استولى أبو الحسين أحمد بن بويه على كرمان في نفس سنة تولي خلافة الراضي بالله، فسار منها عساكر نصر الثاني بن أحمد الثاني السامانى الى خراسان، فتغلب القائد البويهي ابو الحسن علي، مع اخوه ابو علي الحسن على فارس وبلاد الجبل، فأصبح لأولاد بويه اليد الطولى في المنطقة.[7]

في سنة 327هـ/938م استعمل الأمير نصر الثاني على خراسان وجيوشها؛ أبا علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المحتاج والي الصغانيان، وعزل ابوه لمرضه.[8]

---

(1)- محمد بن مظفر بن المحتاج: قائد خدم في خراسان وبلاد ما وراء النهر، كان موالياً للخلافة وللحكام السامانيين، تولى نيسابور حاضرة خراسان، والصغانيان في بلاد ما وراء النهر، ظهرت له نقود، انظر؛ زامباور، معجم الانساب، ص:79، 310.

(2)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 87-88.

(3)- وهو قائد خدم عند الدولة الزيدية، ثم تحالف مع مرداويخ بن زيار لمقاتلة أسفار بن شيرويه، ثم تخلص منه مرداويخ واسس الدولة الزيارية، تغلب على نيسابور، انظر، زامباور، معجم الانساب، ص:79.

(4)هو مؤسس الدولة الزيارية، وكان في خدمة القائد اسفار بن شيرويه، فقصدوه أولاد بويه بعد ان قوى مركزه، ظهرت له نقود في مدن الجبل وجرجان وخراسان، زامباور، معجم الأنساب، ص: 319-320.

(5)- أبن الأثير، الكامل في التاريخ،ج8، ص: 84.

(6)- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى.(ت:355هـ/965م) أخبار الراضي بالله والمتقي بالله من كتاب الاوراق، تحقيق: (ج. هيورث .دن) دار الميسرة، بيروت- لبنان، 1970،ص: 165؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص:90

(7)- أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص:103-104.

(8)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 115.

توفي الخليفة الراضي بالله سنة 329هـ/940م، فاتفق رجال القصر على إبراهيم بن المقتدر بالله، فبويع بالخلافة ولقب بالمتقي بالله الذي حكم للفترة ما بين (329-333هـ/ 940-944م)[1].

توفي الامير الساماني نصر الثاني بن احمد الثاني صاحب خراسان وبلاد ما وراء النهر سنة 331هـ/942م، فتولى بعده ابنه نوح والذي لقب بالأمير الحميد (ظهرت نقود تحمل هذا اللقب) الذي حكم للفترة (331-343هـ/942-954م) وتولى امر تدبير ملكه الى ابي الفضل محمد بن احمد الحاكم[2].

ضعف الدولة السامانية بمجيء الامير نوح بعد وفاة ابوه الامير نصر الثاني، حيث حاول الامراء والولاة المحليين الاستقلال بمدنهم، وكذلك بعض الامراء من العائلة السامانية وبالذات حاضرة خراسان مدينة نيسابور، وبخارى حاضرة بلاد ما وراء النهر، فدخل الامير بصراع معهم وتمكن من القضاء على ثوراتهم واعاد المدن والبلدان الى الدولة السامانية[3].

تقلد امير الامراء توزون قيادة جيش الخلافة، فاختلف مع الخليفة المتقي بالله، فسمل عيناه و اقصاه من الخلافة، وجاء بأبو القاسم عبدالله بن المكتفي، ونصبه خليفة ولقب بالمستكفي بالله، الذي حكم للفترة ما بين (333-334هـ/944-945م)[4].

ذكرت المصادر التاريخية خلع الخليفة المستكفي في 22 من جمادي الاخر سنة 334هـ/945م، وسملت عيناه على يد بني بويه؛ الذين احتلوا دار الخلافة، وجاءوا بابي القاسم الفضل ابن المقتدر بالله؛ ولقبوه بالمطيع لله الذي حكم للفترة ما بين (334-363هـ/945-973م)[5].

واجه الامير نوح بن نصر الثاني صعوبات في حكمه من جراء سيطرة البويهيين على اجزاء واسعة من خراسان ودار الخلافة، اذ غزا ركن الدولة البويهي (ابوعلي الحسن) بلاد الري واستيلاءه عليها، الا ان قائد جيوش الامير الساماني ابا علي احمد بن المحتاج طرده من الري واستردها، ثم ثار على سادته

---

(1)- مجهول، مؤلف، (ت:350هـ/961م).العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق: عمر السعيدي، المعهد العربي للدراسات ، دمشق- سوريا، 1972م، ص: 246؛ أبن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 119.

(2) النرشخي، تاريخ بخارى، ص:150؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص130-131.

(3)- اظهر الامير احمد (ابا اسحق) (سك نقود لسنة 335هـ/946م) العصيان على الامير نوح ، لكن الامير استطاع ان يقضي على ثورة الامير احمد، انظر النرشخي، تاريخ بخارى، ص:151، لطفي؛ جورج، مجموعة اسلامية غير منشورة، طرابلس- لبنان.

(4)- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت:597هـ/1200م)المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للنشر،ج7، ص:229؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 142.

(5)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 148- 149؛ زامباور، معجم الأنساب، ص: 525-526.

السامانيين واستولى على خراسان بعد عدة معارك، واعترف به الخليفة العباسي المطيع لله، وبذلك انحسر النفوذ السامانى في المنطقة واصبحت حدوده بلاد ما وراء النهر[1].

## المبحث الثاني

## نقود المستكفي بالله اثناء توليه الخلافة وبعد خلعه وبعد وفاته

ذكرت المصادر التاريخية بتولي المستكفي بالله الخلافة [2]فظهرت نقود تثبت هذه الولاية، فقد اطلع الباحث على درهم من مجموعة خاصة من ضرب سمرقند لسنة 333هـ/944م، وظهرت ماثوراته كما يلي:

الوجه: المركز؛ لا اله الا/الله وحده/ لاشريك له، اطار، البسملة(بسم الله ضرب هذا الدرهم بسمرقند سنة ثلث وثلثين وثلثo1o{ثلثمائة})، طوق الوجه( لله الامر من قبل ومن بعد ويؤمنذ يفرح المؤمنون بنصر الله) ، اطار ثم حافة.

الظهر: المركز؛ لله /محمد/ رسول/ الله/ المستكفي بالله/ نوح بن نصر، اطار، طوق الظهر(محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ، وكما في الشكل رقم (1).

تميز الشكل السابق بخط كوفي بسيط، وظهور شهادة التوحيد كاملة في مركز الوجه وعلى ثلاثة اسطر ثم البسملة التي ظهر بها معدن الضرب واسم المدينة وسنة الاصدار، ثم طوق الوجه الذي احتوى على الاقتباس القرآني من سورة الروم(جزء من آيتي 4، و5)، ونقش في اعلى مركز الظهر كلمة (لله) أشاره الى أن زكاة اموال المسلمين لله وتدفع بهذه النقود[3]، ثم كلمات الرسالة المحمدية وعلى سطرين، ثم لقب الخليفة المستكفي بالله، ثم أسم الأمير السامانى نوح بن نصر، ثم طوق الظهر وظهر به الاقتباس القرآني للسور( التوبة، جزء من آية 33، والفتح، جزء من آية 27 و28، والصف، جزء من آية 9).

واطلع الباحث على درهم من مجموعة خاصة من ضرب سمرقند لسنة 334هـ/ 945م، ظهرت ماثوراته كما في الشكل رقم (1) عدا ظهور أحرف منفردة اسفل مركز الوجه(ع ع) وهي اشارة الى مسؤول دار

---

(1)- خلع ابن المحتاج طاعة السامانيين، ودخل بطاعة الخليفة فولاه خراسان، النرشخي، تاريخ بخارى، ص:114؛ زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص:526.

(2)- انظر: ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت:597هـ/1200م)المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للنشر،ج7، ص:229؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 142

(3)- لله: ظهرت لأول مرة على دراهم مدينة سجستان لسنة 171هـ/787م، وعلى الدنانير متأخرة، إذ كان الخليفة الرشيد يكتب على الدنانير في مركز الظهر عبارة (للخليفة) وتعني ان النقود المضروبة ضربت باسم الخليفة، ثم وضع مكانها عبارة (لله) اشارة الى انها زكاة اموال المسلمين، العش، النقود الاسلامية، ص:384، (1616).

الضرب، واختلاف تاريخ السك وظهر في مركز الظهر لقب الخليفة واسم الامير الساماني وليثبت بقاء الخليفة في سدة الخلافة وكما ذكرت المصادر التاريخية وكما في الشكل رقم (2).

ذكرت المصادر التاريخية بسيطرة البويهيين على دار الخلافة (مدينة السلام) سنة 344هـ/954م، ونصبوا الخليفة المطيع بدلا من المستكفي بالله بعد سملوا عينيه[1]، فظهر نقد يؤيد هذا التنصيب مع ذكر اسماء والقاب الحكام الجدد لدار الخلافة عندما نشر ناهض القيسي في كتابه النقود في العراق درهم من ضرب مدينة السلام 334هـ/945م، من مقتنيات المتحف العراقي ظهرت ماثوراته كما يلي:

الوجه: مركز الوجه؛ لا اله الا الله/ وحده لا شريك له/ معز الدولة/ ابو الحسين/ بويه البسملة: بسم الله ضرب هذا الدينر بمدينة السلام سنة اربع وثلثين وثلثماية، ثم طوق الوجه، جزء من سورة الروم. الظهر، المركز؛ لله/ محمد رسول الله/ صلى الله عليه وسلم/ المطيع لله/ عماد الدولة/ ابوالحسن/ بوية، ثم طوق الظهر؛ الاقتباس القرآني من سورة التوبة، جزء من آية 33، والفتح، جزء من آية 27 و28، والصف، جزء من آية 9[2].

ظهر في مصنف القيسي لقب وكنية اولاد بني بوية الذين سيطروا على دار الخلافة، فظهر معز الدولة (ابو الحسين) وهو احمد حاكم مدينة السلام، واخوه علي، عماد الدولة (ابو الحسن) تثبيتا لسيطرتهم على دار الخلافة وخلعهم للمستكفي بالله،

لم يعترف السامانيين في بلاد ما وراء النهر وبعض مدن خراسان، بعزل المستكفي بالله وتعيين المطيع بالله خليفة، فاصدروا نقود ابقوا عليها لقب المستكفي بالله.

فقد اطلع الباحث على درهم من مجموعة خاصة من ضرب سمرقند لسنة 335هـ/ 946م، ظهرت ماثوراته وكما يلي:

الوجه: المركز؛ لا اله الا/الله وحده/لاشريك له/ع ع، اطار، البسملة(بسم الله ضرب هذا الدرهم بسمرقند سنة خمس وثلثين وثلثمائة) ثم طوق الوجه (سورة الروم، جزء من آية{4، و5}) اطار وحافة. الظهر: المركز؛ . لله ./محمد/رسول الله/ المستكفي بالله/ نوح بن نصر، اطار، طوق الظهر(جزء من السور التوبة، والفتح، والصف) ثم حافة، وكما في الشكل رقم(3).

تميز هذا الطراز باستمرار ظهور المستكفي بالله بعد خلعه من الخلافة بعد ان استولى البويهيين على مدينة السلام ونصبوا المطيع بالله خليفة في دار الخلافة، حيث ظهرت نقود المطيع لله في اكثر مدن المعمورة عدا مدن بلاد ما وراء النهر.

(1) – ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 148– 149؛ زامباور، معجم الأنساب، ص: 525–526.

(2)– القيسي، ناهض عبدالرزاق، النقود في العراق، بيت الحكمة، المتحف العراقي–بغداد– العراق، 2002م، ص:251–252، رقم مس 8822.

ان احد الاسباب التي حدت بالسامانيين بعدم الاعتراف بالخليفة الجديد وبالبويهيين، لاختلافهم معهم بالمذهب، كون السامانيين على مذاهب السنة والجماعة، والبويهيين على المذهب الزيدي.

وعلى الرغم من عدم اعتراف الامير الساماني نوح بن نصر بالخليفة المطيع لله بعدم نقش لقبه على نقودهم، الا انه عوض عن ذلك بضرب دراهم من ضرب بخارى لسنة 336هـ/947م، ولفترات متباعدة ظهر عليها لقب الخليفة، بعد احس بحاجته للبويهيين؛ ولان مدينة بخارى كانت حاضرة اقليم بلاد ما وراء النهر، وان الامير الساماني نوحاً اراد التقرب من الخلافة ومجاملة الخليفة فنقش اسم الخليفة المطيع لله مع اسمه على النقود وبدون ذكر اسماء للحكام البويهيين، و انه سوف يحتاج الخلافة في طلب الدعم لإخماد الثورات عند قيامها، وحصل ما توقع ذلك، حين ظهرت حركات تريد الانفصال عن الدولة السامانية من اجل الاستحواذ على الثروات والمكاسب والاستقلال.

لذا فقد اطلع الباحث على درهم نادر من ضرب بخارى لسنة (336هـ/947م) ظهرت مأثوراته كما يلي:

الوجه: المركز؛ o/ لا اله الا/ الله وحده/ لا شريك له/ نصر نصر، إطار، البسملة (بسم الله ضرب هذا الدرهم ببخارا سنة ست وثلاثين وثلثمائة)، طوق الوجه، إطار.

الظهر: المركز؛ لله/ محمد/ رسول الله/ المطيع لله/ نوح بن نصر/ زخرفة بنهاية حرف النون من (بن)، إطار، طوق الظهر، إطار، وكما في الشكل رقم (4).

تميز هذا الطراز بظهور زخرفة في الوجه والظهر، وظهور اسم نصر مرتين وبحجم صغير في الوجه، وظهور لقب الخليفة المطيع بالله، وهو اول ظهور للخليفة المطيع بالله مع الامير نوح بن نصر الثاني من ضرب مدينة بخارى لهذه السنة.

ونشر فراين في مصنفه من متحف سانت بتروسبورك درهماً من ضرب سمرقند لسنة 336هـ/947م، ومأثوراته كما يلي:

الوجه: المركز؛ o/ لا اله الا/ الله وحده/ لا شريك له/ ع ع، البسملة( بسم الله ضرب هذا الدرهم بسمرقند سنة ست وثلثين وثلثمائة)، طوق الظهر(لله الامر)، إطار

الظهر: المركز؛ لله/ محمد/ رسول الله/ المستكفي بالله/ نوح بن نصر، إطار، طوق الظهر،(محمد رسول الله...)، إطار[1].

ظهر في طراز فراين زخارف واحرف منفردة واستمرار لظهور لقب المستكفي بالله.

لذا فقد استمر ظهور لقب المستكفي بالله مع الامراء السامانيين، على نقود مدينة سمرقند ولسنوات متتالية وهو معزول ولغاية وفاته سنة 343هـ/954م، مع ظهور لقب المطيع لله مع الامراء السامانيين على نقود مدينة بخارى ولسنوات متقطعة، ومع ظهور القاب وكنى البويهيين مع الخليفة المطيع لله ولنفس السنوات على نقود مدينة السلام ومدن خراسان.

(1)– Fraehn, Recensio Numorum Muhammedanorum.Saintpetersburg.1826,p.572, NO. 242

نشر قناوي طرازنادر من ضرب مدينة سمرقند لسنة 338هـ/949م، مع ظهور لقب المطيع لله، حيث ظهر طرازين لهذه السنة والمدينة، الاول ظهر على النقد لقب المستكفي بالله، والثاني ظهر على الدرهم لقب المطيع لله، وماثوراته كما يلي[1]:

الوجه: المركز؛ لا اله الا/ الله وحده/ لا شريك له، البسملة (بسم الله ضرب هذا الدرهم ببخارا سنة ثمان وثلثين وثلثمائة) طوق الظهر(لله الامر...)، حافة عريضة.

الظهر: المركز؛ لله/ محمد/ رسول الله/ المطيع لله/ نوح بن نصر/ ع، إطار، طوق الظهر إطار، حافة عريضة. ظهر على درهم قناوي ولأول مرة لقب المطيع لله من ضرب مدينة سمرقند، ويرى الباحث هو استمرار لاستمالة الخليفة، بنقش لقبه على مدينة سمرقند.

ذكرت المصادر التاريخية وفاة المستكفي بالله سنة (343هـ/954م)[2].

وتوفي في نفس السنة الأمير الحميد نوح بن نصر، وبويع ابنه عبدالملك بن نوح بن نصر(343-350هـ/954-961م)[3]، ولقب بالأمير المؤيد أبي الفوارس، وفي عهد الأمير عبدالملك اتسع ملك ونفوذ الأمير التركي البتكين فتولى ولاية بخارى[4].

وعلى الرغم من وفاة المستكفي بالله، وجد الباحث درهم من ضرب سمرقند لسنة 344هـ/955م من مجموعة خاصة ظهر عليه لقب الخليفة المتوفي ومأثورته:

الوجه: المركز؛ لا اله الا/ الله وحده/ لا شريك له/ ع ع، إطار، البسملة(...ضرب بسمرقند...)، طوق الوجه( لله الامر من قبل .....) حافة عريضة.

الظهر: المركز؛ .لله./ محمد/ رسول الله/ المستكفي بالله/ عبد الملك/ بن نوح، إطار، طوق الظهر(محمد رسول الله..) حافة، لم ينشر، وكما في الشكل رقم (5).

ان استمرار ظهور نقود لخليفة مخلوع امكن تبريره من خلال الاسباب التي حدت بالسامانيين لنقش لقب المستكفي بالله، اما ظهور هذا الطراز امر نادر الحدوث، حيث يتم عدم الاعتراف بخليفة في الدول المستقلة عن دار الخلافة، وينقش لقب خليفة اخر لكي تبدو النقود شرعية امام جمهورهم، لكن يرفع لقبه من النقود في حال وفاته، لكن في الدرهم المذكور اعلاه ظهر لقبه بعد وفاته، وهو دليل على اتباع الامير الجديد عبدالملك بن نوح نفس نهج الامراء السامانيين السابقين، حيث سوف يقوم بالسنة التالية لهذا الطراز باتباع نهج ثابت بظهور لقب المطيع لله على كافة مدن بلاد ما وراء النهر. وبتوثيق درهم من

(1)– قناوي، شعبان، مسكوكات الدولة السامانية، كلية الآداب بسوهاج، مصر(2000م)، ص: 431، وسيشار إليه فيما بعد، قناوي، مسكوكات الدولة السامانية.

(2)– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 148– 149

2– زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص 526.

(4)– النرشخي، تاريخ بخارى، ص 140– 142.

ضرب سمرقند لسنة 344هـ/955م، ظهر عليه لقب الخليفة المتوفي المستكفي بالله يكون بحثنا قد شارف على الانتهاء وننتقل الى نتائج البحث.

## نتائج البحث

توصل الباحث من خلال استعراضه لمجريات البحث بان السامانيين كانوا يصدرون نقودهم غير مكترثين بما يحصل بدار الخلافة، حيث يضيفون اسمائهم على النقود في بلاد ما وراء النهروبعض مدن خراسان التي تحت سيطرتهم مع إظهار لقب الخليفة اسمياً، حيث صاروا يصدرون وبانتظام من دور السك دراهم بالذات لجميع سنوات حكمهم لكون قاعدة الضرب في بخارى وسمرقند هي الفضة، واصدروا الدنانير ايضاً.

عند سيطرة البويهيين على دار الخلافة في مدينة السلام والسيطرة على الخليفة، قاموا بسمل عيني المستكفي بالله وعينوا بدلا عنه الخليفة المطيع لله، فلم يعترف السامانيون بالخليفة الذي نصبوه البويهيين، وصاروا يضربون نقوداً يظهر عليها اسم الخليفة المخلوع( المستكفي بالله) ولفترة طويلة، وحتى بعد وفاة المستكفي بالله، اذ تناوب الامراء السامانيين على اظهر اسمائهم الى جنب لقب الخليفة المخلوع، وهي طريقة رفض تبعيتهم لخليفة او حاكم بعدم ذكر اسمه أو لقبه.

ونتيجة لعدم اعتراف السامانيين بالخليفة الذي نصبوه البويهيين، ظهرت عدة طرز للمدينة والسنة، حيث ظهرت ثلاث طرز لسنة 336هـ/947م، تشابهت بسنة الضرب واختلفت بالمدينة، الاول درهم من ضرب مدينة سمرقند ظهر عليه لقب الخليفة المخلوع المستكفي بالله مع الامير السامانى، والثاني درهم من ضرب مدينة بخارى ظهر عليه لقب الخليفة المطيع لله مع الامير السامانى(بعد ان قرر الامير السامانى كسب ود دار الخلافة بنقش لقب الخليفة المطيع لله) والدرهم الثالث من ضرب مدينة السلام ظهر عليه لقب الخليفة المطيع لله مع الامراء البويهيين.

على الرغم قيام السامانيين بضرب بعض النقود ظهرت بها لقب الخليفة المطيع بالله، لكسب ود دار الخلافة عندما يحتاجوهم في قمع الثورات المضادة، ولكسب ود جماهيرهم في مناطقهم كون الخليفة هو من نسب الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم، واضفاء الشرعية على نقودهم وحكمهم بالرغم من اختلافهم مذهبيا مع الحكام الذين قاموا بتنصيبه، فقاموا بنقش لقب الخليفة لكن مع اسمائهم والقابهم دون ذكر اسماء والقاب البويهيين على نقودهم.

النقود من اهم الوثائق التاريخية التي تؤرخ للحقب والعصور بدليل مادي، فهي كثيراً ما تدل المؤرخين على حدث معين والزمن التي حدث فيها، وكما تشير الى الاحوال السياسية والاقتصادية التي كانت تسود هذه العصر، لذلك فان النقود(المسكوكات) لها اهميتها بين الوثائق التاريخية لما تزيله من لغط وجدل في البحث النظري، لتثبت راياً وتفند آخر او تأتي بالبرهان على تفسير مغاير لما كان مفترضا في احداث تاريخية معينة.

## المصادر والمراجع:

القران الكريم

اولا: المصادر

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري. (ت: 630هـ/ 1232م). الكامل في التاريخ، تحقيق: يوسف سيد، 14 جزء، المطبعة الازهرية المصرية، القاهرة - مصر .(1883م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (ت:597هـ/1200م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والطباعة، 10 أجزاء، بيروت – لبنان .(1995م).

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد.(ت: 681هـ/1282م). وفيات الأعيان و أنباء الزمان، 7 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .(2012م).

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى.(ت: 355هـ/965م)، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله من كتاب الاوراق، تحقيق: (ج. هيورث. دن)، دار الميسرة، بيروت- لبنان (1970م).

الطبري، محمد بن جرير.(ت: 310هـ/922م). تاريخ الأمم والملوك 6 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .(2012م).

مجهول، مؤلف .(ت: 350هـ/961م). العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيدي، المعهد العربي للدراسات العربية، دمشق- سوريا .(1972م

النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى.(ت: 348/959م). ترجمة: أمين عبدالمجيد بدوي، دار المعرفة، القاهرة- مصر.(1965م).

ثانيا: المراجع

زامباور، ادوارد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تحقيق: زكي محمد حسن باشا؛ حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، (1980م).

الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، الدولة المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.(1999م).

الهامي، محمد، رحلة الخلافة العباسية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، 2013م.

ثالثاً: مراجع النقود

العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الإسلامية، ج1، متحف قطر، الدوحة- قطر.(2003م).

قناوي، شعبان، مسكوكات الدولة السامانية، كلية الآداب، سوهاج _ مصر(2000م).

القيسي، ناهض عبد الرزاق، النقود في العراق، بيت الحكمة، بغداد_العراق، 2002م.

لطفي، جورج، مجموعة إسلامية غير منشورة، طرابلس- لبنان (سيدي)

رابعاً: المراجع الاجنبية

Fraehn, Chr .M, Recenio Numorum Muhammedanorum. Petersburg, 1826.

## الجداول والأشكال

### الجداول

### جدول رقم (1)

### أنساب بني سامان( الجدول من تصميم الباحث)

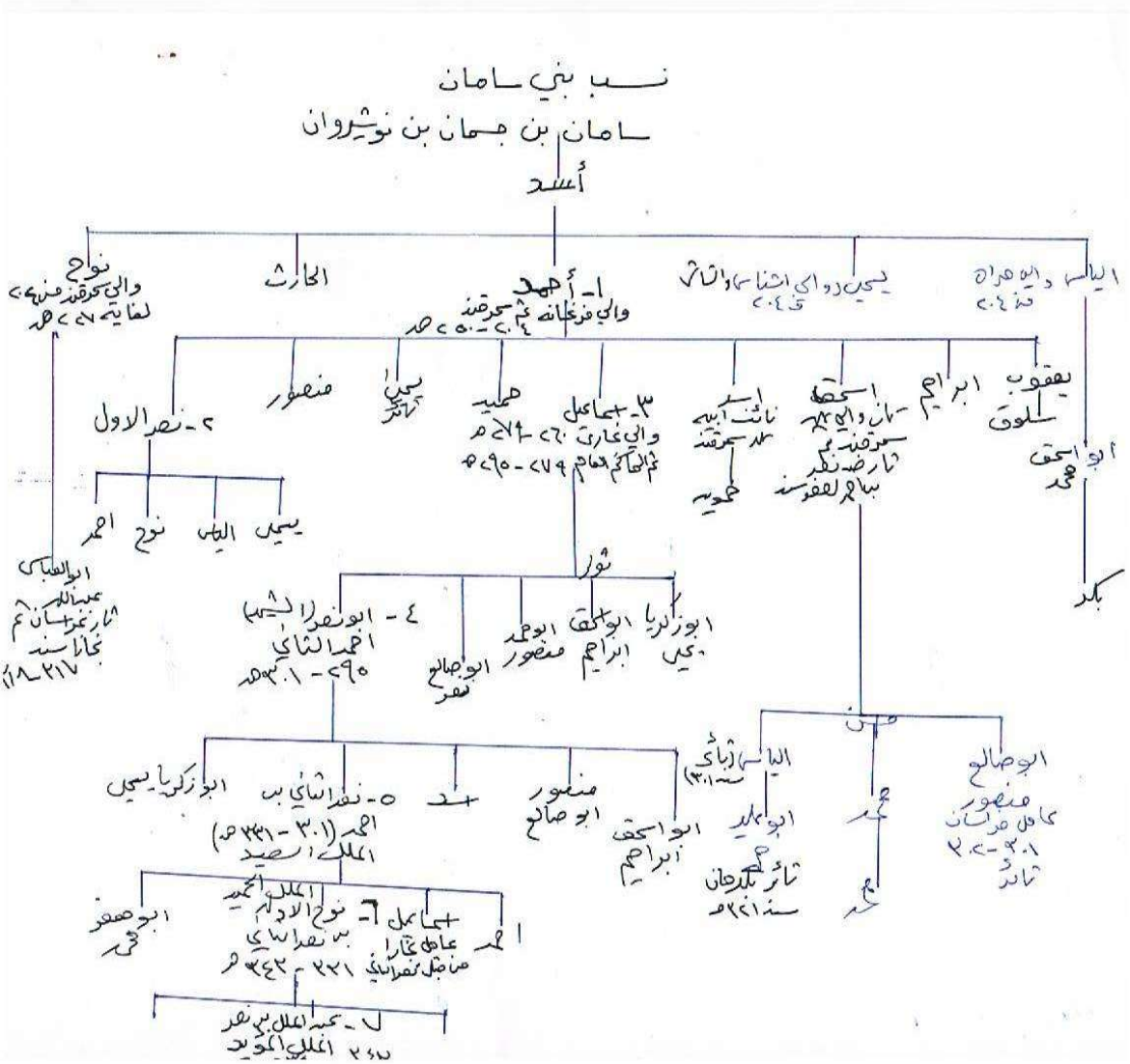

جدول رقم (2)

الحكام السامانيين في خراسان وبلاد ما وراء النهر

| الرقم | الاسم | الفترة الزمنية | المصدر |
|---|---|---|---|
| -1 | أحمد بن أسد بن سامان | 205-250هـ/820- 864 م(والي فرغانة، توفي أخوه نوح سنة 227هـ /841 م، وهو على سمرقند فأصبح والياً عليها ايضاً) | ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص121- 122؛ زامباور معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص 306. |
| -2 | نصر الأول بن احمد الأول بن أسد | 250- 279هـ/ 864- 892م | زامباور، معجم الانساب ص 306، 308. |
| -3 | أبو إبراهيم إسماعيل بن احمد الاول بن اسد | 279- 295هـ/ 892- 907م، كان عامل بخارى من 260- 279/ 873- 892م | ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص151؛ زامباور، معجم الأنساب، ص 306، 308. |
| -4 | أبو نصر أحمد الثاني بن إسماعيل | 295- 301هـ/ 907- 913م (الشهيد) | ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص2؛ زامباور، معجم الأنساب ، ص 306، 308. |
| -5 | الملك السعيد نصر الثاني بن أحمد الثاني | 301- 331هـ/ 913- 942م (الملك السعيد) | ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 26؛ زامباور، معجم الأنساب، ص 306،308. |
| -6 | الملك الحميد نوح الأول بن نصر الثاني | 331- 341هـ/ 942- 954م (الملك الحميد) | ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص131؛ زامباور، معجم الأنساب ، 306، 308. |

## الاشكال

شكل رقم (1)

| الوجه | الظهر |
| --- | --- |
| | |
| الوزن: 3.53غم.<br>القطر: 27ملم. | |

شكل رقم (2)

| الوجه | الظهر |
| --- | --- |
| | |
| الوزن: 2.74غم.<br>القطر: 26ملم. | |

شكل رقم (3)

| الوجه | الظهر |
| --- | --- |
| | |
| الوزن: 4.38غم.<br>القطر: 26ملم. | |

شكل رقم (4)

| الوجه | الظهر |
| --- | --- |
| | |
| الوزن: 3.29غم.<br>القطر: 24ملم | |

شكل رقم (5)

| الوجه | الظهر |
| --- | --- |
| | |
| الوزن: 2.95غم.<br>القطر: 27ملم. | |

# دور العرب المسلمون في نشأة علم التاريخ

الدكتورة ميادة قيس رمضان النصيري / جامعة البصرة/كلية الآداب/قسم التاريخ

## الملخص

يعد التاريخ تسجيل متقن ووصف جميل وتحليل للأحداث التي جرت بالماضي ولكنها ترجمت على اسس علمية محايدة للوصول الى قواعد وحقائق على فهم الحاضروالمستقبل.

والتاريخ دراسة الماضي وكل ما يمكن تذكره من الماضي اوتم الحفاظ عليه بصورة ما يعد سجلا تاريخيا , فهو يعطي تصورا دقيقا وواضحا عن العالم برمته والتجارب التي مر بها الاقدمون , وبالتالي تلزم المؤرخين بعدم الوقوع في الزلل وتجنب الاخطاء التي وقعت بالماضي , اذن فهو دروس معبرة من احداث الماضي لتنبئونا بما يدورفي كنف المستقبل.

فعلم التاريخ يجعل الانسان على اتصال بأجداده واصوله الذي هو امتداد لها والتاريخ الاسلامي خير مثال على ذلك فعندما تقف عند دراسة السيرة النبوية للنبي الاكرم محمد صلى اله عليه والهِ وسلم ومعرفة تاريخ تلك الحقبة من احداث وغزوات للصيرورة في تفسيرها والتوغل فيها سيسيولوجيا.

فقد تبوء علم التاريخ مكانة مرموقة بين العلوم كافة فهو تارة جزءا هاما من الفلسفة , وتارة فنا محضا بالرغم ما يتخلله من خر افات واساطير , وبتلك الاعتبارات دخل علم التاريخ حيز البحث والتنظيم في احداث الماضي والنظرفي صحتها وعرفه المسلمون الاو ائل و اكدوا على حي المعرفة والعلم والقراءة والتفكر بتاريخ الكون وحيثياته وقصص الاولين لتبدا مرحلة عتيدة وجديدة في علم التاريخ قائمة على طابع خاص وارث تاريخي ضخم ورصين . ليؤسس عليه قواعد ومناهج الكتابة التاريخية فأرسى العرب المسلمون قواعد واسس في علم التاريخ كان محط اعجاب وتقدير العلماء والفلاسفة في العالم معترفين بفضلهم في وضع الخطوط الاساسية لترسيخ علم التاريخ .

ووفقا لتلك المعطيات السابقة اتت مقتضيات البحث في اصول هذا العلم , وقد قسم الى عدة محاور:

**المحور الاول : التاريخ لغة**

**المحور الثاني: التاريخ اصطلاحا**

**المحور الثالث: دور العرب المسلمين في تأصيل علم التاريخ**

## الملخص باللغة الانكليزية//

History is an elaborate recording, a beautiful description, and an analysis of events that took place in the past, but they were translated on a neutral scientific basis to reach rules and facts on understanding the present and the future.

History is a study of the past and all that can be remembered from the past or preserved in some way is a historical record. It gives an accurate and clear vision of the whole world and the experiences that the ancient people passed through, and therefore obliges historians not to fall into error and avoid mistakes that occurred in the past, so it is expressive lessons. From the events of the past to tell us what is going on in the future.

The science of history makes a person in touch with his ancestors and his roots, which is an extension of them and Islamic history is a good example of this.

History of science has assumed a prominent place among all sciences, as it is sometimes an important part of philosophy, and sometimes pure art despite its permeated myths and legends. With these considerations, history science entered into research and organization in the events of the past and looking at its authenticity and knowledge of the early Muslims and emphasized the neighborhood of knowledge, science, reading and thinking The history of the universe, its merits and the first two stories to begin a new stage in the science of history based on a special character and a huge and sober historical heritage. To establish the rules and methods of historical writing upon it, the Muslim Arabs laid down rules and foundations in the science of history.

According to the foregoing data, the research requirements for the origins of this science have come, and it has been divided into several axes:

The first axis: history is a language

The second axis: history idiomatic

The third axis: the role of Arab Muslims in establishing the science of history.

## المقدمة

تربع علم التاريخ في العصور الحديثة على عرش قمة العلوم الانسانية والاجتماعية , لما له من حاجة ملحة وحضارية لفهم حركة عجلة التطور في العالم بكل تفاصيله.

وارتبط علم التاريخ بتواريخ المدن لماهية معرفة مفهوم التراجم الذي حولها من تاريخ سياسي – عمراني الى تاريخ للرجال ممن اقترنت اسمائهم بتلك المدن مثال ذلك كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

نوقش علماء عدة قديما وحديثا نشأة علم التاريخ لدى العرب المسلمين وكان من امحص تلك الدراسات وادقها بحث (روزنتال) الذي تناول علم التاريخ واصوله عند العرب المسلمين ودورهم المثابر فيه , وبين ما اختلفوا فيه منذ البداية هو اصل كلمة تاريخ , وعليه سار العرب المسلمين في بداية نشأة التاريخ ضمن اتجاهين مهمين:

- اتجاه قبلي : يتمثل بأخبار العرب و ايامهم
- اتجاه اسلامي : ويتمثل بسيرة النبي الاكرم

المحور الثالث/ تاريخ العلوم عند العرب

م/ دور العرب المسلمون في نشأة علم التاريخ

## المحور الاول/ التاريخ لغةً

يعرف التاريخ بالمعنى العام انه دراسة الماضي , ولكن بمعناه الدقيق هو البحث في احوال البشر الماضية بكل ما يتعلق بتفاصيلهم ووقائعهم وظواهر حياتهم.

من غير الممكن ان نسلط الضوء على دراسة علم التاريخ من زاوية ضيقة , وندرس في جانب ونهمل اخر دون التوغل في كافة حيثياته , فالتاريخ لا يقتصر على دراسة سياسية فحسب كالحروب والشخصيات الهامة في المجتمع , بل يجب ان يبحث في ظواهر الحياة الماضية سواء كانت سياسية او اقتصادية او فنية او دينية او اجتماعية او فكرية.

لقد تعددت اراء العلماء في تفسير كلمة التاريخ لغة , ولكن معظم الآراء اجتمعت على ان " التاريخ هو الاعلام بالوقت" يقال ارخت الكتاب وورخته , اي بينت وقت كتابته , وقيل انه معرب من الكلمة

الفارسية : (ماه روز) و (ماه) القمر و(روز) اليوم , وكأن الليل والنهار طرفة وقيل ايضا ان كلمة تاريخ مشتقة من (ياريخ) العبرية ومعناها القمر, ويرخ الشهر, وقيل ان تاريخ مشتق من اللغة الاكدية (ارخو) [1].

وقيل ايضا ان لفظة التاريخ اخذت من عرب اليمن وذلك لاهتمامهم بالتوقيت لعدة عوامل : اهمها الزراعة التي تخضع لتقلبات الجوواختلاف المواسم , علاوة على ذلك الاعياد والمناسبات الدينية التي ارتبطت بشكل وثيق بالتدوين , و ايضا التجارة في البروالبحر والمؤكد على ذلك الاحتمال هو ما قاله الحافظ السخاوي : " ان اول من ارخ يعلى بن امية وذلك انه كتب الى عمربن الخطاب كتابا من اليمن فاستحسنه عمر " [2]

لم يكن في لفظ التاريخ وتعريفه باللغة العربية اختلافات واسعة او معمقة , بل هناك اختلاف حول اصل اشتقاقه بين القبائل العربية وقد فرق الاصمعي بين لغة بني تميم بقوله " بنو تميم يقولون (ورخت الكتاب توريخا) وما بين لغة قيس عندما يقول : " ارخته تاريخا" [3], وهذا يؤكد بشكل قطعي ان لفظ التاريخ في اللغة عربيا ولربما تلك الجدليات التي اثيرت حول اصل لفظ التاريخ بين الباحثين القدماء هو لان كلمة تاريخ لم ترد في سياق الشعر الجاهلي ولم ترد في القران الكريم ولا في حديث النبي الاكرم (ص) [4].

ويعلل البعض في ذهاب العلماء القدماء الى ان لفظ التاريخ واصوله غير عربية الى رواية عمر بن الخطاب (رض) لما كثرت لديه الاموال واختلط عليه وقت توزيعها , فجمع وجوه الصحابة وسألهم عن كيفية التوصل الى ذلك فقال له الهرمزان ملك الاهوازوكان قد أسر في زمن فتح فارس وحمل الى عمر بن الخطاب فاسلم : فقال له " ان للعجم حسابا يسمونه ماه روزويسندونه الى من غلب من الاكاسرة , فعربوا لفظة ماه روز بمؤرخ وجعلوا مصدره التاريخ واستعملوه في وجوه الصرف "[5] , وذكر ابو منصور الجواليقي " ان التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض , و انما اخذه المسلمون عن

1 عواطف بنت محمد نواب ، المدخل الى علم التاريخ ، (الجزائر : 2011) ، 1

2) ) شوقي الجمل ، علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم ، (القاهرة : 2010) ، 20

3) ) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1 ، ط4 ، (دار الساقي : 2001) ، 35

4) ) عفت محمد الشرقاوي ، آداب التاريخ عند العرب ، ج1 ،(القاهرة : 1976) ، 249

5)) عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، ضبطه: ابراهيم شمس الدين ، ج1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010)، 8

اهل الكتاب وتاريخ المسلمون ارخ من سنة الهجرة كتب في خلافة عمر ابن الخطاب فصار تاريخا الى اليوم " [1]

وقال ابو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب في كتابه (الخراج) : " تاريخ كل شيء اخره فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة " [2] , والارجح ان لفظ التاريخ لغة من جذر(ورخ) والمأخوذة من لغة اليمن الجنوبية هي الاقرب الى الصواب .

## المحور الثاني / التاريخ اصطلاحا

ان التاريخ هو عبارة عن فهم الماضي لإفادة الحاضر والتخطيط للمستقبل , فقد عرفه ابن خلدون بقوله : " التاريخ خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والعصبيات وتقلبات مزاجيات البشر والعلوم والصنائع"[3]

وقد عبر عنه السخاوي بقوله : "انه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التوقيف والتعين عما يدور في العالم " [4] , و ايضا تعني كلمة التاريخ في الاصطلاح بمعنى الزمن والحقبة والواضح بالأمر ان هذا المصطلح لم يظهر بالمعنى الحقيقي في الادب الجاهلي ولا في القران ولا في الاحاديث النبوية الشريفة , واستخدم لأول مرة عندما ادخل عمر ابن الخطاب التقويم الهجري فقد ورد هذا في بردية يرجع تاريخها الى عام 22 هـ , وهذا دليل على ان اللفظة كانت آنذاك معروفة , فكلمة التاريخ كانت تعرف بستة معانٍ في العربية:

1) التطور التاريخي
2) التراجم
3) عملية التدوين التاريخي
4) علم التاريخ
5) تحديد زمن الواقعة
6) تراث القوم

---

1) ) محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، ترجمة : صالح احمد العلي ، (دار الكتب العلمية: 1986) ، 17

2) ) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج1 ، حرره: محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، (دار الكتب العلمية: 2011) ، 8

3) ) وجيه كوثراني ، تاريخ التأريخ: اتجاهات، مدارس، مناهج ، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: 2012) ، 60

4)) محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المصدر السابق ، 100

كما يمكن ان يكون التاريخ اداة للكشف عن صراعات المجتمعات البشرية وما يترتب على ذلك من الدول ومراتبها , اذن هذه حدود المعنى الاصطلاحي الذي تدل عليه كلمة تاريخ وهي تكشف عن مدى فهم المسلمين العرب للتاريخ كعلم , وعلى مدى ادراكهم لوظيفته الحضارية في خدمة المجتمع البشري [1] , وبالتالي نستشف مما ذكر ان التاريخ علم يتعلق بالمكان والزمان بما فيه من وقائع وما يكون له من اثر في حياة الناس .

المحور الثالث/ دور العرب المسلمين في تأصيل وبروز علم التاريخ

في جنوب الجزيرة العربية ازدهرت العديد من الحضارات قبيل ظهور الاسلام بألاف السنين وبدورها قد ارخت لنفسها بأساليب متعددة , شهدت بلاد العرب بزوغ حضارات عريقة منذ نهاية الالف الرابع ق.م مثال ذلك حضارة سومر وبابل واشور في بلاد وادي الرافدين والحضارة الكنعانية في بلاد الشام والفرعونية في وادي النيل , ودلمون في شرق الجزيرة العربية والليبو والجرمانيين في ليبيا وحضارة الامازيغ في بلاد المغرب العربي [2] والكثير من الحضارات ورثتها الامة العربية وادغمت في تاريخها .

ان العرب في الجاهلية لم يكن التاريخ معروفا لديهم بأي من مفاهيمه المختلفة سوى انه روايات لأحداث الماضي واحداث انبأت بواسطة الاجيال المتعاقبة بصيغة شفهية , اذ كان للقصص في ايام الجاهلية طابع مختلف لما فيه من العبرة والتفاخر والتسلية وقليل منه كان له غرض تاريخي يشوبه الخيال الذي حوله الى اساطير, وكان يمتلك عرب الجنوب (اليمن) بعض النقوش والكتابات التي تظهر مقدارا من الوعي بالتاريخ واهميته للجوانب السياسية والعسكرية والادارية [3], وبذلك لم يمتلكوا العرب في الجاهلية فكرا تاريخيا ناضجا يعكس وعيهم لحركة الانسان عبر المراحل السابقة , وهذا بدوره لا يمنع ان العرب كانوا يمتلكون روايات شفهية عن انسابهم والهتهم وحروبهم وعن الشعر الذي كان وردا مميزا آنذاك لما حفل به من اهتمام من قبل النسابين واللغويون حتى عده البعض انه فرعا من فروع التاريخ [4]

1) ) ج . هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة : عبد الحميد العبادي ، ط1 ، (بيروت : دار الحداثة ، 1986) ، 86

2() مجموعة مؤلفين ، التاريخ العربي وتاريخ العرب ، ط1 ،(بيروت : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2017) ، 148 ؛ دانيال بوتس ، الخليج العربي في العصور القديمة ، ترجمة : ابراهيم خوري ، ج2 ، (ابو ظبي : المجمع الثقافي ، 2003) ، 50

3) ) ليو ابنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : سعدي فيضي عبد الرزاق ، (بغداد : دار الرشيد للنشر ، 1981) ، 296

4) ) جميل موسى النجار ، فلسفة التاريخ ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 2011) ، 61

لحين ذلك الوقت لم يشهد العرب اي تطور في فكرة التاريخ بدليل لم ينبلج اي اسم لمؤرخين في هذا المجال, وللعدالة ممكن القول ان التاريخ نفسه لم يكن محدد المعالم والشخصية بشكل جليّ عند الحضارات القديمة ومنهم العرب , لحين تلك الازمنة لم يكن علم التاريخ معروفا بخصوصيته ومفاهيمه بل كان جزءا لا يتجزأ من علوم اخرى كالفلسفة والادب والدين والفنون ..الخ , بحد ذاته هذا مؤشر مهم على ان العرب كانوا امة مشتتة آنذاك بالرغم من انهم اسسوا العديد من الحضارات في معظم مناطق العالم ولكن ادراكهم لشخصيتهم الحضارية لم يكن مشرقا , لهذا سيطرت عليهم حضارات بلغت ذروتها وقوتها وهيمنت على العرب انفسهم , اما بعد مجيء الاسلام وظهور الرسالة المحمدية انطلقت الحركة الفكرية للنهوض بتاريخ العرب لحسن السيطرة على الارض وعمارتها و انمائها , اذ كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثرواتهم الاثر الكبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهده الشرق [1], وبرزت نخبة من العلماء والمفكرون تنافسوا في مجالات اختصاصهم وقويت حركة الترجمة في عهد المأمون العباسي وعلى اثر ذلك عمل الكثير من المسلمين بدراسة الكتب الاجنبية وترجموها الى العربية وقاموا بتفسيرها وتفنيدها , ففي علم التاريخ نجد برز البلاذري و ابن اسحاق وفي الجغرافية ابن خرداذبه وفي الرياضيات الخوارزمي وفي النحو ابو الاسود الدؤلي وفي النثر ابن المقفع [2] .. الخ من العلوم والمعارف .

لم يمتلك العرب اي مراجع تاريخية مدونة في مرحلة ما قبل الاسلام ولكنهم كانوا قادرين على ادراك الجزئيات ادراكا دقيقا غير انهم عجزوا على ربط الحوادث برباط جامع [3] , حتى جاء القرن الثاني للهجرة بدا العرب يفتشون عن تاريخهم ومراحل حياتهم ولربما يعود ذلك للحاجة الملحة لدى المسلمين آنذاك للنظر في تنظيم زمنهم وتقويم حياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية [4], ويرجع الفضل في ذلك للخليفة عمر ابن الخطاب (رض) الاثر الكبير في نشأة الفكرة التاريخية عند العرب بعد ان وضع تقويما ثابتا وهو التاريخ الهجري , ومنذ ذلك الوقت اصبحت للأحداث التاريخية عمودا اساسيا للدراسات التاريخية [5] , ومن خلال ما ذكر اصبحت فكرة التاريخ عند العرب المسلمين تأخذ منحى مختلف نحو النضوج ولفت الانظار الى حقيقة التاريخ البشري واستمرار مسيرته فشرعوا بتدوين الحديث النبوي ومن ثم تدوين السيرة النبوية والتي اعتبرت للمسلمين العرب نقطة انطلاقتهم الكبرى [6]

---

1) ) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، (بيروت : دار الملايين ، 1979) ، 77

2) ) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج1 ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1964) ، 324–360

3) ) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريده، ج1 ، (القاهرة : 1938) ، 80

4) ) حسن ابراهيم حسن ، المصدر السابق ، 349

5)) عبد الرحمن ذنون طه ، اصول البحث التاريخي ، (بيروت : دار المدار الاسلامي ، 2004) ، 78

6) ) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، 62

لم يتوقف العرب المسلمين عند تلك النقطة الجوهرية بل تجاوزوها بحفاوة وادركوا آنذاك ان علم التاريخ لابد ان يكون علما رصينا يمتاز بالموضوعية والمنطق وقابلا للاستيثاق خاصة بعد زخرت الفتوحات الاسلامية واردفتها ببناء الدولة و انضمام العديد من المناطق والشعوب والاديان المختلفة وبرزت العديد من المشاكل الخاصة بتكوين الدولة وقضايا الضريبة والجزية والخراج والزكاة وبيت المال , معظم تلك القضايا تطلبت تشريعات جديدة يلتزم العودة الى التاريخ للإفادة من تجاربه.

اذن من خلال سياق البحث لابد من الاشارة الى حقيقة هامة وهي مفادها ان الحاجة السياسية والتنظيمية والمالية والاجتماعية بما فيها النظام القضائي والضريبي واحكام المعاملات اسعفت في انبثاق التدوين التاريخي والعمل به في كل مستويات الحياة فظهربعد ذلك علم الانساب وهو احد فروع علم التاريخ لتنظيم الدواوين والعطاء وفرق الجيش , مجمل تلك الدو افع جعلت من العرب المسلمين يتفوقون في الكثيرمن العلوم والمعارف وفي مقدمتها علم التاريخ فاصبح اكثررصانة وادق مصداقية بعد مخالطته بقواعد السيرة النبوية وعلم الحديث لتنقل المعلومات بأكثر تنقية [1] , وهكذا استنبط المسلمون العرب اهمية علم التاريخ الدينية والدنيوية فعملوا على احاطته بكل عناية معتمدين على مبدا ان الاسلام هو مكمل تاريخي للديانات السماوية السابقة فالزموا بمهمة كتابة التاريخ لكل الحضارات الاخرى بصفة عامة وتاريخهم الخاص بصفة خاصة , فإزاء ذلك سار العرب المسلمين في بدايات علم التاريخ باتجاهين اساسين هما الاتجاه الاسلامي والاتجاه القبلي حتى توسعت عملية التدوين التاريخي شيئا فشيئا مع ظهورالاخباريين الذين تجاوزوا المنظورالديني للسياق التاريخي وسعوا لتدوين رو ايات واحاديث القبائل العربية الى النسابة والشعراء ولم يقتصروا على ذلك بل دونوا التاريخ الذي يسبق الاسلام مع بدء الخليقة واعتمدوا في رو اياتهم على الوثائق [2]

ازدهرت العلوم والمعرفة في القرنين الثالث والر ابع للهجرة وفي مقدمتها علم التاريخ وهو العصر الذهبي للحضارة الاسلامية العربية اذ تنوعت مواضيعه لم يعد قاصرا على الاخباروالانساب بل اصبح اكثررسوخا وتألقا معتمدا في منهاجه التدويني على وفرة المعلومات وغزارتها, وتميز العرب بصفة خاصة في دقة تسجيل الحوادث ومدى صحتها وذلك لاعتمادهم على مبدا النقد , وتطورعلم التاريخ في المنهج

1)) ليو اوبنهايم ، المصدر السابق ، 176–177

2) ) عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، 1960) ، 19؛ مصطفى شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج1 ، ط1 ، (بيروت : دار العلم للملايين ، 1979) ، 268 ؛ جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، 67

الاسلامي بظهور التدوين والتنظيم وبذلك خطا العرب بعلم التاريخ بخطوات جبارة ارست قواعده ونظمت شؤونه بعد ان كان تابعا في واضح المعالم.[1]

اعترف العالم بهذا الانجازوالسبق والريادة العربية في مجال علم التاريخ خاصة بعد ان برزنخبة من علماء التاريخ العرب المسلمون استطاعوا ان يتركوا بصماتهم الواضحة في تطويرعلم التاريخ وجعله في المقدمة , ويذكر ابن خلدون في هذا المقام بان هناك نوعين مختلفين من المؤرخين الاسلاميين الذين سبقوه هما :

1) نوع استوعب ما قبل المله من الدول والامم كالمسعودي ومن نحى منحاه
2) نوع عدل عن الاطلاق الى التقيد واستوعب اخبارافقه و اقتصرعلى احاديث دولته [2]

وبذلك تضاعف الاهتمام بعلم التاريخ تصاعديا عبر القرون السابقة وتعددت مدارسه وتشعبت مجالاته , اذ ان اول من اهتم بتدوين التاريخ اولهم إبان بن عثمان (95هـ-105هـ) وعروة بن الزبير (ت 94هـ ) ومحمد بن اسحاق (ت 15هـ) والطبري (310هـ) وغيرهم . [3]

ومع بزوغ نجم الامبراطورية العثمانية اصيب العرب بالتصحر الحضاري والفكري في معظم مجالات العلوم ومنها علم التاريخ , فلم يبرزاي احد من المؤرخين الا عدد قليل في التاريخ الحديث بعد ان فقد العرب المسلمون هويتهم الحضارية بسبب ما تعانيه من تخلف وجهل واستعمار, اذ اعتبرت من المراحل الخطرة في حياة العرب المسلمون تزامنا مع انطلاق حركة النهضة الفكرية في اوربا , فكبد الانحطاط والركود الفكري كافة مفاصل العلوم واصيب علم التاريخ بالعقم حتى فترة التاريخ الحديث والمعاصرلتبدا بوادرنهضة عربية في العديد من المجالات امثال عبد الرحمن الكواكبي وشكيب ارسلان والبرت حوراني وعبد العزيز الدوري وهشام جعيط واخرون في المشرق والمغرب العربي , واشاروا الى كتاباتهم التاريخية بالبنان لما تضمنت من نصوص ابداعية متقنة و افكارواراء جديدة تعتبرالرائدة في مجال علم التاريخ مثال كمال الصليبي [4] , هؤلاء الرواد في علم التاريخ ومن سبقوهم هم من اعطوا

---

1)) فاطمة قدورة الشامي ، علم التاريخ ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 2008) ، 65 ؛ جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، 69–71

2() ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،( بولاق : المطبعة الاميرية ) ، 27

3) ) احمد رمضان احمد ، تطور علم التاريخ الاسلامي حتى نهاية العصور الوسطى ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989) ، 167

4)) خالد مصطفى مرعب ، المؤرخ الصادق وصحوة الضمير (تجربة كمال الصليبي) ، كتاب اعمال وابحاث مؤتمر اشكاليات كتابة تاريخ لبنان في العصرين الوسيط والحديث ، (لبنان : شركة ادامز ، 2017) ، 369

للتاريخ العربي الاسلامي قيمته وبهجته الفكرية وللتاريخ العالمي مكانته فانجزوا رسالة جليلة للبشرية جمعاء وهذا ما يعطينا حافزا كبيرا لتكملة مسار علم التاريخ وتطوره ليحيط بكل ما يمكن للإنسان ان يدركه في الحياة , عبر عنه ديلاس اولبري قائلا : " لو ازيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الاوربية بضعة قرون " [1] فقد علمت الامة العربية الغرب معنى العلم والمعرفة و ايقظته من سباته خمسة قرون وحتى اواخر القر19 فكانت ولازالت مؤلفات ابن سينا في الطب لا تزال تناقش في جامعة كولومبيا بنيويورك وجامعة مونبليه في فرنسا , اذ كان المؤرخ ابن خلدون محط تقدير واهتمام العلماء الغرب فيقول عنه المؤرخ نيكلسون : " لم يسبقه احد الى اكتشاف الاسباب الخلقية والروحية التي تكمن خلف سطح الوقائع او الى اكتشاف قوانين التقدم " [2] وشهادة المؤرخ البريطاني ارنولد توبيني بانها بلا ريب اعظم فلسفة تاريخ من نوعها ابدعها عقل بشري في اي زمان ومكان , وهذا بحد ذاته اقرار منصف بفضل الحضارة العربية الاسلامية على الحضارة الانسانية وخاصة ما ابدعته في مجال علم التاريخ.[3]

## خاتمة

حققت الحضارات الانسانية والبشرية انجازات حضارية في مختلف المجالات العلمية والمعرفية , واصبح العالم كيانا منفتحا ومتصلا واصبحت الشعوب والحضارات متكاملة ومتواصلة تحمل كل منها ميزاتها وخصائصها لتتلاقى مع الاخرين بتفاعل وتدفق لاسيما بعد ان برزت عظمة تلك الحضارات بما قدمته للبشرية من منافع و انجازات في شتى صنوف العلوم والمعرفة , لذلك يحق للعرب المسلمين ان يفخروا بما قدمت حضارتهم من اسهامات عظيمة في الكثير من المجالات واهمها علم التاريخ الذي امتاز بقيمته الاخلاقية وقاعدته الانسانية وشموليته و ابدعوا في تطوير ابعاده المعرفية حتى عرف بفلسفة التاريخ , واهم انجاز تألق به العرب المسلمون هو اهتمامهم بتدوين سيرة النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهذا ما جعلهم في قمة التفوق الحضاري والعلمي.

---

1) A ,Reynolds Nilsson , Aliteray History of the Arabs , Heyd w , (Cambridge : 1930) , 251 (

2) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، (مصر : مكتبة الخانجي ، 1961) ، 176

3) Robert Flint , History of philosophy of history , 315 (

# المؤرخ و الدبلوماسي : إضاءات تفاعلية حول المفهوم و الممارسة مغرب القرن التاسع عشر

الباحث عادل البخشوش
مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية

الثابت في الميزات الأساسية خلال مطلع الفترة المعاصرة أن التاريخ لم يعد قائما في أسسه التنظيرية على مرجعية حلقات التطور البشري بل صار ممزقا بين موازين قوى متغيرة باستمرار وتبريرات متناقضة، وأضحت إيديولوجيات التقدم والتحول الاقتصادي ترخي بظلالها على مجموع الأنشطة والدراسات الإنسانية.

و الحاصل أيضا أن الزمن مع مطلع الفترة المعاصرة أضحى رهانا للقوة و ساحة لتأجج صراع التواريخ الوطنية و تنامى الاعتقاد و الارتكان لفكرة " التاريخ أصبح حكرا على أمم دون أخرى تلك التي تتطور و تنتج دون باقي المجال البشري الذي يمكن إحالته على العدم التاريخي(الهمة و الفعالية كمعيار) .[1] مركزية رهيبة قد نلمسها عند كبار المؤرخين و الفلاسفة بأوروبا الغربية كمتزعمة للنسق المفروض ، والأكيد أنها صورة مزعجة اليوم تحاول تخطي الانفصام الذي ندركه اليوم بعمق " البدائي و المتقدم". الأمر كالعادة يجعلنا أمام تحد مفصلي لفكرة تاريخ شامل من المفروض أن تتطور كل مستوياته وفق وتيرة واحدة و حسب إطار زمني موحد أو بصيغة أوضح أمام متلازمة التاريخ "غير الحدثي و الحدثي " .

من زاوية أخرى يبدو التطرق للدبلوماسية كفعل و ممارسة عبر مسار التاريخ البشري بمثابة حوار غير مقصود لفكرة لوغران دوسي حول " صانعي شقاء الدول ورفاهيتها، فعلا سيبدو التفاعل حول فكرة الدبلوماسية والتاريخ وكأننا نوثق ارتباطنا أكثر من أي موضوع سلف أووقت مضى بالتاريخ الحدثي.[2]من خلال هذا السياق مثلا يمكن أن نحوم بشكل أوبأخر حول تساؤلات من جنس الارتباط بصميم ممارسة المؤرخ و الدبلوماسي : ألا يمكن نقل التأريخ للدبلوماسية و الدبلوماسي من خلال الطبائع و السلوكيات المتكررة و سمات التكيف و الإدراك ؟ على الأقل هذا ما تتيحه الإمكانية من خلال بوابة الدبلوماسيين المغاربة خلال القرن التاسع عشر" بوسلهام أزطوط ، م.الخطيب ، أشعاش ،بركاش وكذلك السلاطين

(1) François Furet , Histoire et ethnologie , in l'atelier de L'histoire, Flammarion, Paris, éd.1989,pp91-98,

(2)André BURGHIERE, L'anthropologie historique, in La Nouvelle Histoire, sous la direction de J.Le Goff, Paris, 1978, Nouvelle édition, Bruxelles, 1988, PP.137-164.

الفاعلين خلال الفترة المقترحة للدراسة. إنه انتقال من السردية و رصد الحدث إلى المقاربة البنيوية (الثابت و المتحول) و استحضار للأنثروبولوجيا بشكل اعتيادي إلى التأريخ للطبائع و الظواهر على قاعدة أن تاريخ الطبائع لا يتضح عبر سلسلة من الظواهر المثيرة و الابتكارات بل من خلال مزيج ثابت من السلوكيات الموروثة (أي الثوابت) و من ظواهر التكيف و الابداع.[1] و الفكرة ببساطتها تمثل دعوة عميقة للقيام بحركة ذهاب- إياب حتمية بين الدواوين و الأرشيفات العامة و الخاصة من جهة و خصائص و معطيات البحث الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي .حلحلة ربما يمكن أن يقوم بها المؤرخ كمجابهة جديدة من منطلق الفكرة التاريخية المتمحورة حول خلط " الذاكرة الاجتماعية بالذاكرة الوطنية ، و الذاكرة الوطنية بذاكرة الدولة " .

غير بعيد عن التفاعل المقترح آنفا، كيف يمكن مثلا أن نفهم المو اقف، الوعي، الإدراك عند كل من المؤرخ أحمد بن خالد الناصري[2] و النائب السلطاني بوسلهام أزطوط[3] أو حتى المولى عبد الرحمان بن هشام وربما جون دريموندهاي[4] وهم ماسكين بين أيديهم نص معاهدة لالة مغنية في تأمل عميق لوقائع الميدان كمعطى خام / وجهات النظر/خلفيات المو اقف/التعاطي الممارساتي :التوقيع ،التفويض ،الامتناع ،المقاومة ،الانصياع..) ربما عن غيروعي كان الفاعلون المذكورون يدورون في فلك المد و الجزر الذي حصل بالتأكيد بين ضرورتي "تاريخ الظرفية " و" ظرفية المعرفة التاريخية"، صاحب الفكرة و

(1) من أجل تاريخ إشكالي "ترجمات مختارة" ،ترجمة محمد حبيدة ، ص 26.

(2)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري (1897/1835) مؤرخ مغربي ،صاحب كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تولى عدة مناصب مخزنية كالإشراف على إدارة الأحباس وكأمين لعدة مراسي .

(3)معلمة المغرب ، الجزء الأول ، ص 3046 . هو بوسلهام بن علي العرايشي بدأ كمساعد لعامل طنجة عبد السلام السلاوي ثم أصبح عاملا على مدينة العرائش بشمال المغرب ، في سنة 1840 أصبح عاملا على طنجة أيام السلطان عبد الرحمان بن هشام ، اكتسب حنكة سياسية أهلته لمفاوضة الفرنسيين بعد معركة إيسلي و بتفويض من السلطان أمضى معاهدة الصلح معهم سنة 1844، توفي بطنجة سنة 1851 .

(4)دبلوماسي بريطاني (1893/1816) ولد بفرنسا ، التحق بالسلك الدبلوماسي لبلده بسن الرابعة و العشرين وبعد ذلك بأربع سنوات سيلحق القنصلية البريطانية العامة في طنجة كمساعد لوالده القنصل العام أنذاك ، تزامن ذلك مع اشتداد الأزمة بين الدولة الفرنسية و المغرب . عمل على هندسة عدة محطات دبلوماسية لبلده في المغرب أبرزه اتفاقية 1856 التجارية مع المغرب ، تبوء مكانة خاصة لدى السلاطين المغاربة التي أصبح يلقب في مراسلاتهم ب"الناصح الأمين " عاصر أربع دبلوماسيين مغاربة تعاقبوا على دار النيابة : بوسلهام أزطوط ،محمد الخطيب ،محمد بركاش و محمد الطريس .

مؤسسها سنجده بعد قرن من الزمن عن موقعة إيسلي و حوالي خمسة قرون من اتفاق الحدود بين العلويين الأوائل و عثمانيو الجزائر التي استند إليها السلطان و المؤرخ و الدبلوماسي، ينصت بإمعان لسرديات تاريخ فرنسا بثانوية فولتير بباريس كما تتلى صلوات القداس و قبل سنوات طوال من نشر مقالته الأولى بعنوان " الإسبان و إفريقيا الشمالية " سنة 1928.[1] ربما ستبدو الفكرة جذابة إذا ربطنا التأريخ و العمل السياسي الدبلوماسي بفكرة هنري بيرين " الانفتاح و الانغلاق الدوري للبحر الأبيض المتوسط " ، ربما تكرر في دواخل هذا المؤرخ ما حملته برقية بانجمان كريميو إلى ديبلينغ "جئت إلى الجزائرلأفهم فرنسا " كانعطافة حاسمة في تاريخ الرجل للإنفصال عن التاريخ التقليدي .ربما باستحضار هامش الزمن كان السلطان و المؤرخ و الدبلوماسي و حتى الفقيه يملكون وعيا نابضا بتغير مسارات التاريخ و بداية فكرة بئيسة عن لعنة الجنوب .بناءا عليه الغوص في نقاش وجداني عميق من جنس ما سبق و من زاوية الدبلوماسية " إدراك ظرفية التاريخ و تاريخ الظرفية عند مؤلف الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية[2] أو أشعاش[3] في موقع مقارنة مع طموحات و تحركات دريموندهاي القنصل البريطاني العام في المغرب ، و كأننا في بتفاعل أخر معقول نقف في صف رؤية موريس هلفاكس حول الذاكرة الجماعية و نحمل العتاد المعرفي و الحمولة الفكرية للمؤرخ الدارس لموضوع الدبلوماسية باتجاه الفكر و الشعور و الإدراك الجماعي و الانتساب المجالي كتطبع جماعي و ننبذ فردانية الذاكرة باستناد قوي للوقائع الملموسة و المواقف المعبرعنها و المخلفات ، ويهم هذا الموقف إلى حد بعيد المؤرخ الذي يقوم دون تردد بمقابلة الذاكرة الفردية و الذاكرة الجماعية المتداخلتين غالبا[4].القصد هنا مثلا محمد الخطيب و الناصري فكلاهما كانا تقريبا على درجة الإدراك لمدى تنامي التجارة الأوربية و حاجتها للإنقضاض على السوق المغربية ، الأول من خلال تجربته بالتجارة و الدبلوماسية و الثاني من خلال اطلاعه و انكبابه على رسم مسارات الأحداث و القرب من مدبري الشؤون السياسية والسلطانية ، الأول نصف متعلم[5] كما وصفه الأجنبي والثاني مثقف فقيه تماهى الرجلان دون وعي ظرفي في الدفاع عن

(1) Fernand BRAUDEL, « PersonalTestimony » ,Journal of Modern History, vol.44, déc 1972, repris et traduit sous le titre « Ma formation d'historien », in Ecrit sur l'histoire, Paris, Editions Arthaud, 1990,PP.9-29.

(2) محمد الطاهر بن عبد الرحمان الفاسي ، الرحلة الإبريزية إلى الديار الأنجليزية ،تحقيق و تعليق محمد الفاسي .

(3)عمر أشعاش ، أسرة أشعاشالتطوانية ، مطبعة الخليج العربي ، ط1 ،2016.

(4)Pierre Nora, Mémoire collecttive, in la Nouvelle Histoire, sous la direction de J.Le Goff, R.CHARTIER, J. REVEL, Paris, 1978, pp. 398-401.

(5) أورد حسن أملول في مؤلفه ترجمة مقتطفة من مؤلف الراهب الفرنسي ليون كودار " المغرب ، تقاييد رحالة 1858–1859" (..فالخطيب كان عطارا بتطوان .) وقد أورد الإشارة أيضا عند محمد داوود ، المجلد السابع ،ص 23 . وكذلك علال الخديمي في مؤلفه " المغرب في مواجهة التحديات الخارجية ، ص 69 .

فكرة المقاومة و التعليل لصيانة مصالح الدولة .كل بخلفياته و إدراكاته وتكوينه و مو اقفه لكن على الأقل الأمر تحقق تاريخا والطرح بمعطياته نستطيع ملاحظة تعليله من خلال المسافة وزاوية الرؤية التي اتخذها النموذجين الأنفي الذكر( المؤرخ و الدبلوماسي).

اعتمادا على المناخ المؤطر لأحداث القرن 19م بالمغرب عند الوقوف على ملاحظة حسن أملول مثلا ، في مؤلفه جوانب من التاريخ الدبلوماسي للمغرب في القرن 19". و هذا ما يفرق بينه و بين حاشية السلطان".قد نعبر و نحن بصدد معالجة الإضاءات التفاعلية حول ارتباط تطور التاريخ كعلم و الدبلوماسية كممارسة خلال القرن المذكور بالوقوف على تحولات جذرية بعيدا عن المغرب وارتباطا بالأوربة المشار إليها سابقا أي مجال التاريخ حيث سنلاحظ على سبيل دعم الفكرة أن كلمة العلم في القاموس الألماني ستتحول وفق دلالة عميقة على انتصار العلوم الوضعية نفهم ما نفهم من هذه الإشارة لكن قرن التاريخ التصق خلال الفترة ذاتها كتسمية للقرن التاسع عشر.[1]

بعد أكثر من مئة سنة على أهم أحداث القرن التاسع عشروالتي كما أشرت سالفا أنها كانت أقرب نقطة و أوضح لوحة لتشريح الوضعيات الإشكالية حول "المؤرخ والدبلوماسي "،سيكتب مؤرخ مغربي نبيه ما يلي :...في مطلع القرن التاسع عشر كان كل شيء في مكانه في المغرب لكي يكون للضغط الأوربي الحد الأقصى من الاثار ، كانت الصلات العضوية الوثيقة المتزايدة بين الدولة و التجارة الأجنبية توفر الوسائل لسياسة لابد لنتيجتها من أن تصبح على المدى الطويل هي عزلة هذه الدولة وتحولها إلى خادم مطيع للمصالح الأجنبية ."[2]

هنا سنتجاوز الوعي و الإدراك المشترك وكذلك المقابلة بين تاريخ الظرفية و ظرفية التاريخ وكذلك تأثير ذلك على المؤرخ أو الدبلوماسي ، باعتبار الأول يسوق الخبر ويدونه ويفسره وربما يتجاوز ذلك غير مكره للتحليل و المقارنة ، و الثاني يضيف على ذلك إمكانية التوجيه و التأثير و التموقف. صورة تحاكي ما حاول التفاعل بين طياته المعاشة الخطيب و أشعاش ووظف الناصري تكوينه و معارفه من أجل قولبته و تأريخه ثم طرح أفكار إصلاحية مبنية على الشعور بأزمة الذات و الانتماء أي نفس شعور سابقيه تماما . مثل الأول أي الدبلوماسي مادة دسمة للثاني أي المؤرخ و اتكأ الثاني على كل ما صدر من الأول المعاصر ، فيما خضع الإثنان لسلطة الحدث و الظرفية و التحول و الصدام و التفاوض. ربما استفاد عبدالله العروي في ذات الأن من مبدأ التراكم الكمي و النوعي الذي حقق علميا خلال الدراسات التي تناولت

(1)كاترين كوليو-تيلين ، ماكس فيبر والتاريخ ،ترجمة جورج كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ،1994،ص.11.

(2) عبد الله العروي: تاريخ المغرب محاولة في التركيب ، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت ، ط1 ،1988 ، ص293 .

الموضوع و استفاد كذلك الممارس المعاصر للفعل الدبلوماسي من ترسبات والتراكم الحاصل فيما يخص تموجات العلاقات بين مختلف الأقطار بالعالم المعاصر الذي أضحى أكثر تنظيما ووضوحا و أقل ارتجالية[1] أي نفس الأريحية التي يتمتع بها دبلوماسي مغربي بدواليب وزارة الشؤون الخارجية المغربية ، نحن مجددا أمام نفس الموقف باعتبارها مش الزمن ، من هنا ربما انطلقت فكرة مؤرخ أخر حاول بشكل أوبأخر رصد الخيط الناظم من وجهة نظر موازين القوى المشار إليها سابقا بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط مسرح الأحداث و التقلبات (فكرة الانغلاق و الانفتاح الدوري) الأمر يتعلق بصاحب سفراء مغاربة في أوربا ،إذ نجده يقول بصريح العبارة :" ..تجاوز السفراء المغاربة الكلام عن أنفسهم واهتموا بأبعاد أوربية ،فتتبعوا المؤسسات المتنوعة ، ودققوا في الكلام عن أوربا الحوار، وعن أوربا البناء الاقتصادي و السياسي ثم ألحوا على أوربا القوة ، أوربا المتخذة لكل المبادرات والناهبة لخيرات البلدان الأخرى ، و أوضحوا أن هذه القارة لم تكتف بهذا الحد ، بل سيطرت على المغرب واستعمرته و انطلقت في طمس معالمه ، ولأجل هذا طالبوا بالحذر و اليقظة ."[2]

ربما التعليل المنطقي للخلاصة يفرض مرة أخرى جس نبض مخلفات العمل الدبلوماسي خلال القرن التاسع عشر مثلا ، وهو ماحصل بشكل واضح بمو اقف محمد الخطيب من مبادرات القنصل البريطاني العام دريموند هاي رغم إدراكه العميق لتنامي التجارة الأوربية وحاجتها للمغرب الأمر الذي ميزه عن حاشية السلطان التي كانت ترغب-ربما عن غيروعي – في عدم المساس بالوضع الذي كان قائما .أعتقد أن المسافة الزمنية النقدية توفرت كعامل حكم ساعد الإثنين ،[3] الأول كمؤرخ علل وشرح تفاصيل البنية التي كان يسبح وسطها كدبلوماسي " دائما الخطيب و أشعاش وأزطوط كنماذج وربما بشكل أو بأخر السلطان كمشرف وموجه و مقرر في شؤون وزارة البحر" ، و الثاني أي القدوري عبد المجيد وظف عبر مساحة رحيبة من الزمن لتعليل التطورات التاريخية الشمولية من زاوية مخلفات و أعمال و تدوينات سفارية دبلوماسية انتهت لصالح الضفة الشمالية بعد مرور الجنوب من مرحلة القوة ثم التوازن انتهاءا بالضعف و الوهن الذي بدا جليا بمو اقف و انطباعات العمراوي والجعايدي و الكردودي .

(1)السير هارولد نيكسون ، الدبلوماسية ، ترجمة محمد مختار الزقزوقي ، المكتبة الأنجلو مصرية ، الطبعة الأولى ،1958.

(2)عبد المجبدالقدوري ، سفراء مغاربة في أوربا ،1610–1922، في الوعي في التفاوت ،مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ،ط1 ،1995.

(3)حسن أملول ، جوانب من التاريخ الدبلوماسي للمغرب في القرن التاسع عشر ، نموذج دار النيابة السعيدة ،الرباط ، ط1 ،2006 ،ص .25–29.

من جانب أخر الإضاءة التفاعلية يمكن تشمل وترصد التماهي الحاصل بين الوعي الظرفي بين الناصري مؤلف الاستقصا[1] المؤرخ كذلك و ابن إدريس العمراوي الدبلوماسي من قبيل ما يلي : تكالب النصارى على الثغور و المراسي و حدثت منهم أمور تدور منها الرواسي". ثم " استطال النصارى بها ، و انكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله "، ربما لو حجبنا الإشارة إلى صاحبي القولتين لاستحال أمام الدارسين و المؤرخين المعاصرين الفصل بين الموقفين بل و يمكن الجزم بكونها صدرتا عن نفس المؤرخ أو الفاعل الدبلوماسي . وقد نصوغ ذات المثال بالتعريج على تجربة المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان رغم أن فحوى تأريخه عمد بقوة إلى بيان عراقة جذور الدولة المغربية،[2] إذ يبدو الأمر غالبا كمرافعة بأهمية قصوى أمام المستعمر الذي لم يوفر جهدا في تفتيت البنى البنى و السياسية و الاقتصادية و الثقافية للمغرب ، ربما في هذه الحالة تمثل الخلفية الاجتماعية و الظرفية التاريخية شرحا مبررا لمكامن الاختلاف عن سابقه الناصري وفي زمن لاحق إذا ما قورن بعبد الله العروي . تمتع الأول بعامل معاصرة الحدث و استفاد الثاني من مناخ تراكمي ، هذه الصيغة الترافعية لم تخل منها مثلا مراسلات الخطيب زمن أزمة أجرة و في وضع انتقالي مع الدبلوماسي على سبيل الإشارة خوان بلانكو ديل باي إبان الأزمة الأزمة السابقة لحرب تطوان 1860/1859 ،[3] إدراك سيبدو نمطيا لمسألة تجاوز التوازن في مراسلات وزير خارجية إسبانيا ساتورينوكالديرونكولانتس إلى سفارات بلده لدى الدول الأوربية بما فحواه "..فهي مستعدة (أي الدولة الإسبانية) لاستعمال نفس الوسائل التي استعملها غيرها (في إشارة لفرنسا و بريطانيا) من الدول للحصول على تعويض الإهانة التي لحقتها (المقصود حادثة أنجرة) ،[4] وعلى ضوء ذلك جبر علاقة التقابل و الموازاة بين عمل المؤرخ و الدبلوماسي يمكن استخلاص أن ملامسة جوهر الوجود الاستعماري ورصد موجات التأثير و التأثر على ضفتي المتوسط و خلفها معادلات التحقيب التي عاشها الإثنان معا ، من المواطنة إلى التدين ثم النهضة والأنوار وبعدها نشأة الفكر البرجوازي التجاري قد نفهم الفرق أيضا بين دي سانطولونودريموندهاي و بين نظرة لويس الرابع عشر في علاقته مع الأخر الأجنبي والمولى عبد الرحمان بن هشام ( لعنة الجنوب من جهة و رسالة الرجل الأبيض من جهة مقابلة

(1)أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج 9 ،الدار البيضاء .1956 .

(2) مصطفى الشابي ، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر ، منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية ، الرباط ، 1995 ، ص 14–18.

(3)علال الخديمي ، جوانب من التاريخ الدبلوماسي للمغرب خلال القرن عشر 1800–1924 ، منشورات جامعة محمد الخامس ، الرباط ،1991 ، ص 54 .

(4) السير هارولد نيكسون ، الدبلوماسية ، ترجمة محمد مختار الزقزوقي ، المكتبة الأنجلو مصرية ، الطبعة الأولى ،1958 .

) ، كل تلك الإضاءات مارست فعليا سلطة خفية على علاقة الإثنين بو اقعهما و تفاصيله الدقيقة باختلافات جد صغيرة قد تغمرها الخطوط العريضة لزحف سمات التاريخ الكبرى ، فما تركه الإثنان أو ما عمل على إنتاجه المؤرخ ثم الدبلوماسي قد تماهى كشهادات غير معزولة عن المفهوم العلمي الوضعي للو اقعة الحدث.على مستوى أخر من البحث يجد الباحث نفسه وسط اضطرارية علمية مفادها الانتقال من مستوى عام "ماكرو" إلى مستويات فرعية "ميكرو" مما يفرض الانزياح التلقائي من المراجع و التفسيرات العامة لمسار التاريخ المغربي المعاصر في علاقته بأروبا من زاوية دبلوماسية .

يبدو أن تقدم البحث التاريخي حول مشاريع متعددة الأركان رغم التمركز حول الدبلوماسية المغربية المعاصرة وفق الإضاءات الإشكالية المطروحة سالفا (المؤرخ والدبلوماسي) يحيل بشكل حتمي إلى الانتقال من الخلاصات والسمات العامة لتاريخ المغرب المعاصر في علاقته بأوروبا من زاويتي المعادلتين شمال – جنوب وتفاوت – توازن؛ على التمحيص والبحث والتوثيق في مستويات ورو افد فرعية كشخصية السلاطين (التكوين العلمي والمرجعية الفكرية)، تكافؤ قوى الداخل (الهاجس الجبائي والتجارة مع الأجانب) وتنافي ضغوط الخارج (تجاوز إنجلترا وفرنسا للقوى التقليدية كإسبانيا والبرتغال خصوصا بعد المحطة الدبلوماسية المفصلية فيينا 1815).

كذلك يبدو أن زاوية التناول لدا المؤرخ تنحدر طوعيا باتجاه التعامل مع الرحلات السفارية ومخلفات التمثيليات القنصلية والمراسلات الرسمية بين السلاطين من جهة والملوك والقناصل والسفراء الأجانب من جهة ثانية وقد يتعداه الأمر نحو كل ما دون على هامش المهمات الدبلوماسية.

# الغدامسيّة بمدينة تونس وأنشطتهم أثناء القرن التاسع عشر من خلال وثائق الأرشيف التونسي

د.عثمان البرهومي. جامعة صفاقس/ تونس .

**Résumé**

L'importance de la communauté Ghadamsi en Tunisie au XIXe siècle est évidente, grâce aux documents d'archives de Tunis et les rapports et récits de voyageurs étrangers, ainsi que les manuscrits et les registres de commerce .., rédigés par des commerçants Ghadamsis eux mêmes, contenant une mine d'informations sur : l'itinéraire de caravanes, la nature de la marchandise, les quantités et leurs destinations, les agents de commerce, les clients et les marchés... etc.

La présence des Ghadamsis en Tunisie est devenue beaucoup plus importante après l'occupation ottomane de Tripoli en 1835.

Une partie des Ghadamsis faisait du commerce entre Ghadamès et la Régence de Tunis, une autre résidait dans la capitale et le reste de villes tunisiennes, notamment dans les grandes villes côtières, où le trafic avec les villes- ports de deux rives de la Méditerranée était florissant.

L'installation des Ghdamsis en Tunisie leur offrait l'occasion d'établir des relations étroites avec les commerçants provenant de plusieurs villes européennes, telles que Palerme, La Valette , Marseille, Venise, Gênes… etc.

En effet, dès le début du XIXe siècle, les commerçants Ghadamsis se sont installés dans les régions proches des frontières Tuniso-tripolitaines, notamment au sud du pays : à l''île de Djerba, Zarzis, Gabès, Sfax, Tozeur…, pour assurer le grand commerce entre la tripolitaine et la Régence d'aune part et entre Ghadamès et l'Afrique subsaharienne d'autre part.

L'installation des Ghadmsis en Tunisie, avait sans doute suscité l'émergence des quartiers, des boutiques, de métiers et d'activités …

propres à eux. Leur contact avec les Tunisiens, avait certainement engendré une acculturation, qui ne peut être que positive pour les deux « sociétés » et qui à notre connaissance, reste peu étudiée par les historiens, les sociologues et les anthropologues, aussi bien tunisiens que libyens !

**Abstract**

The importance of the Ghadamsi community in Tunisia in the 19th century is evident, thanks to the archival documents of Tunis and the reports and accounts of foreign travellers, as well as the manuscripts and trade registers .. , written by Ghadamsis traders themselves, which contain a wealth of information on the caravan route, the nature of the merchandise, the quantities and their destinations, the traders, the customers and the markets…etc.

The presence of the Ghadamsis in Tunisia became much more important after the Ottoman occupation of Tripoli in 1835.

One part of the Ghadamsis traded between Ghadamès and the Regency of Tunis, while another resided in the capital and the rest of Tunisian cities, especially in the major coastal cities, where traffic with the cities ports on both shores of the Mediterranean was flourishing.

The establishment of the Ghdamsis in Tunisia offered them the opportunity to establish close relations with traders from several European cities, such as Palermo, Valletta, Marseille, Venice, Genoa… etc.

Indeed, since the beginning of the 19th century, Ghadamsis traders settled in the regions close to the Tuniso-Tripolitaine borders, especially in the south of the country: on the island of Djerba, Zarzis, Gabès, Sfax, Tozeur… , to ensure the great trade between the Tripolitaine and the Regency on the one hand and between Ghadamès and sub-Saharan Africa on the other hand.

The establishment of the Ghadmsis in Tunisia had undoubtedly given rise to the emergence of neighbourhoods, shops, trades and activities … unique to them. Their contact with the Tunisians had certainly engendered an acculturation, which can only be positive for the two

«societies» and which, to our knowledge, remains little studied by historians, sociologists and anthropologists, by both Tunisians and Libyans !

## مقـــدمـــة

تتميز غدامس بموقع جغرافيّ هام، وهي تقع في المنطقة الغربيّة من طرابلس الغرب، وتبعد على مدينة طرابلس بحوالي 500 كيلومترا،[1] تتصل غربا بالحدود الجزائريّة وشمالا بالحدود التونسيّة، وهو ما يسمح للمدينة بإقامة علاقات تجاريّة هامة ومزدهرة، مستفيدة من موقعها كـ " بوابة للصحراء " لتكون أحد شرايين تجارة القوافل الذي جعل منها كذلك مركزا من أهم مراكز العلم والحضارة.[2] وقد شدّت إليها أنظار العديد من الدول الأجنبيّة والقوى العظمى، على غرار الدولة العثمانيّة و بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وقد اهتمّت فرنسا مثلا بغدامس باعتبارها نقطة إستراتيجيّة لتجارة القوافل، وممرّ رئيسيّ نحو إفريقيا و جنوب الصحراء خاصة، فأقدمت على إقامة قنصليّة لها في غدامس منذ سنة 1881.

وبما أن المصادر الأرشيفيّة قد وفّرت لنا معلومات مفيدة وغير مستغلة سابقا، حول تواجد الغدامسيّة بمدينة تونس خلال القرن التاسع عشر، فقد أردنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على أنشطتهم وعلاقاتهم بسكان المدينة ،فما الذي يميّز هذه الجالية عن غيرها والتي استقرت بصفة مبكّرة بالمدينة، وبمدن تونسيّة أخرى على غرار قابس وجربة والقيروان وقفصة والجريد..؟. وذلك دون أن نغفل عمّا ورد في كتب الرحّالة من معطيات حول غدامس وعلاقاتها بعديد المدن لا سيما في مجال التجارة.

(1) خريطة المدن الليبيّة وطريق الحج. وردت ضمن: د.مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835 – 1912، طرابلس ـ ليبيا ، ص 383. أنظر: ملحق عدد 1.

(2) خريطة غدامس والطرق التجاريّة الصحروايّة. وردت ضمن: د. مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية....، ص 386. أنظر: ملحق عدد 2.

إن تحديد فترة القرن التاسع عشر لدراسة "التواجد الغدامسيّ" بمدينة تونس، لا يعني أنّ حضور الغدامسيّة قبل هذه الفترة بالمدينة كان منعدما، فقد ظلت مدينة غدامس لعدة قرون مركزا هاما ونقطة عبور للسلع والبضائع بين الشمال والجنوب. وللغدامسيّة علاقات تجاريّة بالمدن التونسيّة، فقد كانت تجارتهم مزدهرة وتقوم على تبادل المواد المختلفة والمتنوعة، فكان ذلك من الأسباب المباشرة لاستقرارهم بمدينة تونس.

و لم يرتبط وجود الغدامسيّة بتونس فقط بالتجارة وإنما كانت لهم أنشطة أخرى عرفوا بها. إذ اشتغل الغدامسيّون في تونس خلال القرن التاسع عشر في عدة مهن. وقد مثّلوا بأنشطتهم واستقرارهم بتونس فئة متميّزة ساهمت بشكل كبير في ثراء المدينة سواء من حيث نمط عيشهم - الذي مثل إضافة - أو التنّوع الثقافيّ والحضاريّ الذي حقّقته.

فما هي أولى ملامح الحضور الغدامسيّ في مدينة تونس ؟ إضافة إلى التجارة ما هي الأنشطة الاقتصادية التي اهتموا بها ؟

وكيف كان لحضورهم بالمدينة أثر في التنّوع الثقافيّ والحضاريّ بها ؟

## ا ـ الوجود الغدامسيّ بتونس

تتمتع غدامس بموقع استراتيجي جعلها مركزا تجاريّا منذ العهد الرومانيّ، وفي العهد الإسلاميّ لعبت غدامس دورا هاما في تسهيل مرور القوافل التجاريّة بين الشمال والجنوب لاسيما أنّها تقع في مفترق الطرق التجاريّة القادمة من تونس وطرابلس، وقد تحدث المؤرخون القدامى عن هذه المدينة بما يؤكد أهمّيتها التجاريّة. وهي بمثابة واحة مكونة من مجموعة من القصور qusūr والقرى.[1] كما يصفها الوزان الفاسيّ

(1) Ghadames lieu de station dans le désert, fut construit dans les temps islamiques. Il renferme beaucoup de châteaux ( qusūr ) et de bourgades. Histoire des Berbères, trad.de Slane, III, p.303.

بأنها " منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة " كما يؤكد على الدور التجاريّ للمدينة بقوله " سكّانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان".[1] وكان لغدامس جالية كبيرة في أغلب مدن الصحراء التي عرفت بالتجارة الصحراويّة. كما أنها كانت مركز تجمّع للقوافل القادمة من طرابلس وتونس ثم تتفرّع منها الطرق نحو مدن بلاد السودان. ولم يكن دور غدامس مقتصرا على اعتبارها محطّة لطرق القوافل بل كان أهلها تجّارا يسيّرون بعض القوافل لحسابهم. وقد كان ذلك عاملا مساعدا لهم لإقامة علاقات تجاريّة بمدن بلاد المغرب والاستقرار بها، على غرار مدينة تونس منذ العهد الحفصيّ، حيث امتلأت أسواق المدينة بالسلع التي يجلبونها من دولة الكانم وغات والبرنو ونوفي و أدماز وتنبكتو و وادي ومن منطقة بحيرة تشاد.

كما ظلت غدامس تمثّل ولعدة قرون مركزا تجاريّا مهما بإفريقيا، ونقطة عبور للسلع والبضائع المتبادلة بين الشمال والجنوب. الشيء الذي يفسّر عدم الاستقرار والتوتر الذي عاشته خلال القرن الثامن عشر، حيث كانت غدامس ولمدة طويلة تحت هيمنة حكام تونس، ولكن يتمتع سكان غدامس بالاستقلاليّة بحكم حدة المنافسة حولها بين كل من التونسيين والليبيين والتوارق.[2]

(1) الوزان الحسن بن محمّد، 1983، وصف افريقيا ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي، ج 2، ص 146.

(2) Ghadamès. Encyclopédie berbère, 20 p.5.

ومما يقف دليلا على متانة العلاقة بين تونس وغدامس ما ذكره الرحّالة التونسي **محمد بن عثمان الحشائشي**[1] في رحلته، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب (أو رحلة الحشايشي الى ليبيا).[2] حول الهدية التي تصل إلى الباي **محمد باي المرادي** سنة 1675، من غات عن طريق الركب الغدامسيّ، والعلاقة الوديّة بين غات وغدامس قديمة ومسطّرة في بعض أسواغ مخلفات جدود سيدي أيوب الأنصاريّ من ذرية حكام غات. وتتكون الهديّة من عشر جوارٍ سود ومثلها ذكورا وطواشي وزبد سودانيّ وبخور وبعض طيور الببغاء والنعام أحياء. ثم صارت تأتي هذه الهدية عن طريق الركب الغدامسيّ الذي يأتي من غدامس كل عام.[3] وعندما يصل الركب الى حمام الأنف يرسل إليه الأمير بوّابا من طرفه لإبلاغ سلامه إلى أعيان الغدامسيّة والفرح بقدومهم وينزلهم في الفندق المسمّى " فندق الطيرية " بجوار باب العلوج داخل مدينة تونس.[4]

(1) محمد بن عثمان الحشائشي ، أديب تونسي، ولد بتونس العاصمة في 26 رمضان 1269 / 12 جوان 1853، تتلمذ على ألمع شيوخ الزيتونة أمثال : محمود بن الخوجة، ومحمود بيرم ، ومحمد البارودي، وسالم بوحاجب، ...وغيرهم. قضى الشّيخ محمد الحشايشي، الأديب، والرّحّالة، وعالم الاجتماع والانتروبولوجي حياته بين الكتابة والتّأليف والمطالعة، إلى أن توفيّ في 3 ذي الحجّة 1330 / 12 نوفمبر 1912 عن عمر يقارب ستّين سنة.

(2) قام برحلته الى ليبيا سنة 1895، وسماها جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية، وقد اختار الاسم الأول اشارة الى الحرب الإيطالية الليبية سنة 1911. لأنه كان يكتب رحلته ويسمع عن أخبار هذه الحرب.

رحلة الحشائشي الى ليبيا، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، الطبعة الأولى بيروت لبنان 1965.

(3) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة .....ص 115.

العلاقة ودية بين غات وغدامس قديمة ومسطرة في بعض أسواغ مخلفات جدود سيدي أيوب الأنصاري من ذرية حكام غات مع محمد باي المرادي أمير تونس.

(4) باب العلوج، يقع غرب مدينة تونس. بناه السلطان الحفصي أبو اسحاق إبراهيم المستنصر ( 1349 – 1369م )، وسماه باب الرحيبة ( أي باب الساحة الصغيرة ). في عام 1435م قام السلطان الحفصي أبو عمر عثمان باستدعاء عائلة أمه من إيطاليا، وأسكنها بالحي المجاور للقصبة، والذي صار يسمى رحبة العلوج ( من العلج، وهو الأجنبي الأوروبي )، وبذلك سمي الباب بباب العلوج.

فيجعل لهم الأمير ضيافة إكراما لهم وهي قصاع من البازين (العصيدة) والملوخيّة باللحم البقري، تكفيهم فيأكلون ويشربون ويدعون للأمير بطول البقاء.[1]

وانقطع هذا الركب في عهد المشير أحمد باشا باي الحسينيّ ( 1837 – 1855 )، وهو الباي الذي أصدر الأمر لإلغاء الرقّ في تونس بتاريخ 26 جانفي 1846، قبل زيارته الى فرنسا.[2]

وبالإضافة الى تجارتهم المتبادلة بين تونس وغدامس، امتلك البعض منهم محلات تجاريّة ومخازن في مدينة تونس، استمرت هذه المحلات على ذمتهم حتى بعد العودة إلى غدامس.

وقامت تجارتهم مع بلاد المغرب وتونس بشكل أساسيّ على تجارة الرقيق، إضافة الى العقيق والذهب والريش والناب....، وهذه المواد تجلب من مدن مناطق وبلاد السودان.

كما ساهم وصول الإسلام الى المدن الصحراويّة في تنمية العلاقة التجاريّة بينها وبين غدامس. وقد انعكس ذلك بصفة إيجابيّة على التجارة مع المدن التونسيّة خلال نفس الفترة.

ورغم التقلّبات التي عرفتها هذه الطرقات التجاريّة بين طرابلس الغرب ومجال الصحراء لعدة أسباب، ومنها الأسباب الأمنيّة خاصة. إلا أن الطريق الذي يبدأ من تونس ويمر بغدامس ثم غات ثم مرزق حتى تصل الى بحيرة التشاد قد بقي نشيطا.[3]

وقد أطنب الحشايشي في الحديث عن انتقال أبناء الغدامسيّة للتعلم وحفظ القرآن، اذ يقول "غدامس تولد وتونس تربّي" ، وذلك إذا ازداد مولود لأعيانهم يمكث عندهم بغدامس إلى أن يبلغ سنه سبعة أو ثمانية

(1) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة.....ص 116.

(2) أحمد ابن أبي الضياف،1999، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، 9 أجزاء، الدار العربية للكتاب، تونس، ج 4 ص ص 88-96.

(3) رولفس غيرهارد ، 1996، عبر افريقيا. رحلة من البحر المتوسط الى بحيرة التشاد والى خليج غينيا. الجزء الأول. ترجمة وتقديم وتعليق، د. عماد الدين غانم، منشورات مركز البحوث والدراسات الافريقية، سبها، ليبيا. ص252 .

سنين إلى العشرة ثم يرسلونه الى تونس لقراءة جانب من القرآن العظيم وتعلّم الكتابة ثم يباشر خدمة بعض الحرف الى أن يحصل على جانب من المال فيشتري به بعضا من السِلَع المطلوبة ويقصد بلاده عن طريق وادي تطاوين. وهم أول من أحيا التجارة السودانيّة مع أهل تونس ودخلوا ممالك السودان وانتشروا في أصقاعها وتسلطوا على تجارتها وربحوا الأرباح الكبيرة.[1]

## II ـ التجارة النشاط المميّز للجالية الغدامسية بتونس

لقد جعل الموقع الجغرافيّ من غدامس، نقطة العبور والمحطة الرئيسيّة التي يتوقف عندها المسافرون، خاصة تجّار القوافل الذين يتنقلون بين ساحل الشمال الإفريقيّ ووسط القارة الإفريقية، حيث أصبحت تعرف بـ " بوابة الصحراء ".

وعليه كان بروز غدامس في المجال السياسيّ مستمدا من هذا الموقع الذي جعل القوافل التجاريّة الصحراويّة تتدفق إليها، وهكذا تحوّل إليها مركز الثقل الاقتصاديّ في المنطقة. الشيء الذي جعلها محلّ أنظار عديد القوى الأجنبيّة على غرار بريطانيا وفرنسا وايطاليا والإمبراطوريّة العثمانيّة، باعتبارها تمثّل مركز الطرق التجاريّة الصحراويّة ونقطة الربط بين عديد الأقطار مثل بلاد السودان والجزائر وتونس وتمبكتو ووادي. كما أنها ظلّت الى زمن طويل نقطة عبور لرجال الطوائف الدينيّة الذين كانوا محلّ متابعة ومراقبة من السلطات الفرنسية.[2]

ولئن تعدد طبقات المجتمع في غدامس، فإنّنا نجد منها بشكل أساسيّ التجّار الأغنياء وهم من أهل غدامس الأصليين، كما نجد الى جانبهم الحرفيين من أبناء المدينة، أما العمّال عادة فهم من الغرباء.

(1) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة.....ص 127.

(2) تشايجي عبد الرحمان، 1982، الصراع التركي – الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة على اعزازي ، مراجعة محمد الأسطى، منشورات مركز الجهاد طرابلس، ص 97.

ونظرا لأهميّة التجّارة في حياة المدينة ظهرت طبقة التجّار كأهمّ طبقة لها وزنها في المجتمع الغدامسيّ، حيث كان لهم تواجد تقريبا في أغلب المناطق النشيطة تجاريّا بطرابلس الغرب وبإفريقيا. وقد كان للتجّار الغدامسيّة قدرة على تنظيم مصالحهم التجارية ومراقبتها والتمكّن من إقرار آليات ناجعة لتحقيق أكثر ما يمكن من الأرباح عبر التعويل على الشركات والوكلاء بتوظيف الأقارب وغيرهم.[1]

ومن أشهر تجّار غدامس في السودان تجار برنو على غرار محمد بن محمد بن إبراهيم الغدامسيّ، (وصل به الأمر الى مصاهرة سلطان برنو المعروف بالحاج عمر)، وعبد الله بن عثمان القبيل، ومحمد بن قطيش والبشير بن خلف الله، وأحمد بن سالم.

أما تجار غدامس في تشاد فأشهرهم أحمد بن محمد الصيّاح الغدامسيّ، والبشير بن محمد القبيل. ومن تجار كانو، الشيخ محمد بوزمالة، وهذا الرجل بمثابة وزير لحكام كانو. كذلك عتيق الحاج محمد بن ابراهيم الثني وبوبكر بن أحمد الثني. وتجار نوفى الشيخ محمد العبيدي من أعيان الغدامسيّة محمد بن أحمد الموقف عاصر الحاج محمد الباهي.

أما تجار تمبكتو التاجر حمو البليلي وعبد الرحمان بن كياري الغدامسيّ، ومحمد بن علي بن رشيد القبيل، والبشير بن أحمد القنجي القبيل. ومن تجار سكوتو الحاج محمد الموفق الغدامسيّ وعمر بن الحاج الباهي القبيل.... وغيرهم[2]

أما تجار غدامس في غات فهم كثيرون ومنهم من عاش فيها بقية حياته ومنهم الحاج بوبكر الثني ومصطفى بن محمد الثني والمختار بن الحاج محمد الثني أبو بكر بن محمد بن وليد السنوسي بن أحمد الموفق ومحمد

(1) انعام محمد شرف الدين، 1998، مدخل الى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي : دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711 – 1835)، طرابلس، ص 158.

(2) د. مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية....، ص ص 384 –385.

بن بلقاسم بن عثمان عمر بن محمد المانع...أما تجار غدامس القاطنون بها ولهم شركات مع ابناء عمهم في أقاليم السودان، فهم الحاج أحمد بن محمود الغدامسيّ و الحاج المختار بن قانة والحاج عبد الله بن هارون، والحاج محمد حودة والحاج القاسم الباهي والحاج سالم سولة...وغيرهم[1]

أما التجار الغدامسية بتونس، فقد كان لهم دور كبير في الربط بين بلاد السودان وسواحل المتوسط شمالا. ومنهم الحاج عومر الوحشي ومحمد الطاهر الوحشي والحاج الطاهر بن هارون ومحمد بو زمالة وإخوانه ومن العائلات الغدامسيّة التي نالت حظوظا وافرة في الميدان التجاريّ عائلة الثني.[2]

كما وفّرت لنا وثائق الأرشيف عدد من العقود لشراء حوانيت ومحلات للخزن، يقع استعمالها في تجارتهم التي كانت مزدهرة خلال القرن التاسع عشر.[3] وهذا ما يثبته عقد اقتناء المكرم الأجل موسى بن الحاج محمد بن قاسم حانوتا بسوق البلاغجية بتونس بتاريخ أوايل محرم الحرام فاتح شهور عام 1266 هـ /

(1) حفظ لنا محمد بن عثمان الحشايشي، في رحلته. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، أو رحلة الشايشي الى ليبيا. تقديم وتحقيق على مصطفى المصراتي، معلومات وحقائق كثيرة حول المدن التي زارها أو سمع عنها ومنها مدينة غدامس، غير أن بعض معلوماته ينقصها التحري والدقة، وخصوص الأسماء. فأكثر أسماء الغدامسيين التي وردت فيها محرفة وغامضة أو ناقصة. وبما أن أهم مصادره هي الرواية الشفوية والمشاهدة الشخصية حسبما ذكر هو بنفسه : ( والحال أني لم أظفر بتاريخ يخص هذه البلاد إلا ما تصفحته من الرحال، وبعض من يعتمد عليهم من فحول الرجال، على ما شاهدته الباصرة، وبعض ما ذكره المؤرخون على سبيل الاستطراد فيما يتعلق بأحوال البلاد ) أنظر : بشير قاسم يوشع، 1983، " الغدامسيون في رحلة الحشايشي " مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني ، يوليو 1983، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، فرع غدامس. ص ص 239 – 256، ص 239-240.

(2) عائلة الثني من أعيان الغدامسية بتونس هاجرت الى تونس خلال القرن التاسع عشر، واشتغلت في التجارة ، ومن أبرز أفراد هذه العائلة الحاج علي الثني وإخوته. أنظر: وثائق غدامس ، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 ، 949 هـ / 1542م – 1343هـ / 1924م ، جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1995. ص ص 50 – 51.

(3) أ.و.ت ، السلسلة A ، الحافظة 280 و 459 و 490.

أ.و.ت ، السلسلة A ، الحافظة 222.

1846م.[1] إضافة الى مراسلات محمد بن عبد الحميد الغدامسيّ وكيل تجارة غدامس بتونس.[2] ومن تجار غدامس المشهورين والميسورين جاء الى تونس خلال القرن التاسع عشر وأنشأ وكالة تجارية بمدينة تونس في نهج البلاغجية عدد 6 تتولى تنظيم وتسيير القوافل التجاريّة بين تونس وغدامس.[3]

وقد قامت تجارة الغدامسيّة على جلب مواد اشتهرت بها مدن افريقيا جنوب الصحراء وهي تعرف بالسلع السودانيّة، وهي مجلوبة من بحيرة التشاد والمناطق المجاورة لها ومن مدن مثل غات وتمبكتو ووادي ودارفور....وغيرها. إذ بفضل ما تهيأ لها من طرق للقوافل، أصبحت على اتصال بعالمها الخارجيّ، وأصبح للغدامسيين حضور في العديد من البلدان الإفريقية، ويصف الحشائشي نشاط الغدامسيين في الميدان التجاريّ بأنّهم أوّل من أحيا التجارة السودانيّة مع أهل تونس ودخلوا ممالك السودان وتسلّطوا على تجارتها وربحوا الأرباح الكثيرة. وهذا ما دفعهم إلى شراء الحوانيت والمخازن أو كراء مستودعات للسلع، كما هو الحال بالنسبة إلى المحاسبة التي حصلت على عقد كراء مستودع بمدينة تونس لتخزين البضاعة على ملك إمرأة على يد وكيل. بتاريخ أواسط شعبان عام 1265 هـ / 1848م.[4]

وتتمثل أهمّ السلع التي كانوا يجلبونها وتجد لها رواجا في المدن التونسيّة عامّة وبمدينة تونس بشكل خاص، تجارة الرقيق التي تعتبر أساس هذه التجارة هي من أهمّ الموادّ التي قام عليها -نشاطهم. ولا نبالغ إذا قلنا أنها

(1) وردت الوثيقة ضمن ، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 .....، ص 379.

أنظر: ملحق عدد 3.

(2) أ.و.ت.، السلسلة A الحافظة 459.

(3) ابو القاسم ابراهيم ، 2000 ، " التجارة بين غدامس وتونس في القرن التاسع عشر من خلال مراسلات محمد بن عبد الحميد الغدامسي " ، المؤتمر العالمي للدراسات العثمانية 8 – 1998، زغوان تونس 2000. ص ص 11 – 22. ص 15.

(4) وردت الوثيقة ضمن ، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 .....، ص 380.

أنظر: ملحق عدد 4.

سبب وجود هذه التجارة، نظرا إلى الأرباح الكبيرة التي كانوا - يجنونها، إلى منتصف القرن التاسع عشر حيث وقع إلغاء هذه التجارة من الجانب التونسيّ سنة 1846.

كما نجد موادّ أخرى مثل العطورات والحليّ والذهب والفضة و الشبّ وقشر الرمان وأوراق السماق وهي مواد تستخدم في الصباغة والدباغة. كما يقع جلب النعام والببغاء وعدد آخر من العصافير النادرة والجلد والمنسوجات. إضافة الى التحف و ريش النعام والعاج، وهي من المواد التي يقع جلبها إلى تونس، ومنها ترحل إلى الأسواق الأوروبيّة وهو ما قد يفسّر أهميّة الأرباح الطائلة - التي يحصلون عليها .

هذا وقد تواصلت تجارة العبيد حتى بعد إلغاء الرقّ في تونس سنة 1846.[1] وبعد أن أصدرت الدولة العثمانيّة فرمان يقضي بمنع بيع الرقيق في جميع الأراضي الخاضعة لسيادتها 1855.حيث تضمنت أحد رسائل محمد الصغير بن محمد الثني إلى محمد الصغير حيده، أرسلت ربما إلى كانو في 3 شعبان 1273 هـ / 1856م، تشير إلى وصول فرمان من إسطنبول بإلغاء الرقّ.[2]

وأهمّ طلبات الاستيراد التي يبعث بها أهالي غدامس إلى وكلائهم المستقرين بالمدن التونسيّة، شراء سلع مثل : الحرير والعسل وبذور الخضراوات والمرجان والأواني الفخاريّة إضافة إلى موادّ أخرى تنقل عبر غدامس إلى بقية المناطق الإفريقيّة : منها الملح الذي يعتبر بالنسبة إلى السودانيين بمثابة التبر للمغاربة، لأهميته الغذائية ويستخدم في تصبير اللحوم. كما يستخدم في صناعة البارود. ومن المواد المجلوبة من تونس كذلك و عليها إقبال كبير : الأقمشة المتنوّعة والرفيعة والقمح والشموع والصابون والتبغ والسكر والحبوب والزيت

(1) أحمد بن أبي الضياف، 1999، اتحاف أهل الزمان..... ج 4 ص 88.

(2) وردت الوثيقة ضمن ، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 .....، ص 59.

أنظر: ملحق عدد 5.

والدقيق و"الجبايب والفرارش والبرانس". إضافة إلى الخيول والأسلحة والملابس وأدوات الزينة والملابس المصنوعة بمدينة تونس من الصوف والحرير واللحاف السوسي خاصة.

ومن أشهر هؤلاء الوكلاء محمد عبد الحميد الغدامسيّ الذي تركّز بالحاضرة تونس خلال القرن التاسع عشر، و منها كان يتولى تنظيم وتسيير القوافل التجارية بين تونس وغدامس ومنها إلى بقية الأسواق الافريقية.[1]

## III ـ الغدامسيّة وبقية المهن والحرف الأخرى

لقد عمل الغدامسيون في تونس خلال القرن التاسع عشر في عدّة مهن، منها أعمال البناء، وفي المخابز حيث كان أحد الغدامسيين يعمل سنة 1880م في كوشة بتونس تسمى كوشة "البوالة " وقد سبقه في هذا العمل أي المخابز، آخرون. وعادة ما يتقاسم الأقارب وأبناء العم في الغربة، هذه الأعمال الشاقّة حتى تسهل عليهم. كما هو الحال بالنسبة إلى كوشة بنهج الباشا كان بها عدد من العمال منهم الغدامسية.[2]

أما الحرفيّون من أبناء غدامس فنجد منهم عديد العائلات مثل عائلة القلال المشهورة بصناعة القلال بأنواعها، وعائلة يدر المشهورة بصناعة الجلد والدباغة التي كانوا يوفرون لها المواد الأوليّة من المدن الإفريقية حيث تصل تجارتهم، كما اهتمّ عدد آخر بصناعة السّعف والحديد والصوف والحرير و"الصّاغة"....وغيرها. وقد ساعدتهم في ذلك الخبرة العظيمة بأحوال السودان وممالكه.

إضافة إلى الحرف اشتغلوا في مجال النقل بالمدينة "كرارطية" (عربات تدفع بالأيدي أو تجرّها الدواب) وكذلك بالحراسة لاسيما حراسة المنازل، نظرا لما عرفوا به من استقامة وحسن خلق، كما كانت بعض عائلات الأثرياء وأعيان مدينة تونس يستعينون بهم في قضاء الحاجيّات المنزليّة، فمنهم من اشتغل

(1) أ.و.ت ، السلسلة A الحافظة 490 الملف 2 / 11.

(2) أ.و.ت ، سلسلة D الحافظة 179 ملف 2/ 10.

بالتنظيف والطبخ داخل المنازل. وقد تمنح وكالة للخادم صادرة ضمنا من سيده في شراء الحاجيات المنزليّة من التجار الذين اعتاد أن يتعامل معهم، وعادة ما يكّلف بشراء هذه الحاجيات على أن يدفع هو أثمان المبيعات للتاجر لاحقا. وتشير وثائقنا الأرشيفيّة إلى تنقل محمد صالح الزكري الغدامسيّ[1] إلى الإيالة وتحديدا إلى مدينة تونس، لزيارة ابنيه الأول محمد الزكري يشتغل بالعمل المنزليّ لدى سي ناجي بن مراد أستاذ بالجامع الكبير. والثاني يعمل، عامل خباز بنهج الباشا.[2]

وأكبر دليل على نجاحهم في الأعمال الأخرى غير التجاريّة والاندماج في المجتمع وبشكل سريع أنهم كانوا يتوزّعون على أكثر من حيّ بالمدينة و بالأرباض، حيث حفظت لنا وثائق الأرشيف أماكن استقرارهم في كل من نهج غرنوطة ونهج الباشا وباب سويقة والحفصيّة....وغيرها.

كما أن تواجدهم وتواجد جدودهم منذ أحقاب متعاقبة بتونس، جعلهم يرون أنفسهم من أبناء تونس و أصيليها لهم نفس الحقوق وقد جعل منهم المشير الأول أحمد باشا باي (1837 – 1855) حرّاسا للبلاد مثل أولاد البلاد يسمّون " باللوّاجة " وكان لهم مركز للعسّة في المكان المعروف اليوم " سباط السيارة " قرب بير الأحجار داخل مدينة تونس. ولهم عوائد على الدولة يأخذونها كل عام وهي : خمسة روس من البقر وقفيز من الملوخيّة و أربعة أقفزة من القمح.[3]

**VI. جوانب من الحياة الاجتماعيّة للغدامسيّة بتونس**

(1) محمد صالح الزكري من غدامس، مقدم الطريقة القادرية، وهو تاجر معروف لدى السلطة ويتمتع بصمعة طيبة.

(2) أ.و.ت ، سلسلة D الحافظة 179 ملف 2/ 11.

(3) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة.....ص 127.

ذكر الحشايشي في رحلته الصحراويّة أن تجّارا من طربلس الغرب يقيمون في تونس، خاصة من مدينة غدامس حيث وجدت جالية عددها 300 فردا مارسوا الأعمال المختلفة كان منهم حوالي 37 تاجرا مميّزا ملكوا ثروات كثيرة يمارسون التجارة بكميات كبيرة بين تونس وطرابلس والمدن السودانيّة.(1)

ولعل حرية التنقل والتجارة والإقامة في مناطق مختلفة بالنسبة إلى الغدامسيّة مردّه محافظة أهلها على استقلالية قرارهم الإداريّ، فرغم أن نظام المراقبة الإداري والحضريّ قديم ويمثله "الشيخ" فإنه ظل يعكس نفوذ الأعيان التجار أبناء العائلات الكبرى، وبقي الأمر على ما هو عليه حتى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبعد أن عرفت غدامس الحكم التركيّ 1860 المستقر بطرابلس، ورغم وجود فيلق تركيّ بها بقيت إدارة المدينة مستقلّة وبيد " الجماعة " وهي مكونة من كبار الأعيان.

كما أن النفوذ الدينيّ بغدامس بقي شديد الارتباط بفئة الأعيان من التجار، حيث تأسست الزاوية التابعة للطريقة السنوسيّة بالمدينة على يد هؤلاء وبقيت السيادة عليها تعود إليهم.(2)

لقد توزّع العدد الأهم من الغدامسيّة بتونس الحاضرة على أربعة أماكن كل واحد منها يعرف (بدار الجمّاعة)، وهي عبارة عن سكن كبير يتكون من عدة غُرف، وفي الغالب تكون هذه الغرف مفتوحة على بعضها. وتتسع لإيواء عدد يتراوح بين 40 و70 شخصا من الغدامسيّة العزاب.

وكانت دار الجماعة بنهج غرنُوطة المتفرع من نهج الباشا من أكبر هذه الدور ( وهي بمثابة فندق للوافدين من غدامس). إذ كانت تتسع الى عدد يفوق 70 شخصا.

وكان وجود الغدامسيّة يكاد يكون منحصرا في المناطق التالية.

(1) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة..... ص 170.

(2) Nora Lafi, 2006, « Ghadamès cité-oasis entre empire et colonisation » in *Federico Cresti, La Libia tra Mediterraneo e mondo islamico,* Milano Giuffré, pp 55-70, p 66.

.دار الجمّاعة : نهج غرنُوطة المتفرّع من نهج الباشا

.دار الجمّاعة : بباب سويقة

.دار الجمّاعة : سوق النحّاسين

.دار الجمّاعة : الحفصيّة

وتضم كل دار مجموعة تنتمي الى نفس الحي أو تربط بينها قرابة دموية. كما تمثل دار الجمّاعة دار الضيافة للغدامسيّين، القادمين من غدامس للتجارة مع القوافل، وعن طريق هؤلاء التجار يتعرفون عن اخبار بلدهم وعن طريقهم تصلهم من اهاليهم بغدامس الرسائل و بعض الأشياء كالتمر والأطباق والأحذية التقليدية وبالمقابل يقوم القاطنين بدار الجماعة بإرسال مبالغ مالية الى عائلاتهم، إضافة إلى بعض السّلع كالشاي والقهوة والملابس عن طريق تلك القوافل.

كما تواجدت بمدينة تونس جالية غدامسيّة فضلّت الاستقرار جلبوا معهم عائلاتهم، غير أن عددهم محدود نظرا إلى إمكانيات التنقل الى غدامس والعودة، وزيارة الأهل كانت متوفرة في كل الأوقات خلال القرن التاسع عشر رغم طول المسافة وبعض المخاطر الأمنية. على العكس في بداية القرن العشرين أي بعد 1911، حيث حصل التضييق على حركة الليبيين عُموما، فقد اشترطت عليهم السلطات الفرنسيّة الحصول على تراخيص مسبقة للدخول الى تونس. كما هو الحال بالنسبة الى "خليفة بن سعد شوشان، يسكن بتونس منذ 3 سنوات، ذهب إلى طرابلس منذ 20 يوما ليشتري عددا من الخرفان ويعود مصحوبا بزوجته وأولاده ولديه بهيم وجمل يحملون الأدباش. سلمت له هذه الرخصة في 16 أكتوبر 1912".[1]

(1) أ.و.ت، سلسلة A الحافظة 280 ملف 1 / 12.

أنظر: ملحق عدد 6.

وتعود الأسباب المفسّرة لهذه الإجراءات، التضييق على الحركة السنوسيّة ومحاصرتها، ومنع وصول السند إليها بعد أن انتشرت كثيرا وأصبح لها أتباع ومريدون في الجنوب التونسيّ كما أنها أصبحت تشكل تهديدا حقيقيّا للوجود الايطاليّ في ليبيا.

### V. مساهمة كبيرة للغدامسيّة في التنوع الثقافيّ والحضاري للمدينة

يمكن القول إنّ الغدامسيّة الذين نشطوا بمدينة تونس واستقروا بها مثّلوا فئة متميزة بأنشطتهم وثراء نمط عيشهم الذي ساهم في التنوّع الثقافيّ والحضاريّ للمدينة. حيث كانت طبائعهم شبيهة بطبائع التوارق يتكلمون لغة بربريّة خاصة بهم،علاوة على معرفتهم مبادئ القراءة والكتابة منذ أن تعلقوا بالطريقة السنوسيّة وصار منهم من يحفظ القرآن و يحسن الإلمام بالعلوم الإسلاميّة. والعديد من أبناء غدامس من تنقل إلى مدينة تونس، استقرّ وعاش بها لتلقي العلم من منارات العلوم بها، فمدينة تونس عرفت حيويّة كبيرة في المجال العلم والفكر والثقافة، نظرا الى الدور الذي قام به جامع الزيتُونة كمؤسّسة تعليمية رفيعة المستوى منذ زمن بعيد، والمدارس الأخرى العديدة التي تعاظم دورها خلال القرن التاسع عشر، حيث كانت قبلة لطلبة العلم من مناطق مختلفة. وكان قد تخرج منهم أناس عالمّون وفقهّاء كالشيخ الغدامسيّ صاحب شرح الحزب الكبير للإمام أبي الحسّن الشّاذلي. وكان لدى الغدامسيّة تعلّق بحاضرة تونس، وإعجاب كبير بها. ومن أمثالهم الدارجة قولهم "غدامس تولد، وتونس تربّي ".[1]

ولديهم اعتقاد بأنه ليس هناك بلد أعظم من مدينة تونس، ويرون أن سلعها هي أحسن سلع الدنيا وأجودها حيث أن التاجر إذا أثبت لهم أن الشيء الذي يريدون شراءه أصله تونسيّ اشتروه بما يطلب ومن غير مسّاومة.[2]

(1) محمد بن عثمان الحشايشي ، 1965، رحلة..... ص 127.

(2) محمد بن عثمان الحشايشي، 1965، رحلة .....ص 123.

والكثير من الغدامسيّة يسافرون إلى طرابلس وبلاد السّودان دون أن يتخذوها مقرّا دائما لهم، إلا القليل النادر فقط. والعكس يحصل معهم بالنسبّة إلى مدينة تونس وهو دليل آخر على تعلّق الغدامسيّة بهذه المدينة وإعجابهم بها.

ومن صفات الغدامسيّة أنهم مسّلمون متمسّكون بديانتهم وعندما ينادي المؤذن للصلاة تخلو جميع الشوارع وتخلو جميع المتاجر من الناس. لا أحد يسّرق ولا أحد يقتل، والغدامسيّ إنسان وديع ومسّالم جدا، البوليس يجلس فيها بلا وظيفة أمام دفاتر خاليّة. وقد أكدت كتبُ الرحّالة هذه الصفّات. فقد ذكر **غيرهارد رولفس** " يجدر بالمرء أن يثق بكلمة الغدامسيّ، فهو يحافظ على العهد، لذلك يعطي تجار أوروبيون زبائنهم الغدامسيّين بضائع تبلغ قيمتها ألاف التالرات[1] بالأمّانة ولم يحصل حتى الآن أن قام أي من الغدامسيّين بعمل شيء يغضب عمّلاءه ".[2]

وللغدامسيّة المقيمين بتونس إضافةٌ و إثراءٌ لعاداتهم الغذائيّة فعلاوة على انفتاحهم على عادات المحليّين، كانت لديهم طرقهم الخاصة في طهي الأطعمّة وكيفية تقديمها، فالمُلوخيّة تجفف ثم تطحن حتى تصبح دقيقا غاية في النعُومة ثم تُمزج بالزيت وتُضاف إلى الماء وتقلى مدة طويلة ثم تضّاف إليها اللحوم والبهارات وقليل من السّمن. وطبق الملوخيّة يقدم عادة مغطى بالزيت.[3]

---

(1) عملة نمساوية قديمة، تستخدم على نطاق واسع في شمال أفريقيا والشرق الأوسط كمناطق غرب الجزيرة العربية، بما في ذلك الحجاز واليمن وحضرموت وظفار وشرق أفريقيا. وكانت تسمى بالريال الفرنسي وأيضا الريال النمساوي. وعلى الرغم من أن أنواعا عديدة من الدولارات أو الثالرات قد جرى سكها لتلبية احتياجات البلدان الإسلامية من العملات في ذلك الزمن. لقد استخدمت هذه التالرات في جميع أنحاء تلك المناطق كعملة تجاوزت حدودها الإقليمية يمكن تداولها دون اللجوء إلى الصرافين أو مكاتب بيع العملات. هذا الوضع أثر تأثيرا سلبيا على العملات المحلية لأنها لم تكن تحظى بنفس شعبية التالرالنمساوي الذي اعتبر عملة على درجة أعلى من حيث الوزن والنقاوة.

(2) رولفس غيرهارد ، 1996، عبر افريقيا.....ص 105.

(3) محمد بن عثمان الحشايشي،1965، رحلة..... ص 116.

أما البازين ( وهو أيضا أكلة طرابلسيّة شائعة وليست خاصة بالغدامسيّة ) فهو أشبه بالعصيدة المصنوعة من دقيق الشعير والماء المغلي وبعد أن ينضج يضّاف إليه الملح ثم يكوّر على شكل كرة وتجوّف وتوضع بداخلها الخضّار واللحم. وهي تؤكل في تونس إلى حدّ اليوم بالجنوب خاصة.

كما كانوا يتشبّهون بالتونسيّ في نمط عيشه وغذائه، إذ تذكر بعض الوثائق أنّ الغدامسيّة الموجودين في تونس يرسلون الى أهاليهم بغدامس أنواع مختلفة من الغذاء والفواكه وجميع ما يلزم استعدادا الى شهر الصيام.[1] إضافة إلى أنّهم كانوا يجتهدون في اقتناء الشّاشيّة " الكبُوسْ " والأقمشّة الفاخرة من تونس مثل اللحّاف السّوسي والحُولي الجرّيدي.

وحافظ الغدامسيّون المقيمين بتونس، على عاداتهم وتقاليدهم فكانوا يجتمعون بدار الجمّاعة لتلاوة القرآن وأداء الاذكار في مواسم الاعيّاد والمناسبّات الدينيّة والمدائح ولا تخلو من البنادير والغيطة ففي اوقات السمّر والترويح عن النفس يقيمون الحفلات الفلكلُورية التي تذكرهم بمدينتهم.

وكان لهم أيضا اهتمام بالطرق الصُوفيّة، وساهموا كغيرهم من الليبيّين في انتشار بعض هذه الطرق و في توسّع دائرة المريدين والأتباع لها كما هو الشّأن بالنسبّة إلى الطريقة السنوسيّة والطريقة السُلاميّة التي يعود تأسيسها إلى الشيخ عبد السّلام الأسْمر ( ت1573م )، ولها شُهرة كبيرة وأتباع كثيرون بين تونس وليبيا خاصة، ولها أذكار قليلة وأدعيّة مخصُوصة تؤدى بأسلوب لطيف. أما الطريقة الرحْمانيّة التي اتبعها بعضّهم فقد أدخل المنتسبون إليها آلات إيقاعيّة مثل الطّار والنغّارات والدفُوف وألّفوا لها مدائح شبيهة بمدائح القادريّة[2].

(1) وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 .....، ص 142.

(2) محمد البهلي النيال، 1965، الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي، نشر وتوزيع مكتبة النجاح، تونس ، ص 230.

إضافة الى الولع بالطريقة التيجانيّة والتردّد على الزّاوية التابعة لها، زّاوية سيدي ابراهيم الرّياحي الكائنة بالحّاضرة،[1] وقد قامت صّلات حميمّة بين أتباع هذه الطرّيقة وبعض أتباع الطرّيقة الشاذليّة. رغم أن هذه الطرّيقة كانت تمنع أتبّاعها من ترديد أورّاد الطرّق الأخرى وتعاليمها. فقد ساهموا في نشر الطرّيقة الختميّة، هي الطرّيقة التي أسسها السيد محمد عثمان الميرْغني الشّهير بالختّم عقب وفاة أستاذه السيد ابن إدْريس وكان يعتبر من أقرب تلاميذه إليه. وقد أخذ السيد محمد عثمان الميرْغني الطريقة النقْشبنديّة، والجُنيديّة، والقادريّة، والشاذليّة، عن مشّايخ عديدين إضافة إلى طرّيقة جدّه الميرْغنيّة، قبل أن ينتهي به الأمر إلى الأخذ عن السيد أحمّد بن إدْريس صاحب القدّح المعلّى في تربيتّه الصُوفيّة ودفعه في مجّال الدّعوة.[2]

(1) تعتبر الطريقة التيجانية من الطرق الصوفية التي ظهرت حديثا بتونس وتنسب الى مؤسّسها الشّيخ أحمد التّيجاني ( 1150 هـ / 1737م – 1230هـ/1814م ). ودخلت البلاد التونسية على يد الشيخ إبراهيم الرّياحي ( 1766– 1850م ) لتسمّى الزّاوية الأمّ الخاصّة بهذه الطريقة باسمه ونعني زواية سيدي إبراهيم الرياحي الكائنة بالنهج المسمّى باسمه بالحاضرة، وهو متفرّع عن نهج الباشا بالمدينة العتيقة بتونس. أنظر : ترجمة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي، أحمد بن أبي الضياف، الاتحاف.....ج 7، ص ص 73– 82.

(2) يحي محمد إبراهيم، 1993، مدرسة أحمد بن ادريس المغربي وأثرها في السودان، دار الجيل للنشر والطباعة، ص ص 325 – 326.

## خـــاتمة

يمكن القول أن حركة التجّارة بين إيالتيْ طرابلس وتونس عامة، قد استمّرت مزدهرة خلال القرن التاسّع عشر لا يكدّر صفوها إلا بعض الهجمّات من قبائل حدوديّة، لكن تدخّل السلطة الحاكمة في الإيالتيْن أوقفت هذه التجّاوزات. وكان لتطور المبادلات التجاريّة أثار إيجابيّة على توطّد العلاقات الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة. ورغم التحوّلات التي عرفتها المنطقة حيث كان للاستعمار الأوروبيّ لإفريقيا خلال القرن التاسع عشر تأثيرات سيئة وانعكّاسات سلبيّة على التجارة الصّحراويّة، لا سيما بعد الاتفاق الفرنسيّ البريطانيّ الأول في أوت 1890، لتسوية الحدود الصّحراويّة. إذ يعدّ هذا الاتفاق الأوّل من نوعه الذي يحدّد مناطق النفوذ بين البلدين مسّتبعدين من ذلك الدولة العثمانيّة، التي أعلنت عن الاحتجاج لدى الدولتين وطالبت بالحقوق العثمانيّة على " الهنترلند Hinterland " الطرابلسيّ. الأمر الذي أصبح عائقا أمام تحرّك القوافل التجاريّة، التي بدأت منذ ذلك الوقت تعاني الركود و مالت إلى الاضمّحلال، بعد أن ظلّت لعدّة قرون تقدّم خدمات عديدة في المجال الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ لسكّان القارة الإفريقيّة.

## المصادر والمراجع :


**.وثائق الأرشيف الوطني التونسي**

. السلسلة A : تتعلق بشؤون الادارة الجهوية والمحلية.

. السلسلة B : تتكون من ملفات ادارية للقضاة والمفتيين والعدول والوكلاء بالإضافة الى ملفات الأمناء

. السلسلة D : تهم الشؤون والممارسة الدينية

. السلسلة E : تتعلق بنشاط المؤسسات والهياكل النشطة خلال الفترة الاستعمارية

**. المصادر الأصلية والمراجع**

. أحمد ابن أبي الضياف،1999، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، 9 أجزاء، الدار العربية للكتاب، تونس.

. الوزان الحسن بن محمد، 1983، وصف افريفيا ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي، ج 2.

. محمد بن عثمان الحشائشي، 1965، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب.رحلة الحشائشي الى ليبيا، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، الطبعة الأولى بيروت لبنان.

. رولفس غيرهارد ، 1996، عبر افريقيا. رحلة من البحر المتوسط الى بحيرة التشاد والى خليج غينيا. الجزء الأول. ترجمة وتقديم وتعليق، د. عماد الدين غانم، منشورات مركز البحوث والدراسات الافريقية، سبها، ليبيا.

. ابو القاسم ابراهيم ، 2000 ، " التجارة بين غدامس وتونس في القرن التاسع عشر من خلال مراسلات محمد بن عبد الحميد الغدامسي " ، المؤتمر العالمي للدراسات العثمانية 8 – 1998، زغوان تونس 2000. ص ص 11 – 22.

.انعام محمد شرف الدين، 1998، مدخل الى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي : دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711 – 1835)، طرابلس.

.بشير قاسم يوشع، 1983، " الغدامسيون في رحلة الحشايشي " مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني ، يوليو 1983، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، فرع غدامس.

.تشايجي عبد الرحمان، 1982، الصراع التركي – الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة على اعزازي ، مراجعة محمد الأسطى، منشورات مركز الجهاد طرابلس.

.محمد البهلي النيال، 1965، الحقيقة التاريخية للتصّوف الاسلامي، نشر وتوزيع مكتبة النجاح، تونس.

. د.مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835 – 1912، طرابلس .ليبيا.

. يحي محمد إبراهيم، 1993، مدرسة أحمد بن ادريس المغربي وأثرها في السودان، دار الجيل للنشر والطباعة.

-Ghadamès. Encyclopédie berbère, 20.

-Nora Lafi, 2006, « Ghadamès cité-oasis entre empire et colonisation » in *Federico Cresti, La Libia tra Mediterraneo e mondo islamico,* Milano Giuffré, pp 55-70.

## الملاحق :

### خريطة المدن الليبية وطريق الحج[1]

**(ملحق عدد 1)**

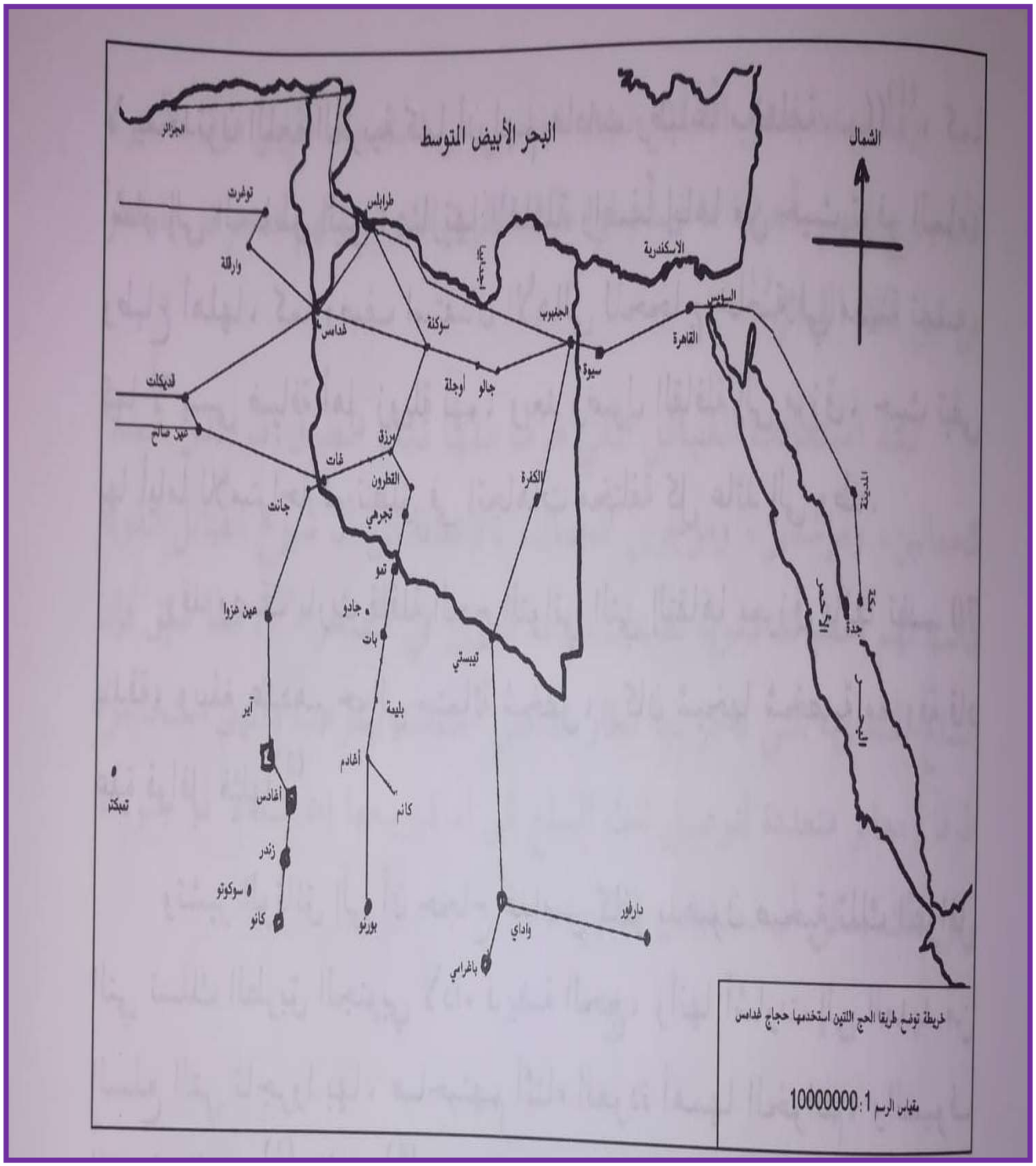


(1) د.مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835 – 1912، طرابلس ـ ليبيا ، ص 383.

غدامس والطرق التجارية الصحراوية[1]

(ملحق عدد 2)

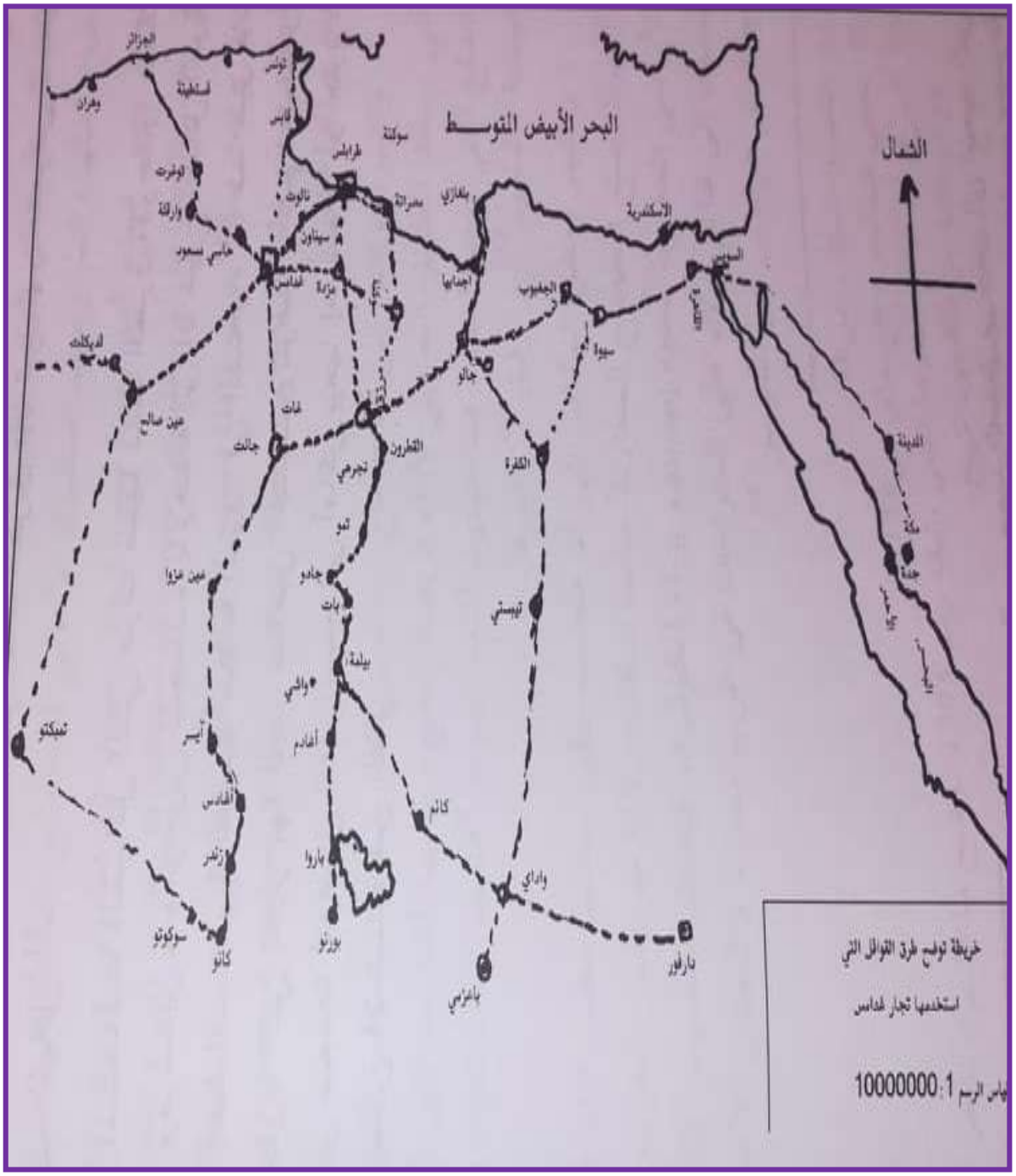


(1) د.مروان محمد عمر، 2009، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835 – 1912، طرابلس ـ ليبيا ، ص 386.

عقد شراء حانوت بسوق البلاغجية[1]

(ملحق عدد 3)

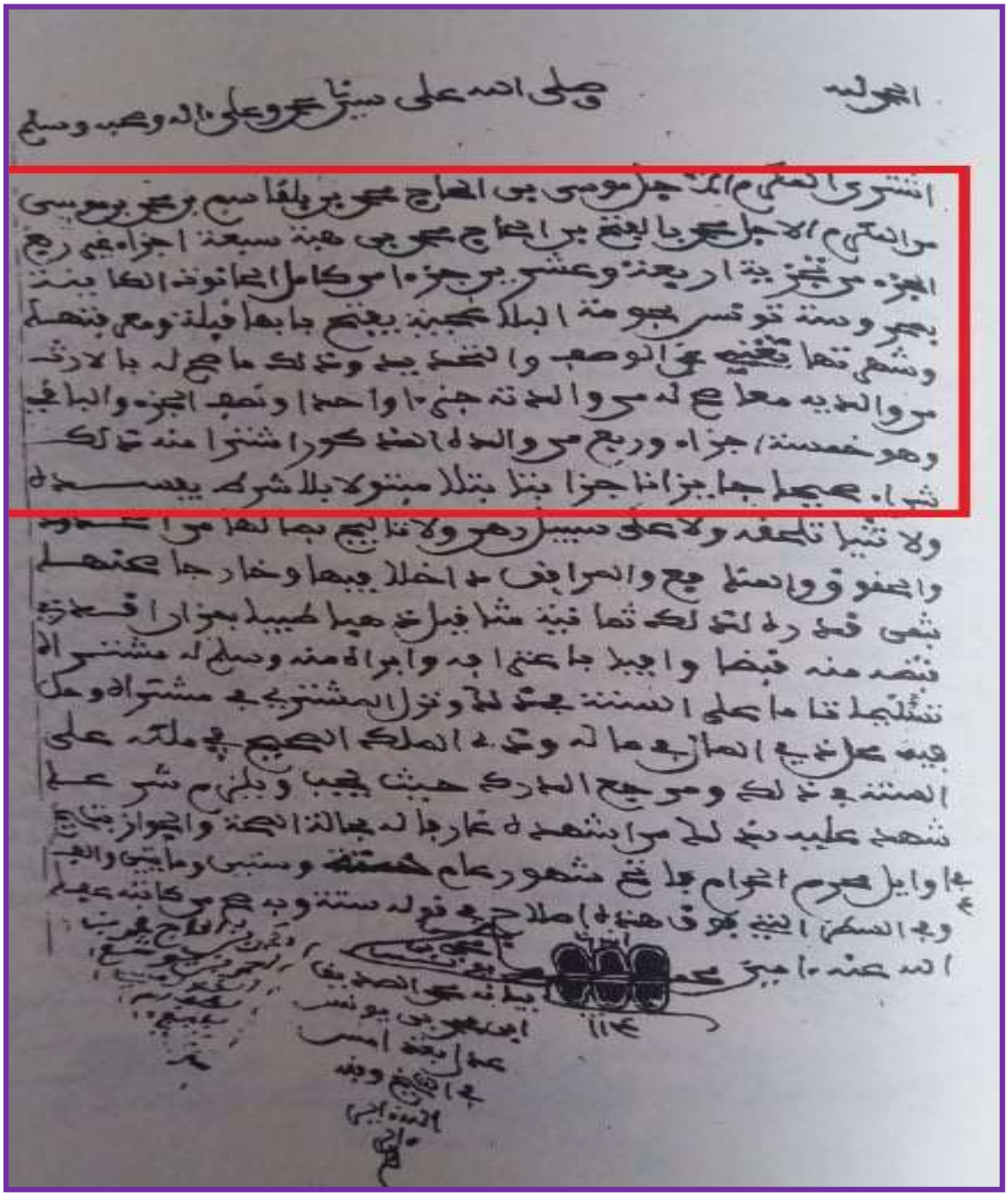

(1) وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 ، 949 هـ / 1542م – 1343هـ / 1924م ، جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1995. ص 379.

محاسبة على كراء مستودع بتونس[1]

(ملحق عدد 4)

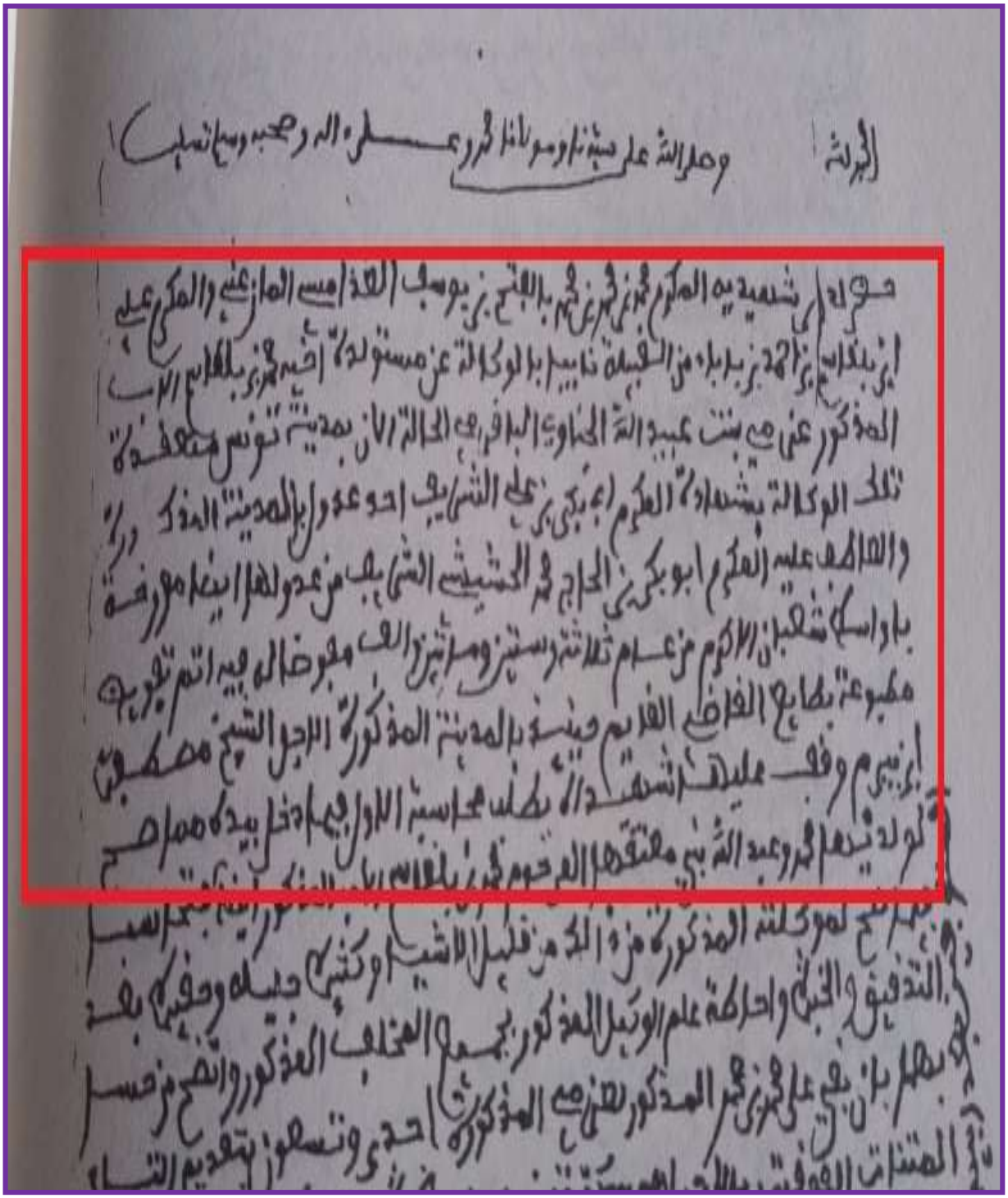

(1) وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 ، 949 هـ / 1542م – 1343هـ / 1924م ، جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1995. ص 380.

فرمان عتق العبيد[1]

(ملحق عدد 5)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد وسلم.

من محمد الصغير بن الحاج محمد الثني إلى المكرم الأجل محمد الصغير بن الحاج حيده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد اعلم أن في هذه الأيام جاءنا خاطر من طرابلس وعرفونا في الجوابات بأن جاء فرمان[1] من اسطنبول على بطلان العبيد، من باعه يجعلوه في الكراكه سبعة سنين ومن شراه أربعة عشر سنة[3] حتى الذين في الديار اخرجوا فيهم ويعتقوهم وربنا إن شاء الله ابدل الأوقات بالخير، واعلم يا محمد أنني رسلت لك ستة حمول سلعة[4] على يدين أق عومار تراهم لنفسي لا لتركة والدنا[5] اعلم زمام نفسي وحده ربنا إن شاء الله يعيننا[6] وإياك على الدين والدنيا، تبقا يا أخينا الجميع وصيغ لنا ما ظهر لك واعلم أن الناب في هذا الوقت مائة وستين محبوب للقنطار الملح والملاحف أربعة عشر قيراط في غات، الشهوة

(1) وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، رقم 2 ، 949 هـ / 1542م – 1343هـ / 1924م ، جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1995. ص 59.

رخصة للتنقل الى تونس[1]

بتاريخ 16 أكتوبر 1912

(ملحق عدد 6)

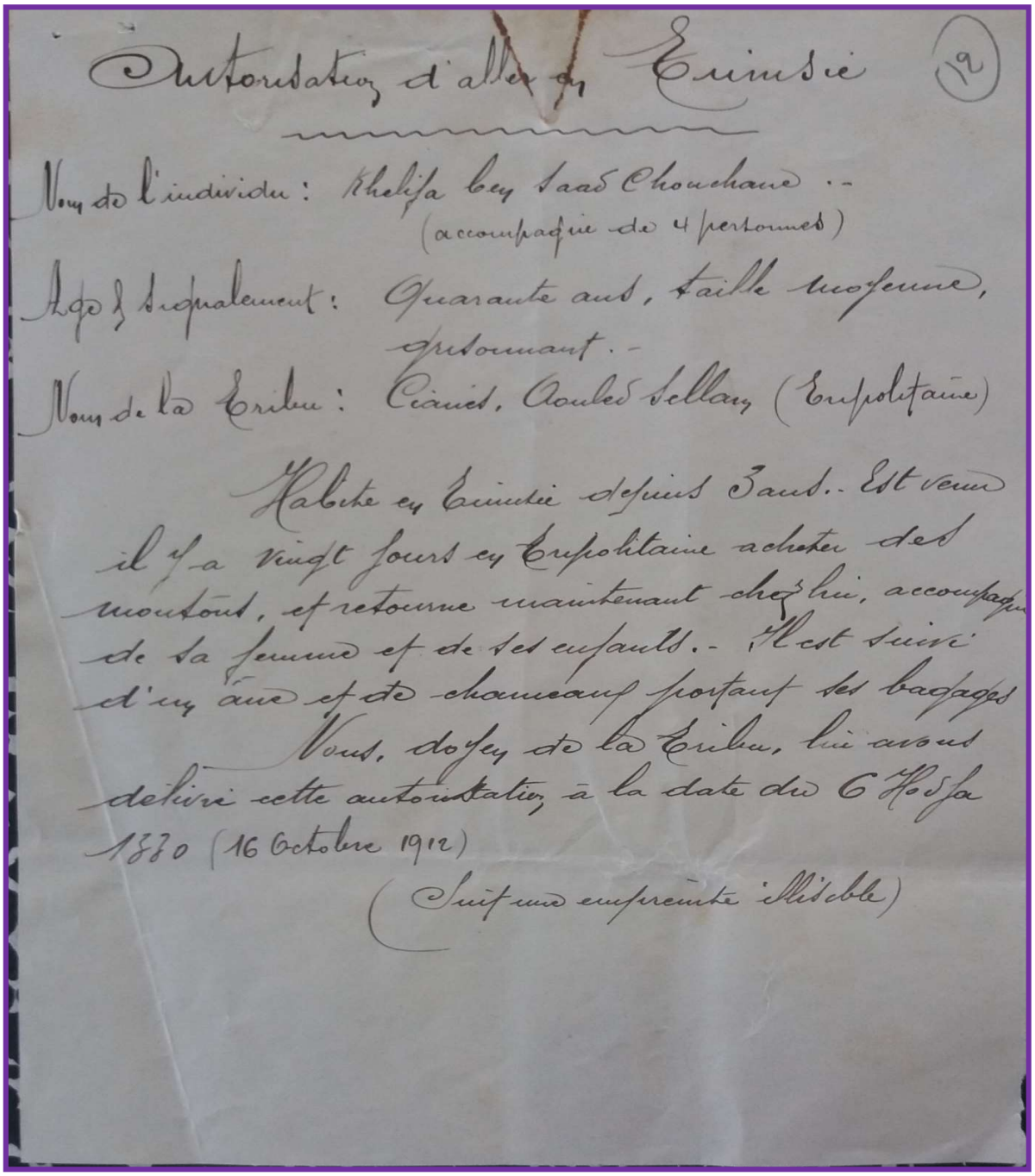

Autorisation d'aller en Tunisie

Nom de l'individu : Khelifa ben Saad Chouchane
(accompagné de 4 personnes)

Age & signalement : Quarante ans, taille moyenne, grisonnant.

Nom de la Tribu : Ciamet, Ouled Sellam (Tripolitaine)

Habite en Tunisie depuis 3 ans. Est venu il y a vingt jours en Tripolitaine acheter des moutons, et retourne maintenant chez lui, accompagné de sa femme et de ses enfants. Il est suivi d'un âne et de chameaux portant ses bagages

Vous, doyen de la Tribu, lui avons délivré cette autorisation à la date du 6 Hedja 1330 (16 Octobre 1912)

(Suit une empreinte illisible)

(1) أ.و.ت، سلسلة A الحافظة 280 ملف 1 / 12.

# وظيفة المنهج الكمي في دراسة تاريخ الساكنة الحضرية بمدينة الدار البيضاء

دة. حبيبة تركاوي: طالبة باحثة
جامعة ابن زهر- أكادير

صرح "فرانسو فوريه" : "منهج التاريخ الكمي بالأرقام هو ثورة في فهم التاريخ كله"

**ملخص المقال:**

يكمن الهدف الذي سطره هذا المقال في تسليط الضوء على التحولات التي شهدها المغرب في ظل نظام استعماري عجل بتحولات سرعت من الهجرات الداخلية نحو مدن الشمال وعلى رأسها الدار البيضاء، وذلك اعتمادا على معطيات رقمية بهدف دراسة ظاهرة الهجرة وعلاقتها بحجم الساكنة الحضرية لهذه المدينة خلال فترة ناهزت قرن من الزمن. ومن هنا، سنتطرق بالتحليل إلى عنصرين أساسيين: يتعلق الأول بدراسة الظروف التاريخية التي أنتجت الهجرة الداخلية، والثاني، بتحليل علاقتها بظاهرة تطور الساكنة الحضرية بالدار البيضاء.

**إشكالية المقال:**

كيف يمكن توظيف الدراسة الكمية في تحليل علاقة الهجرات الداخلية بفهم حيثيات تطور الساكنة الحضرية بمدينة الدار البيضاء؟

## تقديم: المنهج الكمي والدراسات التاريخية

تدعم منهج البحث التاريخي بآليات جديدة مكنت من الاقتراب الدقيق من الحقيقة التاريخية والابتعاد عن التعميم والضبابية من خلال المنهج الكمي القائم على التعامل مع المادة التاريخية تعاملا عدديا يُمكن من الوصول إلى النتائج ودراستها وتحليلها.

وفي هذا الإطار، حاولنا اعتماد المنهج الكمي في دراسة ظاهرة تاريخية من خلال التنقيب عن دور الهجرات الداخلية والنزوح القروي في تطور الساكنة الحضرية لمدينة الدار البيضاء؛ لاسيما خلال فترة

الحماية التي عانت من قلة معطيات كافية اللهم تلك الدراسات التي قام بها بعض الأجانب من أجل خدمة مشاريعهم في غالب الأحيان. و انتقلنا -في سياق توفر بعض الإحصائيات بعد الاستقلال- إلى دراسة مدى استمرار إسهام تلك الهجرات في ظاهرة التحضر التي عمت مختلف جهات المغرب ولم تعد مقتصرة على البيضاء وبعض المدن القليلة؛ إذ ناهزت ساكنة المغربية بداية القرن العشرين حوالي 420000 نسمة[1]. ومثلت نسبة التحضر فقط بين 8 و9%[2]. وتغير هذا الوضع مع نظام الحماية الذي أدخل تغيرات مهمة تمثلت في الهياكل الصناعية والخدماتية ودورها الاستراتيجي في تسريع تحضر الساكنة تدريجيا. وفي سنة 1914 صدر تقييم سكان المدن الحضرية في "تقرير وضعية الحماية" والذي بلغ 650 ألف شخص لينتقل إلى قرابة المليون سنة 1926 ثم 1400000 سنة 1936. وهكذا ارتفعت وتيرة التحضر بشكل سريع ناهزت 3400000 نسمة ليتجاوز عتبة الخمسة ملايين سنة 1971[3].

وانطلاقا من واقع الارتفاع الواضح للتحضر التي تضاعف مقارنة مع بداية القرن العشرين بـ13[4] مرة. هل يمكن اعتبار الهجرة الداخلية ضمن المسببات الرئيسة لظاهرة نمو الساكنة الحضرية من خلال دراسة حالة مدينة الدار البيضاء التي اعتبرت نموذجا لاستقبال مختلف الأوراش الاستثمارية الأجنبية الكبرى وبالتالي مركزا لجذب مختلف الهجرات الداخلية؟

## ثانيا: الهجرة الداخلية والنزوح القروي

عرفت الهجرة الداخلية تحولات عميقة مع بداية القرن العشرين، هذه الفترة التي اتسمت بالتدخل الاستعماري الذي أحدث تغيرا جذريا في البنيات الاقتصادية والاجتماعية بعد عمليات نزع

(1) N. Laras, « la population du Maroc », in : ***Bulletin de la Société de Géographie de Paris*** , T. 15, 1906 , p. 166, cité par :
- محمد حبيدة، **بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات**، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2015، ص. 75.
(2) R. Escallier, « La croissance urbaine au Maroc », **Annuaire de l'Afrique du Nord**, Université de Nice, mars 1972, p.146.
(3) R. Escallier, « La croissance urbaine au Maroc », *op.cit.,* p.146.
(4) Ibidem.

الأراضي الزراعية الخصبة وإدماجها ضمن أراضي الاستعمار «terres de colonisations». وقد عملت مؤسسة الحماية –من أجل خدمة الأغراض الاقتصادية، السياسية – على إضعاف المقاومة المسلحة عبر استدراج قياد وأعيان القبائل وإغراء هذه الفئة بمناصب "السلطة المصطنعة" شريطة إنجاح مشروعها المتجسد في توجيه الساكنة المحلية نحو الهجرة إلى المراكز الحضرية لممارسة أنشطة جديدة و أكثر سلمية.

ومن هنا يتضح أن الاستعمار الفرنسي ركز على الاستيطان الزراعي الذي مكن من السيطرة على الأراضي الفلاحية والملكيات العقارية، ومن أجل ذلك كان على الإدارة العامة اللجوء إلى إصدار ترسانة من الظهائر التي ساعدت عملية مصادرة الأراضي لصالح المعمرين الأوروبيين، فمنذ السنوات الأولى للحماية استحوذ المعمرون على أجود الأراضي الفلاحية، من خلال تبني "السياسة القيدوية" التي اتخذت منها وسيلة تمثل السلطة المحلية خصوصا بتلك المناطق المستعصية؛ إذ شكلت هذه السياسة وسيلة ناجعة بالجنوب المغربي من أجل السيطرة على الملكيات العقارية وإخضاع القواد الكبار لخدمة مصالحها الاقتصادية و الأمنية[1]. هكذا فالدور الاستعماري حاضر بقوة ضمن المسببات والشروط الأساسية للهجرة[2]، ففي ظل توالي الأزمات[3] بالقرى والبوادي المغربية اشتدت الرغبة في التخلص من تنامي الاستغلال الأجنبي الذي فرض البحث عن السيولة النقدية كتجليات ومظاهر العنف الاستعماري بنوعيه المادي و الرمزي.

(1)- الكبير عطوف، **الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقاربة سوسيو- تاريخية (1045 م. – 2011 م.)**، منشورات جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس، أكادير، ط. 2، 2012، ص. 95.

(2)-Larbi Talha, **Le salariat immigré dans la crise, la main d'œuvre maghrébine en France (1921-1987)**, Ed. CNRS, Paris, 1989, p. 29.

- كانت تستقطب جهة تادلا خلال المواسم الفلاحية الجيدة نسبة مهمة قدرت بآلاف السوسيين الذين يشتغلون بالأشغال الفلاحية:

(3)- **Archives Diplomatique Nantes**, **Télégramme n° 2484**, de Mr. Le Commissaire General de Fès à Mr. Le Résident Général Rabat, en date du 29 avril 1916, la main d'œuvre marocaine, Dossier : migration de la main d'œuvre agricole, Divers.

وقد أدت سيطرة المعمرين على أجود الأراضي الزراعية لم تعد الفلاحة الأهلية تكفي سوى لسد الجوع بالوسط القروي الذي بات يعاني من السيطرة على أراضيه ومن التحول الخارجي للنشاط الاقتصادي الذي أدى إلى تراجع استغلال الفلاح للأرض وهو ما شكل الدافع الأساس وراء نزوح عشرات الآلاف من الفلاحين عن "الدواوير" والتخلي عن مواطنهم والهجرة نحو المراكز الحضرية وخاصة الدار البيضاء -ثم تلتها باقي المدن على شاكلة الرباط، القنيطرة، وأكادير- التي سوف تساهم في إنشاء أولى مدن الصفيح.

وفي هذا السياق برز الجنوب المغربي كمنطقة عرفت هجرة كثيفة بسبب الضغط الديموغرافي حسب روبير مونطان؛ في حين ذهب أندري آدام إلى اعتبار النزوح القروي كحل أوحد بالنسبة لسكان هذه المناطق-وعلى رأسها واد سوس والأطلسين الصغير والكبير- بسبب الأوضاع المتأزمة التي استفحلت أثارها بالجنوب والتي ساعدت ذوي السلطة "Seigneurs" من استغلال الأراضي على شاكلة قائد طاطا الذي حاز 10.000 شجرة نخيل ما انعكس سلبا على الفئات الأشد فقرا من الحراطين، كما استغل تجار منطقة تافراوت للمواد الغذائية بمدن الشمال مجاعة 1945 التي منحتهم الاستفادة من السوق السوداء و إعادة شراء أراضي بأبخس الأثمنة من طرف الحراطين[1].

هكذا شكل الاستيلاء على الأراضي الفلاحية دافعا حاسما في الدفع بالجماهير الريفية وإطلاق موجات الهجرة الواسعة والمكثفة من الفلاحين والمزارعين نحو المدن بعد تزايد ظاهرة التفقير الجماعي الناتج عن والحرمان من الأرض المصدر الأساسي للعيش، وبالتالي توسيع دائرة الباحثين عن العمل خصوصا بعد توالي الأزمات[2] و إفراغ البوادي المغربية من اليد العاملة النشيطة التي سوف تضطر إلى

(1)-André Adam, **Casablanca essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident,** CNRS, Paris, 1968, p. 236.
(2)-Robert Montagne, **Naissance du prolétariat marocain : enquête collective, 1948-1950**, Peyronnet, Paris, 1950, p. 13.

النزوح نحو المدن من أجل تحسين أوضاعها خارج موطنها الأصلي وجعلها في خدمة الاقتصاد الاستعماري، بعد أن أدمج الفلاح المغربي ضمن اقتصاد نقدي يقوم على تأدية الرسوم والضرائب خدمة للمشروع الفرنسي هذه التحولات التي مست البنى التقليدية للمجتمع المغربي ستكثف من ظاهرة النزوح القروي كظاهرة بارزة ستتوج بخلق "شبه بروليتاريا مغربية"، كمظهر من أبرز مظاهر النظام الكولونيالي بالمغرب[1].

اتجهت نسبة مهمة من سكان الأوساط القروية نحو مختلف مناطق المغرب وامتصت المناطق الفلاحية الغنية والمدن المجاورة نسبة مهمة منها، وقد شكلت البروليتاريا المنحدرة من الجنوب المغربي نسبة 40%[2] بالمدن وضمنها 38% ذوي أصول بربرية، فئة الشلوح التي شكلت نسبة 28% والتي توزعت على مختلف الأنشطة الاقتصادية والتجارية، عمال أو تجار منحدرين من الأطلس الصغير والكبير مشكلين فئة مميزة اكتسحت جميع مناطق المغرب ولم تقتصر على مدينتي مراكش وأكادير بل تعدتها إلى خريبكة مدينة الفوسفاط، معامل الدار البيضاء، أسواق طنجة بل إلى حدود مناجم المغرب الشرقي[3].

واستمرت مظاهر تفقير المجال القروي بعد استقلال المغرب حيث أصبح ما يناهز 10 ملايين فلاح يعيش على 20% من الدخل الوطني الإجمالي[4]. ولعل ما زاد من تأزم الوضعية الاجتماعية للسكان بالبوادي انعدام فرص العمل، لاسيما وأن المساحة المزروعة لا تتعدى 6 ملايين هكتار[5]. وكشفت البحوث الميدانية الرسمية التي أنجزت خلال سنتي 1960-1962[6]،عن نسبة 85% من سكان البوادي يملكون أقل من 4 هكتارات بما فيها الأراضي الجماعية، في المقابل؛ يوجد 5% من مستغلي الأرض يملكون أكثر من 36 % من الأراضي المزروعة. هكذا شكل التفاوت الشديد في توزيع الأراضي سببا في

(1)- Larbi Talha, *Le salariat immigré dans la crise*, op.cit., p.47.
(2)- Robert Montagne, **Naissance du prolétariat marocain**, op.cit., p.14.
(3) André Adam, **Casablanca essai sur la transformation de la société marocaine**, op.cit., p. 235.
(4)Mohamed Lahbabi, **Les années 80 de notre jeunesse, Éd. Maghrébines,** Casablanca, 1970, p. 33.
(5) Mohamed Lahbabi, **Les années 80 de notre jeunesse**, op.cit., p. 58.
(6) Ibidem.

ضعف صافي الدخل السنوي بالنسبة لكل عائلة، مما نتج عنه توسع رقعة البطالة خصوصا في صفوف الشباب، وتطور النزوح القروي بعد فشل تحديث القطاع الفلاحي.

في ظل هذه الظروف التي تميزت بتراجع سبل العيش و تطور متطلبات جديدة، سوف تتجه نسبة مهمة من الفلاحين للبحث عن فرص العمل بالصناعة، أي بالمجال الحضري مما سينجم عنه ظاهرة "شبه البروليتاريا" التي اتخذت من مدن الصفيح سكنا لها؛ إذ بلغت نسبة النازحين نحو المدن لسنة 1966 ما يقارب 93.000 شخص، لتنتقل خلال نهاية الستينيات إلى مابين: 10.000و 13.000 شخص سنويا[1].

وإلى جانب تلك الدو افع التي تحكمت في الهجرة، سواء القروية أو الحضرية، "اعتبر الجفاف عاملا رئيسا في تطورظاهرة النزوح القروي نحو المدن"[2]، هذه الأخيرة، التي شكلت محط جذب للقرويين بسبب استمرار عدم التوازنات الاقتصادية بين القرى والمدن؛ وهكذا، يمكن الإقرار بأن الدو افع الاقتصادية ظلت حاضرة بشكل حاسم -كأسباب مباشرة أو غير مباشرة- وراء مختلف حركات الهجرة؛ دون إهمال ارتفاع النمو الديموغرافي؛ بحيث "ا انتقلت الولادات من 15.379 سنة 1971 إلى 18914 سنة 1978[3].

تطورت الساكنة الحضرية مع وجود اختلافات حسب المدن؛ إذ "استفردت منطقة الشمال، وبالضبط تكتلات الرباط سلا ومنطقة الجنوب، وبالضبط، منطقة أكادير، بنسبة 30% من الهجرات"[4]. هذا التمركز في المدن الحضرية الكبرى والساحلية، بشكل خاص، يعود إلى عوامل متعددة

(1) Daniel Noin, **la population rurale du Maroc**, Tome II, Paris, P.U.F., 1970, p.172.
(2) Hassan El Mansouri, «Mobilité géographique et répartition spatiale des villes et de la population au Maroc », p. 24, in : **Population et développement au Maroc**, Ed. C.E.R.E.D, Rabat, 1998.
(3)-Jean-Pierre Garson et George Tapinos, «L'argent des immigrés », **Travaux et documents cahier n°94**, Éd. I.N.E.D, 1981, p. 140.
(4)-Etude effectuée par le Haut Commissariat au plan: « Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes » (article: 67-164), 1994, p.92.

تتمثل في إمكانية الحصول على العمل التي تقدمها مختلف الأنشطة المرتبطة بالبحر كقطاع الصيد والسياحة والتجارة. وهو ما نجد مسطرا ضمن الإحصاء العام للسكان والسكن سنة 1994[1]:

جدول: الهجرات الداخلية حسب إحصاء 1994

| المدن | 1982 | 1994 |
|---|---|---|
| المدن الأطلسية | 3734 | 4825 |
| المدن المتوسطية | 564 | 952 |
| المدن الداخلية | 2499 | 4082 |
| المجموع | 9859 | 6797 |

من خلال الجدول أعلاه، يتضح أن المستقرين في المدن الأطلسية والمتوسطية انتقلت نسبتهم من 65,7% سنة 1982 إلى فقط 58,6% سنة 1994؛ وذلك راجع إلى تعزيز دور المراكز الحضرية الداخلية من خلال تشجيع الدولة للاستثمارات العمومية والخاصة فيها؛ بغية الحد من الضغط على المدن الساحلية.

## ثالثا: تطور الساكنة الحضرية في الدار البيضاء

شهدت مدينة الدار البيضاء طفرة اقتصادية نوعية منذ السنوات الأولى للحماية بالمغرب صاحبها تطور ديموغرافي سريع إذ صنفت –خلال فترة ما بين الحربين- كأكبر مدينة استقطبت أوروبيين، يهود، ومسلمين فقد ناهز سكانها 260.000 نسمة سنة 1936 ليصل إلى حوالي 700.000[2] غداة الاستقلال. كما سمح التطور الاقتصادي الذي شهدته مدينة الدار البيضاء فرصة سانحة لممارسة

(1)-Abdellah Berrada, « Répartition da la population, urbanisation et migration, le peuplement du Maroc », in : **Population et développement au Maroc** , Ed. C.E.R.E.D, Rabat, 1998, p.9.
(2) Michel Abitbol, **Histoire du Maroc**, Perrin , 2014, p. 441.

اليهود لأنشطتهم التجارية والمساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية بها، وقد تدعم هذا الحضور مع تطور الرأسمال الأوروبي و تزايد نسبة الاستثمارات واستطاعت الدار البيضاء أن تصبح مركز للهجرات الأوروبية والمغربية؛ كما شكلت معقلا لنشاط اليهود المغاربة، ففي سنة 1941 تم تعداد 142.000 يهودي بالمغرب ضمنهم 52.000 يهودي بالبيضاء مقابل 270 ألف مسلم[1]؛ أي تضاعفت نسبة اليهود بهذه المدينة الأوروبية بـ: 10,5 في المائة مابين سنتي 1912 و 1951[2]. واستمر تحضر الفئة اليهودية في منحى تصاعدي إلى جانب الأوربيين، فمع نهاية الحرب العالمية الثانية شكلت الفئة الحضرية أكثر من نصف نسبة اليهود بالمغرب التي استقرت بكبريات المدن وعلى رأسها الدار البيضاء متبوعة بمراكش، فاس، مكناس، والرباط وتأتي المدن المتوسطة في المرتبة الثانية بنسبة 25% وتوزعت 10% بالوسط القروي، هذه النسبة الأخيرة التي ظلت مرتبطة بالنشاط التجاري وممارسة مهن الحرف كأنشطة حضرية بعيدا عن النشاط الفلاحي والزراعي الذي اختص به نظراؤهم المسلمين[3].

ومن هذا المنطلق، شكل اليهود فئة مدعمة لتطور الساكنة الحضرية بعد أن عانت بدورها من التغيرات التي مست البنى الاقتصادية و ارتباطا أيضا، بانتقال الثقل الاقتصادي إلى الشمال الغربي وبسبب الأوضاع المزرية التي أصبحت عليها المناطق الداخلية و الملاحات بالجنوب المغربي خاصة التي دفعت باليهود للتخلي عن حياتهم بملاحات "القبائل البربرية" قاصدين الملاحات الحضرية -هربا من الفقر والبؤس- على رأسها دمنات، مراكش، موكادور وأكادير، وخاصة الدار البيضاء إذ انتقل عدد الوافدين إليها خلال 43 سنة من 5.000 إلى حوالي 80.000 نسمة[4].

(1)René Gallissot, Le **patronat européen au Maroc: action politique (1931-1942),** édition techniques Nords Africaines, Rabat 1964, pp. 71-72.
(2) André Adam, **Casablanca,** op.cit., pp. 183-203.
(3) M. Abitbol, **Histoire du Maroc**, op.cit., p. 441-477.
(4)-Robert Montagne, **Naissance du prolétariat marocain**, op.cit., pp. 43-44.

وفي سياق تطور ميدان الصناعة الأوروبية بمدينة الدار البيضاء بشكل متسارع هذه التحولات التي درسها أندري ادم والتي شهدتها هذه المدينة وارتباطها بأوروبا سيشكل الدعائم الأساسية لإفراغ البوادي المغربية من السكان وتكدس كم هائل من اليد العاملة النشيطة بالمدينة وقد شكلت فئة شلوح الجبل والصحراء نسبة متساوية مع تلك التي تهم السهول الأطلسية بما نسبته 40% مقابل39,74%[1]، فشكل الأطلس الصغير المزود الرئيسي لفئة التجار السوسيون التي ساعدتها عوامل الأمن وحرية المبادلات التجارية في التطور المهم لأنشطتهم التجارية، وبدورها ساهمت في تحسين مستوى العيش.

هذه الهجرات التي أصبحت تطرح مشاكل دفعت الوطنيون المغاربة بمسألة "الحضريين الجدد" بعد سنة 1945 إذ تم ربط ظاهرة النزوح القروي بالاستعمار، وربطوا كثافة مدن الصفيح بتو افد سكان القرى الذين تركوا مواطنهم كرها بعد أن انتزع المعمر أراضيهم الفلاحية التي هي مصدر عيش القرويين[2]، وفي سنة 1948 نشرت جريدة العلم الناطقة بلسان حزب الاستقلال نتائج بحث ميداني حول ظاهرة أحياء الصفيح فبالنسبة لمقاطعة بنمسيك لوحدها تكدس بها 60.000 شخص[3] في غالبيتهم المطلقة هم ذوي أصول قروية من قدماء المزارعين دفعهم الاستعمار إلى النزوح عن أراضيهم ومواطنهم الأصلية من أجل ضمان لقمة العيش التي باتت مستحيلة مع توالي سنوات المجاعة[4].

ومن أجل الوقوف على الأهمية التي استفردت بها الفئة السوسية لا بد من العودة للدراسة الميدانية[5] التي قام بها روبيرت مونطاني سنتي 1948-1949 تهم 13.500 شخص بمختلف مقاولات الدار البيضاء والتي قامت ب تقسيم هذه النسبة على أساس الأصول الإثنية، التخصص المهني و درجة الانضباط في العمل وتأتي فئة "الشلوح" في مقدمة هذه المجموعات التي شملت كذلك سكان الوازيس

(1)-Mohamed Benhlal, « Migration interne et commerce au Maroc : réseaux et filières Soussis », in: **Economies marocaines, Revue Maroc-Europe**, 1995, pp. 116-117.
(2)-André Adam, **Casablanca**, op.cit., p. 241.
(3)-Al 'Alam, n°662 du 24octobre 1948 cité par A. Adam, André Adam, Casablanca, op.cit. p. 242.
(4)-Robert Montagne, **Naissance du prolétariat marocain**, op.cit., p. 13.
(5)-André Adam, **Casablanca**, op.cit., pp. 428-429.

ودرعة ومناطق الساحل الجنوبي وسكان المناطق المتعربة خاصة تادلا والشاوية وسهول مراكش ثم الدار البيضاء.[1]

وقد استمر تطور المجال الحضري تطورا استثنائيا، هم جميع الحواضر المغربية بعد الاستقلال، فمن خلال إحصاء سنة 1960 تم "تسجيل 2.920.000 شخص. هذه النسبة، سرعان ما انتقلت إلى: 470000 سنة 1969"[2]. هذا التطور اختلفت وتيرته بين المدن الكبرى، والمتوسطة والمراكز الحضرية ؛ إذ "انتقلت نسبة التحضر من 29,3% سنة 1960 إلى 35,1% سنة 1970"، وقد صاحبه تباين في درجة الاستقطاب؛ بحيث استأثر الشريط بين طنجة والصويرة 50% من مجمل الساكنة المغربية"[3].

ومن خلال أحد التقارير غير المنشورة، "بلغ مجموع أحياء سكان الصفيح 940.000 نسمة، يوجد من بينهم 450000 نسمة بالدار البيضاء التي تشمل 20000 نسمة من المقيمين بأحياء القصدير في مدينة المحمدية"[4]. الأمر الذي يجسد الكم الهائل للنزوح القروي والهجرات الداخلية. وإلى جانب تلك الأسباب الجوهرية، نستحضر النمو الديموغرافي الطبيعي وعدم التوازن بين "العرض والطلب" في سوق الشغل كعاملين أساسيين في تطور وتيرة التحضر، التي "بلغت 5% سنويا؛ بسبب ارتفاع عدد النازحين نحو المدن، والتي ناهزت 100000 سنويا"[5].

ومن هذا المنطلق، اعتبر دور الهجرات العنصر الحاسم في التغيرات المجالية، التي شهدها المغرب خلال هذه الفترة؛ إذ أشار "إحصاء سنة 1982"[6]، إلى أن: أغلبية المهاجرين نحو الدار البيضاء ينحدرون من أقاليم الجنوب؛ مما يمكن في ظله التوصل إلى أن مدن الشمال حافظت على استقطاب

(1)-Ibid. p. 429.
(2)-D. Noin, **La population rurale du Maroc**, Tome I, op.cit., p. 69.
(3)-Robert Fosset, «Les caractères démographiques et géographiques de la population du Maroc en 1071», p. 36(30-38), in : **Maghreb-Machrek N°57**, Éd. Documentation Française, Paris,1973.
(4) جون واتربوري، **أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية**، [ ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون] مؤسسة الغني للنشر، الرباط ، الطبعة الثالثة، 2013، ص. 270.
(5)-A. Charkaoui, **Indicateurs socio-économique du Maroc**, Éd. Shoof, Casablanca, 1980, pp. 200 et 251.
(6) -Rapport de haut commissariat au plan : « Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes », septembre 2005, pp. 106-107.

مهاجريها وتمتين علاقتها مع المناطق البعيدة والمحادية لها؛ بسبب تو افرها على الفرص الاقتصادية والتجارية.

ولعل ما يثير الانتباه في هذا الصدد، هو ذلك التغير الذي شهدته جهة الدار البيضاء الكبرى؛ بحيث "أصبحت الهجرات خلال هذه الفترة تسهم فقط بنسبة 8,2% في النمو الديموغرافي لساكنتها الحضرية"[1]. وهو الأمر الذي يجد تفسيره في تطور مدن حضرية جديدة؛ إذ في الوقت الذي بدأت خلاله منطقة الدار البيضاء تفقد أهميتها كمستقطب لأغلب الهجرات الداخلية، عرفت جهة سوس ماسة درعة؛ في المقابل تطورا تدريجيا في جذب المهاجرين؛ بل أسهمت في خلق مناطق محادية لها أو ما يطلق عليه بظاهرة "الملحقات" (l'annexion). وفي السياق نفسه، عرفت المدن الداخلية: الصغرى والمتوسطة تطورا على مستوى استقطاب الهجرات؛ مما أسهم في إلحاق تغيرات بالتوزيع المجالي للساكنة الحضرية خلال سنوات الثمانينيات والتسعينيات.

ومن أجل توضيح الأسباب، التي كانت وراء هذه الحركية سنحاول التعرض إلى دراسة عواملها الرئيسة انطلاقا من الجدول الآتي[2].

**جدول: توزيع المهاجرين حسب أسباب الهجرة ونوعيتها**

| أسباب الهجرة | حضرية-حضرية | قروية-حضرية | حضرية-قروية | قروية-قروية | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| أسباب اقتصادية | %16,5 | %23,4 | %8,7 | %12,0 | %15,3 |

(1)-HCP, 1994, «Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes», op.cit., p. 93.
(2)-Hassan El Mansouri, «Mobilité géographique et répartition spatiale des villes et de la population au Maroc, op.cit, p. 24.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| أسباب عائلية | %72,8 | %64,7 | %83,5 | %83,6 | %76,0 |
| أسباب اجتماعية | %7,0 | %5,8 | %1,3 | %1,6 | %4,2 |
| أسباب أخرى | %2,2 | %3,4 | %6,1 | %2,2 | %3,4 |
| أسباب غير محددة | %1,6 | %1,8 | %0,4 | %0,7 | %1,1 |
| المجموع | %100 | %100 | %100 | %100 | %100 |

من خلال الإحصائيات السابقة، يتضح تعدد الأسباب التي كانت وراء حركات الهجرة؛ بحيث حازت الدو افع العائلية (الالتحاق برب الأسرة، تحسين الوضعية المادية...) على المرتبة الأولى بنسبة 76% بالنسبة إلى مختلف أنوع الهجرات، وتلتها الدو افع الاقتصادية (البحث عن عمل) بنسبة 15,3% فقط، وجاءت الدو افع الاجتماعية (التمدرس، الصحة...) في المرتبة الأخيرة بنسبة 4,2%.

## خلاصة:

يمكن أن نقر بأن اعتماد المنهج الكمي في دراسة الظواهر التاريخية؛ كظاهرة الهجرة مثلا، يبرز بشكل واضح ذلك التأثير الذي أحدثته المدارس التاريخية الغربية على الحقل التاريخي في المغرب خلال العقود الثلاثة الأخيرة من خلال تجديد آليات وأدوات البحث الإسطوغرافي وتجاوز تلك المصادر الكلاسيكية؛ إذ أصبحت الإحصائيات الرقمية جزءا لا غنى عنه في تفسير الظواهر والحصول على عملية تجديد شاملة أعادت النظر في موضوع التاريخ وأدواته ومناهجه[1]. وقد مكنت هذه العملية من تجاوز الكتابات الأجنبية وخاصة ذات النزعات والإيديولوجيات الاستعمارية من خلال انتقاد الربط بين الضغط الديموغرافي في البوادي المغربية وظاهرة الهجرة الداخلية والنزوح القروي التي تبناها "لوشوفالي" (Le Chevalier)؛ والتعرف في المقابل على دور سياسة فرنسا في جعل الدار البيضاء مركز جذب لليد العاملة من مختلف نواحي البلاد من خلال تشجيع الأوراش الكبرى حتى يتسنى لها كسر شوكة المقاومة وهدم البنى الاقتصادية التقليدية. ومن جهة أخرى، مكنت الإحصائيات من الاقتراب من دور التفاوت بين الفئات الاجتماعية في استغلال خيرات البلاد بعد الاستقلال وغياب النهوض بالمجال القروي كأسباب رئيسة في تكريس الدفع بالسكان إلى الهجرة نحو المدن وبالتالي، تدعيم استمرارية نمو الساكنة الحضرية بالدار البيضاء؛ رغم ظهور مدن جديدة منافسة لها.

البيبليوغرافيا:

(1) محمد حبيدة، **بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات**، مرجع سابق، ص. 60.

**أرشيف:**

Archives Diplomatique Nantes, Télégramme n° 2484, de Mr. Le Commissaire General de Fès à Mr. Le Résident Général Rabat, en date du 29 avril 1916, la main d'œuvre marocaine, Dossier : migration de la main d'œuvre agricole, Divers.

المراجع بالعربية:

جون واتربوري، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، [ ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون] مؤسسة الغني للنشر، الرباط ، الطبعة الثالثة، 2013.

الكبير عطوف، الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقاربة سوسيو- تاريخية (1045 م. – 2011 م.)، منشورات جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس، أكادير، ط. 2، 2012.

محمد حبيدة، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2015.

المراجع والمقالات بالفرنسية:

André Adam, *Casablanca essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, CNRS, Paris, 1968.

A. Charkaoui, *Indicateurs socio-économique du Maroc*, Éd. Shoof, Casablanca, 1980.

Abdellah Berrada, « Répartition da la population, urbanisation et migration, le peuplement du Maroc », in : *Population et développement au Maroc »*, Ed. C.E.R.E.D, Rabat, 1998.

Daniel Noin, *la population rurale du Maroc*, tome II, Paris, P.U.F., 1970.

Etude effectuée par le Haut Commissariat au plan: « Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes » (article: 67-164), 1994.

HCP, 1994, «Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes».

Hassan El Mansouri, «Mobilité géographique et répartition spatiale des villes et de la population au Maroc », in : *Population et développement au Maroc*, Ed. C.E.R.E.D, Rabat, 1998.

Mohamed Lahbabi, *Les années 80 de notre jeunesse*, Éd. Maghrébines, Casablanca, 1970.

Jean-Pierre Garson et George Tapinos, «L'argent des immigrés », travaux et documents cahier n°94, Éd. I.N.E.D, 1981.

Larbi Talha, Le salariat immigré dans la crise, la main d'œuvre maghrébine en France (1921-1987), Ed. CNRS, Paris, 1989.

Mohamed Benhlal, « Migration interne et commerce au Maroc : réseaux et filières Soussis », (pp. 109-130) in : Economies marocaines, Revue Maroc-Europe, 1995.

Michel Abitbol, *Histoire du Maroc*, Perrin, 2014.

Robert Montagne, *Naissance du prolétariat marocain : enquête collective, 1948-1950*, Peyronnet, Paris, 1950.

René Gallissot, *Le patronat européen au Maroc: action politique (1931-1942)*, édition techniques Nords Africaines, Rabat, 1964.

R. Escallier, *La croissance urbaine au Maroc*, Annuaire de l'Afrique du Nord, Université de Nice, mars 1972.

*Robert Fosset, «*Les caractères démographiques et géographiques de la population du Maroc en 1071», (pp. 30-38), in : *Maghreb-Machrek* N°57, Éd. Documentation Française, Paris, 1973.

Rapport de haut commissariat au plan : « Dynamique urbaine au Maroc et bassins migratoires des principales villes » septembre 2005.

# تعليم المرأة التركية بين الموروث العثماني وحداثة الجمهورية التركية

بحث تقدم به

الدكتور تيسير جدوع علوش

**المستخلص:**

كان تعليم البنات خلال حكم الدولة العثمانية محدود جدا لكن عند تأسيس الجمهورية التركية عام 1923 عد تنوير المرأة التركية من العناصر الأساسية لها ، والتي ادعت التدرج لأعلى مستوى من الحضارة والتقدم ومحاولة معالجتها المرأة كرمز للأمة التركية العلمانية الحديثة مع المبادئ الفكرية والثقافية الرسمية لنظام التعليم في تركيا بشكل عملي، عانى النظام التعليمي للمرأة التركية تغييرات جذرية مع آثار هائلة على وجه الخصوص والمساواة بشكل عام، سنحاول في هذا البحث ان نبين التدرج التاريخي في تطور التعليم للمرأة التركية وبفترات متعاقبة كانت بدايتها مع محاولة الاصلاحات التي سعت على تطبيقها الدولة العثمانية حتى مجيء الجمهورية التي غيرت اغلب الثوابت التي كانت في الماضي والعمل على التطوير من تعليم المرأة خلال المراحل المختلفة للجمهورية .

الكلمات المفتاحية: تعليم المرأة ، تركيا ، المساواة بين الجنسين .

**abstract**

Girls' education during the Ottoman Empire was very limited, but when the Turkish Republic was founded in 1923, the enlightenment of Turkish women was one of the basic elements, which claimed graduation to the highest level of civilization and enlightenment and attempted to treat women as a symbol of the modern secular Turkish nation with the official intellectual and cultural principles of the education system in Turkey. In practice, the educational system of Turkish women has undergone drastic changes with tremendous effects in particular and equality in general. In this research we will try to show the historical progression in the development of education for Turkish women and successive periods that began with the original attempt S which sought to apply the Ottoman Empire until the advent of the Republic that changed most of the constants that were in the past and work on the development of women's education during the various stages of the Republic.

## المقدمة

يعد التعليم أحد أهم الاستثمارات الإنمائية وأوسعها تأثيرا، فهو يتيح فرصة اكتساب المهارات الأساسية اللازمة للعمل والحياة، وهو حق لجميع البشر، اذ اورده الله عزوجل في عدد من آيات كتابه العزيز "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)" (العلق) " وقال تعالى "قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ( الكهف66) ". وليس من المصادفة أن الآباء في جميع أنحاء العالم يطلبون التعليم لأبنائهم باعتباره الأولوية الأولى لمستقبلهم. والأطفال أنفسهم يتوقون إلى فرصة تحقيق أحلامهم من خلاله ، فلا أحد يعارض حقيقة أننا نعيش في عصر أصبحت فيه المعرفة دالة للثروة ، ومصدرا اساسيا للنمو، ومحركا فاعلا لجميع الأنشطة ، فقد أضحى تطور وتنمية المجتمعات المعاصرة يتأثر أكثر فأكثر بدرجة امتلاكها لمصادر المعرفة ، بعدما تأكد عدم جدوى امتلاك الموارد المادية لوحدها، اذ تسهم مؤسسات التعليم بدور أساسي في تعظيم القدرة المعرفية للمجتمع بحثا واستخداما وتطبيقا من خلال ممارسة وظائفها من تدريس (نشر المعرفة)، وبحث علمي (إنتاج المعرفة)، وخدمة المجتمع (تطبيق المعرفة) ، فالتعليم الجيد هو أحد أهم الأسباب التي تعمل على وجود جيل مبتكر قادر على تشكيل الحضارة المميزة و التي تخلد خلال صفحات التاريخ.

بعد تلخيص المرحلة الأولى من التحديث في أواخر العهد العثماني وتأثيره على تعليم المرأة ، نركز على النماذج التعليمية الرئيسية في أوائل الجمهورية التي تهدف إلى رفع مستوى تعليم الشباب والبالغين من منظور المساواة بين الجنسين ومصلحة خاصة في تعليم النساء كأمهات مع المبادئ الاتاتوركية. ومن الواضح في الخطب وأعمال مصطفى كمال أتاتورك ، مؤسس الجمهورية التركية ، أنه يريد تشكيل تركيا الحديثة مع صورة "المرأة الجديدة" على الساحة العامة. استفادت النساء من الإصلاحات الكمالية كونهم كانوا في جوهر الإيديولوجيات السياسية والمناظرات العامة وخطط التنمية للدولة التركية الحديثة.

قسم البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة تناول الاول تعليم المرأة في نهاية الدولة العثمانية، ثم جاء الثاني ليكمل المدة الزمنية خلال فترة الجمهورية حتى عام 1980.

**اولا: تعليم المرأة في نهاية الدولة العثمانية:**

اضطرت النساء العثمانيات إلى الانتظار لفترة طويلة ، حتى بداية القرن العشرين لوصول التعليم الرسمي لهن بصورة واسعة النطاق ، اذ ان النخبة من الطبقة العليا من الشابات تم تعليمهم إما من قبل مدرسين خصوصيين في منازلهم أو في المدارس التبشيرية الأجنبية، ولذلك أصبح تعليم المرأة موضوعًا للمناقشة العامة والنقاش في الصحافة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر، فعلى سبيل المثال الكاتبة والاديبة شفيقة كورناز(Shafika Kurnaz) التي ساعدت على ظهور ثلاثة عشر مجلة نسائية مختلفة خلال الفترة 1868-1900 وعليه أصبحت المنظمات النسائية والصحافة النسائية أكثر تقلبًا في الفترة الدستورية الثانية بعد عام 1908 ، والتي جعلت عدد من الادباء والمفكرين يطلقون عليها في بداية القرن العشرين " الحركة النسائية " [1]،حلّل المدافعون عن وضع المرأة في المجتمع العثماني اذ دعوا إلى مزيد من الحياة الأسرية للمساواة ، وحظر تعدد الزوجات ، والمساواة في الحقوق وفي الطلاق ، الأهم من ذلك كله الحصول على التعليم للفتيات منذ الطفولة بأن يربوا من قبل أمهات متعلمات ويمكن للأرامل أو المطلقات أن يكسبن حياتهم على أسس لائقة[2].

هناك عدد من السيدات اللواتي دافعن عن كونهن زوجة صالحة وأمًا ومسلمة جيدة بالعمل على نشر منظمة النساء المسماة (جمعية الدفاع عن حقوق المرأة) ، المدافعة عن حقوق التعليم والمشاركة العامة والتوظيف للنساء في ذلك الوقت. اذ حددت اربعين جمعية نسائية في الفترة 1909-1923 التي عملت في مجال الأعمال الخيرية والتعليم والأنشطة الثقافية والسياسية المشاركة وحقوق المرأة

تعليم المرأة كان موضوعًا شائعًا بالنسبة إلى الغربيين والإسلاميين الذين كانوا مختلفين في وجهات النظر ، ولكن كان هناك إجماع على أنه يجب تحسين وضع المرأة العثمانية من خلال التعليم من أجل رفاهية الأسرة والمجتمع ، الذي عد تطورا في تاريخ تحديث الدولة العثمانية ، اذ اعلن في حينها عن حقوق المواطنة المتساوية بغض النظر عن الدين والهوية والجنس[3].

(1) Vahapolu, M. H. Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar. stanbul. Vatan Gazetesi ,2002. s.19.

(2) Çakır, T. Cumhuriyet'in Yetmiş Beşinci Yılında Türk Milli Eğitiminde İlköğretim. Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi. Sakarya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Sakarya,1999.s.5.

(3) Ergn. O. Türk Maarif Tarihi. Cilt 1-2, stanbul, Eser Matbaası.1977.s.22.

ان تحديث الإصلاحات في الهيكل الإداري والقانوني للدولة العثمانية جعلت من الضروري أيضا تجديد المؤسسات التعليمية. بدءا من تنفيذ الإصلاحات التربوية وتم فتح مدارس جديدة ، مستوحاة من تفوق العلوم في الغرب. كما أصبح تعليم المرأة مجالًا أساسيًا للإصلاح كجزء من هذا التحديث يحاول إنقاذ الدولة العثمانية والمجتمع من الجهل والتخلف. الى ان تم افتتاح المرحلة الثانوية من المدارس للفتيات في عام 1859. وفي عام 1870 افتتحت كلية المعلمين استجابة للحاجة المتزايدة إلى معلمات لتعليم الفتيات. وأصبح هناك المعلمات الخريجات من التعليم الرسمي ووظائف الدولة الاخرى في عام 1842 ، وفي عام 1911 تم افتتاح مدرسة اسطنبول الثانوية للبنات، وفي عام 1914 تم افتتاح جامعة للنساء لتعليم المرأة بعد المرحلة الاعدادية بتخصصات مختلفة فضلا عن الفنون الجميلة وبدأت الدورات التدريبية للممرضات في كلية الطب في المدة الدستورية الثانية (1908-1923) التي هدفت إلى فتح المدارس للبنات [1].

## ثانيا: تعليم المرأة خلال فترة الجمهورية:

ان العديد من الموضوعات مثل التعليم المختلط والتحاق النساء بالطب وغير ذلك من فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية الاخرى كان على رأس الاولويات التي سعت الجمهورية التركية تطبيقها بعد اعلانها ، وكذلك ليصبح التعليم في المقام الأول و أصبح موظفو الخدمة المدنية في وقت لاحق ، وأعضاء من مختلف الحرف والمهن جزءا من المناقشة العامة والنقاش في البيئة السياسية والثقافية الحية في تلك الفترة . وكان العمل الرائد للاهتمام بالطالبات في مقاطعتهم للتعليم أحادي الجنس ، بدأت بعده أولى تجارب التربية المختلطة في الجامعة بالسماح للطالبات بدخول كلية الحقوق في 1921 وكلية الطب في 1922. تلك المحاولات التقدمية من قبل الحزب السياسي الرئيسي والمقصود به حزب الشعب الجمهوري في وضع الاتحاد والتقدم الأساس للإصلاحات الجذرية خلال الجمهورية المبكرة[2].

في تقارير المؤتمر التعليمي الذي عقد في عام 1921 ، تم التشديد على تقنية التعليم والمعرفة العملية للفتيات، وإصلاحات المرأة وتعليمها اذ كتب ذلك في تقارير اللجان التربوية العلمية المنعقدة على التوالي في 1923 و 1924 و 1925 ، وقد أوجز مبادئ تعليم الشباب (كل من الاناث و الذكور) وعد من الموضوعات الأساسية للثقافة الوطنية ، وهي اللغة والتاريخ والأدب والموسيقى.

بدأت وزارة التربية والتعليم حملة لتوعية واسعة النطاق للناس من سن 16-45 في المدارس الوطنية ، وخاصة بعد عام 1928 عندما تم تغيير الأبجدية و كان على هؤلاء القراءة والكتابة وتعلم الأبجدية التركية اللاتينية الجديدة. أكثر من 1.5 مليون شخص بالغ حصلوا على شهادات من تلك

(1) a.g.e. s.23

(2) Binbaşıoğlu, Cumhuriyet Dönemi Eğitim Bilimleri Tarihi, (Öğretmen Hüseyin Hüsnü Tekışık Eğitim Araştırma-Geliştirme Merkezi Yayını), Ankara. 1999.s.62.

المدارس بين عامي 1928 و1950، معدل معرفة القراءة والكتابة التي كانت 10.7٪ فقط في عام 1927 ، تم رفعها إلى 19.5٪ في عام 1935 وإلى 22.4٪ في عام 1940. اذ عزز مصطفى كمال كقائد حقوق المرأة وأدرك العديد من الإصلاحات في مجال تعليم المرأة وكذلك قانون الأسرة الذي هو جزء من القانون المدني الجديد الذي استمده من القانون المدني السويسري إلى السياق الاجتماعي التركي المسلم في عام 1926. كان هدفه هو إشراك المرأة كمواطن في التعبئة العامة للموارد البشرية لمجتمع أكثر تطورا من خلال الانتشار التعليم الوطني، ففي عام 1924 تم قبول التعليم المختلط في المدارس الابتدائية ، وحددت خمس سنوات من التعليم الابتدائي الأول ، وتعتبر بمثابة المستوى التعليمي الإلزامي الأساسي، وفي 22 اذار 1926 و 10 حزيران 1933 تم اصدار قوانين حول التربية الوطنية وتنظيمها من قبل وزارة التربية[1] .

لم يتم تحرير التعليم الابتدائي فحسب ، بل التعليم الثانوي أيضًا وبالتالي التعليم المختلط أصبح المبدأ في دوام الطلاب ، وبدأت قفزة متدرجة في التعليم والتي ضمنت أيضا استخدام أكثر كفاءة لمختلف المر افق والموارد ورأس المال البشري، اذ اصدر قانون توحيد التعليم عام (1924) لترويج توحيد نظام التعليم العلماني الذي يهدف إلى التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة مع وعي وطني سياسي من كونهم مواطني الدولة العلمانية الحديثة. وضعت الجمهورية الكمالية العديد من الإصلاحات التعليمية من أجل رفع معدلات تعلم القراءة والكتابة والمدارس بين عامة السكان والنساء أيضا. والعمل على التنمية المخطط لها ، بدءا من الخطة الخمسية الأولى (1963-1967) ، وارتفاع معدلات الإناث تم تحديد معدلات الأمية والتسرب من الفتيات في المدارس كمشكلات رئيسية يتعين حلها[2].

ارتفعت في تركيا نسبة معرفة القراءة والكتابة من 19 ٪ إلى 48 ٪ في الفترة بين 1930 و 1965 [3]. نماذج مختلفة من التعليم أحادي الجنس والمختلط في المستويات الدنيا والعليا من التعليم الثانوي بعد التعليم الابتدائي ، نُفذت خلال الحقبة الجمهورية الأولى (1923-1946)، ففي عام 1923 ، كان هناك فقط 9مدارس للبنات و14 مدرسة ثانوية للبنين. في العام الدراسي 1934-1935 تقرر ذلك أنه في المقاطعات 19 التركية سيتم تنفيذ التعليم المختلط[4]. في البداية كان التحاق الفتيات بالمدارس الثانوية المشتركة متدنية للغاية ومعظمها من الطالبات التحقن بمدارس ثانوية منفصلة عن الجنسين

---

([1]) Kafadar, Türk Eğitim Düşüncesinde Batılılaşma .Vicdanla Akıl Arasında Türkiye. Ankara,2007 . s. 3.

([2]) Kanad, H. F. Pedagoji Tarihi. stanbul ،Millî Eitim Basımevi ,1995.s.133.

([3]) Binbaşıoğlu, C. Türk Eğitim Düşüncesi Tarihi, Anı, Ankara(2005).s.177

([4])Tan, M. Eitimde Fırsat Eitlii. Ankara Üniversitesi Eitim Bilimleri Fakültesi Dergisi. 1987, Cilt 20, sayı 1-2, s.99.

أو معاهد الفتيات.[1] لان مديري المدارس والمعلمين كانوا حذرين حول العلاقات بين الأولاد والبنات وسيطرتها على ملابس الطلاب وسلوكهم الذي يمتد خارج المدرسة. من ناحية أخرى ، كانت المدارس تعمل كالأوضاع الاجتماعية الجديدة حيث يمكن للبنات والبنين تعلم كيفية التعامل بطريقة متحضرة. بالتالي، تم جمع الطلاب من كلا الجنسين للمشاركة في الاحتفالات الرسمية والرياضية و في الأعياد الوطنية[2] ، كما دعت وزارة التربية الموارد البشرية إلى تحسين الوضع من النساء من حيث الوصول إلى التعليم وتشجيع النساء في أماكن مختلفة من الحياة الاجتماعية والمجالات العامة المختلفة . ومن ثم ، مُنحت النساء في تركيا حق الاقتراع على المستوى المحلي الانتخابات في عام 1930 وفي الانتخابات الوطنية في عام 1934 كما تم تشجيع النساء وكذلك الرجال على دراسة في العلوم الطبيعية. علاوة على ذلك ، لم يكن هناك إشارة إلى ضعف فكري متأصل من الأنثى على العكس ، تم تشجيع الفتيات على الاعتقاد أنه بإمكانهن دراسة كل شيء ومتابعة أي مهنة للحصول على تعليم عالي في تخصصات مختلفة. على سبيل المثال ، شجع واحد منهم ،صبيحة كوكجن Sabiha Gökçen [3]، لدراسة الطيران وأصبحت طيارحرب ، لم يكن مفتوحًا أمام النساء قبل ذلك الوقت [4]. وبالتالي ، في العام الدراسي 1946-1947 ، فإن نسبة الإناث الأكاديميين كانت في العلوم الطبيعية 44 ٪ ، بينما في العلوم الإنسانية ، فقد حققت 22 ٪ فقط من العدد الإجمالي ، دراسة حول معدلات مشاركة المرأة التركية في المهن مثل الطب والقانون والصيدلة وحتى في العلوم الطبيعية والهندسة يبين أن النساء في وصلت تركيا إلى أرقام غيرعادية عند

---

([1])a.g.e. s.102.

([2]) a.g.e. s.103.

([3]) صبيحة كوكجن : (22 اذار 1913 – 22 اذار 2001) كانت قائدة طائرة تركية. ووفقًا لما قالته الجامعة الجوية، كانت أول طيار مقاتل من النساء في العالم، ، وقد كانت واحدة من 8 أطفال تبناهم مصطفى كمال أتاتورك سنة 1925، ومنحها لقب "كوكجن". درست في مدرسة جانقايا الابتدائية وثانوية بنات اسكدار في إسطنبول . دخلت مدرسة تُرك قوشوه للطيران المدني سنة 1935 وحصلت على الشهادة العالية لقيادة الطائرة عديمة المحرك في انقرة. وقد أتمت تدريبها بعد أن بُعثت مع سبعة طلاب آخرين إلى القرم في روسيا. ودخلت في سنة 1936 مدرسة الطيران العسكرية في أسكي شهر، لتتخرج منها طيارة عسكرية. خدمت في وحدة الطيران الأولى في اسكي شهر مدة معينة وحلقت في الطائرات القاصفة. اشتركت في حركات درسيم بالمناورات العسكرية في تراقيا وايجه في سنة 1937. ثم تم تعيينها معلمة رئيسية في تُرك قوشي التابعة لمؤسسة الطيران التركي. استمرت في وظيفتها هذه لغاية سنة 1955 بنجاح. حلقت طيلة حياتها في 22 طائرة مختلفة النوع توفيت صبيحة سنة 2001 عن عمر ناهز 88 سنة.

Reşat Hallı,Sabiha Gökçen's biography Usaf Air Command and Staff College, 2013. s. 382.

([4]) Özden . Y. Eskicumalı, "Eğitim, Öğretim ve Öğretmenlik Mesleği" , Öğretmenlik Mesleğine Giriş, Pegem, Ankara, 2002,S, 31.

مقارنتها بمعظم الدول المتقدمة. في عام 1970 ، بلغت نسبة الأطباء 14%، وهي أعلى من نسبة الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت فقط 10 ٪. من بين المهندسين كان 13.5 ٪ ، والتي كانت فقط 8.6 ٪ في الولايات المتحدة الأمريكية. و نسبة المهندسين المعماريين بنسبة 39 ٪ أعلى بكثير من الولايات المتحدة الامريكية . 28 ٪ من جميع المحامين كانت الأنثى التي كانت مرة أخرى أعلى من الولايات المتحدة الأمريكية مع 22.7 ٪. وكان الرقم اللافت بالتأكيد هو عدد كبير من أطباء الأسنان الإناث في تركيا 39 ٪ مقارنة مع الولايات المتحدة الامريكية 9٪ تظهر قصص التاريخ الشفوي والمذكرات من الجيل الأول من النساء الجمهوريات الاتي شعرن بدعم من الجمهورية الشابة ، أي الدولة القومية الحديثة ، و تم تشجيعهم في التعليم والاضطلاع بأدوار مهنية في الحياة العامة. الأمر يستحق أيضا بالذكر أن الجيل الأول من النساء المتعلمات مهنيًا في الجمهورية يعتبرون أنفسهم متميزين ولم يذكر أي نوع من عدم المساواة بين الجنسين.

ووفقا لأحدث التقارير التركية فان توزيع الجنسين في مختلف تخصصات التعليم العالي متوازنة نسبيا عند مقارنتها بمتوسط التعليم العالي مع دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الأخرى. الرقم اللافت للنظر هو العدد الكبير للطالبات اللاتي دخلن فروع العلوم الاجتماعية بنسبة 29 ٪ ، وهو أعلى من متوسط منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) التي كانت نسبتها فقط 19 ٪. اما في الصحافة وعلوم المعلومات النسبة للطالبات 52٪ وفي الإدارة والقانون هو 44 ٪ ، في حين أن متوسطات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية هي 64 ٪ و 54 ٪ على التوالي. في الخدمات الصحية والاجتماعية تبلغ النسبة المئوية للطالبات 67 ٪ في تركيا ، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية المعدل هو 76٪. نحن نعتقد أن المساواة الجنسية للجمهورية الكمالية كان أثرها على اختيارات الطلاب من المواد الدراسية. تظهر المؤشرات حول وضع المرأة في تركيا صورة معقدة ، محيرة في البداية ، لأنها تقدم مزيجا من نسب مواتية للغاية من النساء بين المهنيين المتعلمين تعليما عاليا والتي تشير إلى المساواة بين الجنسين ، والأرقام الإحصائية ضعيفة للغاية فيما يتعلق بالأمية ، ونقص التعليم ، أو أي مهارات مهنية بين النساء في المناطق الريفية في تركيا والطبقات الاجتماعية الفقيرة التي تزيد من الفجوة بين الجنسين. على الرغم من كل المحاولات ، فإن معدلات الأمية بين الإناث كانت مشكلة مستمرة لفترة طويلة[1].

([1]) Hesapçıoğlu, M. “Eğitim Nedir”. Cumhuriyet, 30 Nisan, 2004, s. 12.

## الخاتمة

يتضح ان هناك عدد من الاستنتاجات كان اهمها:

1- ان تأخر الدولة العثمانية وبالجوانب كافة في المدة الاخيرة من حكمها قد اثر بصورة واضحة على التعليم لكلا الجنسين وخصوصا على تعليم الاناث الذي بقي متأخرا حتى المدة الاخيرة من حكم الدولة العثمانية لأسباب اجتماعية تمثلت بالجانب الديني والعادات والتقاليد.

2- بعد تسلم السلطة من قبل مصطفى كمال أتاتورك عمل على التغيير متأثرا بالغرب مما فسح المجال لفتح المدارس للفتيات وسمح كذلك بالاختلاط من الابتدائية حتى الجامعة.

3- نجد ان هناك تغيير واضح بالنسب المؤية للمتعلمات وباختصاصات مختلفة في المجالات العلمية والتطبيقية منها في العلوم العلمية كالطب الهندسة ومنها في الانسانية .

4- وجدت ان ارتفاع الاعداد وباختصاصات مختلفة ومهمة قد فاقت نسبتها حتى الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الاخرى وهذا يعطي انطباع ان اهتمام الحكومات التركية المتعاقبة قد اعطت اهمية كبيرة لدور المرأة وتعليمها وفسح المجال لها بممارسة اعمال مختلفة وتخصصات متنوعة

## المصادر


1- Vahapolu, M. H. Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar. stanbul. Vatan Gazetesi ,2002.

2- Çakır, T. Cumhuriyet'in Yetmiş Beşinci Yılında Türk Milli Eğitiminde İlköğretim. Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi. Sakarya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Sakarya,1999

3- Ergn. O. Türk Maarif Tarihi. Cilt 1-2, stanbul, Eser Matbaası.1977.

4- Binbaşıoğlu, Cumhuriyet Dönemi Eğitim Bilimleri Tarihi, (Öğretmen Hüseyin Hüsnü Tekışık Eğitim Araştırma-Geliştirme Merkezi Yayını), Ankara. 1999.

5- Kafadar, Türk Eğitim Düşüncesinde Batılılaşma .Vicdanla Akıl Arasında Türkiye. Ankara,2007 .

6- Millî Eitim Basımevi ,1995. ،Kanad, H. F. Pedagoji Tarihi. stanbul

7- Binbaşıoğlu, C. Türk Eğitim Düşüncesi Tarihi, Anı, Ankara(2005).

8- Tan, M. Eitimde Fırsat Eitlii. Ankara Üniversitesi Eitim Bilimleri Fakültesi Dergisi. 1987, Cilt 20, sayı 1-2,

9- Reşat Hallı,Sabiha Gökçen's biography Usaf Air Command and Staff College, 2013.

10- Özden . Y. Eskicumalı, "Eğitim, Öğretim ve Öğretmenlik Mesleği" , Öğretmenlik Mesleğine Giriş, Pegem, Ankara, 2002.

11- Hesapçıoğlu, M. "Eğitim Nedir". Cumhuriyet, 30 Nisan, 2004 .

# الصراع حول المسالك التجارية بالغرب الاسلامي

## ما بين: (ق2-6ه/8-12م)

زينب محمد حامد محمد أحمد

جامعة نواكشوط

**ملخص المقال: الصراع حول المسالك التجارية بالغرب الاسلامي**

**الكلمات المفاتيح: صراع/ مسالك/ التجارة، الغرب، الاسلامي.**

إن السيطرة على الطرق والمسالك التجارية مهد السبل للقيام بالدورالسياسي في المغرب الاقصى والاوسط والاندلس بالنسبة للدولة المرابطية. وإذا كانت تجارة القوافل وما وفرته من أرباح تمول بيت مال المرابطين بعد السيطرة على أهم المحاور التجارية. فسوف نرى إلى أي حد كان ضياع هذا المعطى من الأسباب الرئيسية التي أدت الى سقوط الدولة المرابطية؟.

بعد أن أفرغت الدولة المرابطية منطقة الصحراء الأطلسية من جل قبائلها الصنهاجية أصبحت هذه المنطقة تعاني من غياب قوة عسكرية قادرة على مواصلة مراقبة مسالك سجلماسة ومنطقة نون، وهذا ما بدا واضحا منذ بداية القرن السادس الهجري/12م. فقد بدأت المشاكل بموت يوسف بن تاشفين ولكن ناقوس النهاية لم يدق الا ثلاثين سنة بعد ذلك بسقوط مدينة سجلماسة بيد الموحدين سنة 1045م ومباشرة بعد هذا الحدث، استطاع الموحدون ضمان القاعدة المادية لاكتساح الشمال ثم الأندلس.

إن اضمحلال السيطرة المرابطية على المحاور التجارية الحساسة قدم ظروفا ملائمة لتنفيذ المشروع الموحدي، فقد تمكن الموحدون إذن من مراقبة سجلماسة والتحكم في مسالكها التجارية حيث اختطوا الطريق التي تربطها مع فاس، كما اختطوا الطريق الرابطة بين تازة وتلمسان واستطاعوا بعد ذلك تنظيم تجارتهم حسب ضرورات المعاملات العالمية.

وخلاصة لما سبق ذكره، يمكن القول ان صراع القوى السياسية في منطقة الغرب الاسلامي انبنىبالأساس حول الصراع من أجل السيطرة على منافد التجارة للتوفرعلى القاعدة المادية لمعطيات سياسية. فالدافع الاقتصادي كان هو المحرك الى ذلك وساعد على اذكاءه السيطرة على المسالك والطرق وخصوصا منها الصحراوية، وهذا ما أكدته التجارب التي تم ذكرها، وكان أبرزها الصراع الفاطمي – الأموي و المرابطي–الموحدي. فمراقبة مسالك القوافل الصحراوية تفسر القبضة الاقتصادية بالإمبراطورية المرابطية و الموحدية على مجموع المناطق الاستراتيجية المحيطة، وبالتالي يؤدي ذلك الى تقوية شوكة نفوذها الى التوسع، وعندما يتم تسرب الضعف والتخاذل في التحكم في المسالك والطرق التجارية الحساسة يؤدي ذلك الى اضمحلال سلطة المركزية وظهور قوة سياسية جديدة.

# Conflict over trade routes in the Islamic Maghreb

## Between: (2-6 / H 8-12 after J.C)

Article summary: The conflict over trade routes in the Islamic Maghreb
Keywords: conflict / roads / trade, western, Islamic.

The control of roads and trade routes opened the way for playing the political role in the Far East, Central and Andalusia for the Almoravid State.In addition, if the trade of caravans and the profits generated by this trade financed the treasure of the Almoravids after the control of the most important commercial axes. We will see how the loss of this factor was one of the main causes of the fall of the Almoravid state.

After the Almoravid State emptied the Atlantic Sahara region in favor of its Sanjhaja tribes, this region suffered from the absence of a military force capable of continuing to observe the roads leading to Sijilmassa and the noune area, which is evident since the beginning of the 6th century AH / 12G. The problems started with the death of Yusuf ibn Tashfin, but the end only took place thirty years later, when the city of Sijilmassa fell to the Almohads in 1045 After J.C. Immediately after this event, the Almohads succeeded to secure the material base to invade the north and Andalusia.

The disappearance of the Almoravid domination on the sensitive commercial axes created the favorable conditions for the realization of the project of the Almohads, the Almohads managed to control Sijilmassa, to control its commercial routes and to seize the road connecting them to Fes, while taking the road between Taza and Tlemcen, then they were able to organize exchanges according to the requirements of international transactions.

In summary, the conflict of political forces in the Islamic Maghreb is based primarily on the conflict over the control of trade routes as a material basis for political data. The economic motive has been the driving force and has helped to strengthen the control of roads, especially those of the desert, as confirmed by the experiences mentioned, the

most striking of which are the Fatimid-Umayyad and Murabit-Muhadi conflicts. The control of desert caravan routes explains the economic empire of the Almoravid and Almohads over the total surrounding strategic areas, thus strengthening their power of growth, while the weakness of the control of sensitive trade routes leads to the disappearance of the central power and the emergence of a new political force.

## الصراع حول المسالك التجارية بالغرب الاسلامي

### ما بين: (ق2-6ه/8-12م)

كثيرا ما يتم اللجوء في دراسة التاريخ المتعلق بمنطقة الغرب الاسلامي الى التركيز على الاحداث السياسية والعسكرية والدينية. وان هذه الدراسات التي عالجت هذه الجوانب تغفل الجانب الاقتصادي، ويمكن اجمال أهداف الصراع داخل هذه المنطقة فيما لخصه عبد الله العروي:"...جميع تلك الحركات تتعلق في جزء كبير منها بالطرق التجارية الصحراوية منها بصفة أساسية[1]".

ولعلنا نستشف من خلال هذه القولة ان أهداف الصراع في منطقة الغرب الإسلامي كانت بالإضافة الى الرغبة في الاستحواذ على السلطة هي السيطرة على المنافذ التجارية وعلى وجه الخصوص المسالك والطرق التجارية. ان المحاور الشمالية انطلاقا من طرابلس وغدامس و وركلان كانت لها امتيازات تجلت في أقدمية العلاقات التجارية، ثم إنمنافسة الطرق والمسالك الغربية لها انطلاقا من المغرب الاقصى، دفعت وكما كان منتظرا الى نشوب صراعات سياسية وعسكرية تخفي بداخلها صراعا اقتصاديا محضا[2]. وهذا هو ما سنراه في هذه المساهمة.

فإلي اي حد إذن كان الصراع السياسي يخفي بداخله صراعا من أجل السيطرة على المسالك التجارية؟.

إن الموقع الجغرافي لبلاد الغرب الاسلامي قد سمح لها بفتح تجاري وحضاري كبيرين، فمن المعروف ان الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط يتصل بأوسع منطقة جغرافية تشرف على الصحراء، وقد كان لهذا الموقع الجغرافي الخاص أثر بالغ في ظهور وتطور المسالك والطرق التجارية (

---

[1] عبد الله العروي، تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة دوقان قرطوط، بيروت، ص106.

[2] Jean Devisse ,Université de paris VIII(vincennes) Routes de Commerces et échanges en Afrique Occidental en relation avec La Méditerrané, Revue d'Histoire économique et sociale, 1972.p 55.

جنوبا _ شمالا_ غربا_ شرقا)، وقد تأثرت هذه المسالك التجارية بالتحولات والتغيرات التي طرأت على مراكز الانتاج الزراعي ومراكز استخراج المعادن، وان مشاهدة الرسومات البيانية للمسالك التجارية في لعصر الوسيط يجعلنا نقف على ثلاث مناطق تجارية أساسية:

أ- منطقة افريقية: وأبرز مراكزها التجارية مدينة القيروان التي تتفرع عنها مجموعة من المسالك في اتجاه الموانئ الواقعة على الشواطئ كصفاقس وسوسة وتبرقة وبونة وعنابة.

ب- منطقة المغرب الاوسط: وتتصل المسالك التجارية فيها بمدينة تاهرت وهي مركز تجاري حساس يربط مسالك الصحراء بالاندلس وحرز البحر الابيض المتوسط عن طريق مدينة تينس، وحلقة وصل أساسية في التبادل التجاري بين المغرب الاسلامي والمشرق. ثم مدينة تلمسان منطقة اتصال بين المغرب الاقصى والاوسط.

ت- منطقة المغربالاقصى: وأبز مراكزها سجلماسة التي يصفها البكري بأنها باب التبر والواقعة على مسلك تجارة الذهب والملح والرقيق مع أدغست، ثم فاس وأغمات ومراكش ونول لمطة[1].

إن الموقع الجغرافي لهذه المراكز التجارية السابقة الذكر قد سمح باتصال مباشر مع المراكز التجارية ببلاد السودان مما جعلها تقوم بدور الوساطة التجارية بين مناجم الذهب وباقي الاقطار، وكما هو معلوم، عرفت منطقة الغرب الإسلامي ظهورقوى سياسية متعاقبة ومتعددة، فقبل ظهور الاسلام نسجل دخول البزنطيينالذين اقتصر دورهم على السيطرة العسكرية في البداية، لكن انشاء حزام من القلاع لا يفسر الا الرغبة في السيطرة على شرايين التجارة داخل هذه المنطقة. وبعد فترة الفتح الإسلامي في عهد عقبة بن نافع ثم تشييد مسجد بأغمات من طرف موسى بن نصيرنظرا للموقع الجغرافي لهذه المدينة، وكونه يتموضع في محورتجاري مهم. ولم يدخر ولاة القيروان وسعا في بت الدعوة الاسلامية في ديار الملثمين، وكانت جهودهم في هذا الصدد متمشية مع رغبتهم في السيطرة على تجارة الذهب. فنسمع ان عبد الرحمان بن حبيب أمن طريق التجارة من افريقية عبرالواحات حتى اوداغست.

وبديهي ادن ان تساهم الدول والامارات التي عرفتها منطقة الغرب الاسلامي بدورمماثل مدفوعة بذات الدوافع الاقتصادية[2].وهذا ما أكدته مجموعة من الدراسات حول بني مدرار المكناسيين الذين أسسوا عاصمة امارتهم سجلماسة ، وبني رستم بتاهرت، وسيطرة الاسطول الأغلبي على المنافذ البحرية الموجودة على البحر الأبيض المتوسط وخصوصا حوضه الغربي، وكان لهذه السيطرة تأثيرعلى الازدهار

(1) الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص: 18_19.

(2)محمود اسماعيل، المرابطون، مطبوع كلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس، 1985. ص:15

التجاري الذي كانت تعرفه افريقية وجزز البحر الابيض المتوسط وجنوب أوربا الغربية، وتأسيس الأدارسة بدورهم عاصمة دولتهم فاس[1]. ويلاحظ في تاريخ هذه القوى السياسية السابقة الذكر حتى حدود القرن الثالث الهجري عدم اتباعها سياسة توسعية لبسط نفودها، وهذا ما كان له أثر على ضمان فترة استقرار سياسي لهذا الغرب الإسلامي، وقد ساهم ذلك بدوره في ضمان أمن وتطور المسالك والطرق التجارية في هذه الفترة[2]،وبعد القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بدأ الصراع حول الطرق والمسالك الصحراوية، وفي هذا الصدد يشير عبد الله العروي الي أن الاتجار مع الصحراء بدأ يكسب أهمية واهتماما كبيرين:" ... ومن المهم التذكير ان الاتجار عبر الصحراء لم يكتسب أهمية قاطعة بالنسبة للمغرب إلا ابتداء من القرن التاسع"[3].

ولم يكد ينته اذن القرن الثالث الهجري إلا والاسلام يضرب في ديار الملثمين وساعد ذلك على تأسيس اطار مذهبي جمع شمل العصبية الصنهاجية في الصحراء مدفوعة بالرغبة في السيطرة على معاقل حركة التجارة ودور الوساطة بين الشمال والجنوب. يفسر ذلك اتجاه الحلف بأطماعه التوسعية نحو الجنوب فأتخن الملثمون في ديار غانا وفرضوا الجزية على شعوبها واستولوا على أوداغست الغنية، و اتخذوا منها مركزا لنشاطهم. ويفسر فشل الحلف الأول إلى كون المراكز والمسالك التجارية التي كانت في الشمال أصبحت بيد قوى سياسية أخرى، وتجلى الامر في الصراع الاموي – الفاطمي. وهكذا سوف نرى أن نجاح الحلف الثاني كان وراءه تضعضع وانهيار الدول المستقلة بالشمال، فقد شهدت اقاليم المغرب الاقصى حالة من الفوضى والاضطراب السياسي من جراء الصراع الفاطمي – الاموي من أجل السيطرة على تجارة الذهب، ذلك الصراع الذي كسر شوكة القوتين معا وكان من أسباب هجرة الفاطميين الى مصر وسقوط الخلافة الأموية بالأندلس[4].

إن الصراع الاموي- الفاطمي يمثل السمة البارزة في تاريخ الغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)ولا سيما في المغرب الأقصى و الأوسط. فالأحداث السياسية والعسكرية التي سنتعرض لها بعد قليل تهدف الى ابراز النقطة التي سبقت الإشارة إليها وهي الصراع من أجل السيطرة على المنافذ التجارية. وبالإشارة هنا إلى ان الحملات العسكرية المختلفة لم تكن تهدف الى تحقيق توسع ترابي في مناطق الغرب الإسلامي بل تهدف أساسا الى السيطرة على مناطق جغرافية محددة، فتركزت على أثر ذلك المواجهات في نقط محدودة ذات طبيعة استراتيجية في تجارة القوافل والمبادلات التجارية

(1)الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق3-4هـ)، تونس، 1978،ص 19.

(2)نفس المرجع السابق والصفحة.

(3)عبد الله العروي، تاريخ المغرب،ص106.

(4)محمود اسماعيل، المرابطون. ص: 16

وتعلق الأمر في السيطرة على سجلماسة وفاس وتاهرت والقيروان وبلاد الزاب ونكوروسبتة أو السيطرة على موانئ المدن المرتبطة بالتجارة الصحراوية[1].

وفي هذا الإطار تركز الصراع على محاولات السيطرة في النهاية على المسلك الغربي لتجارة الذهب، ولعل هذا هو الذي يفسر محاولات الفاطميين اخضاع سجلماسة تحت نفوذهم. فقد أرادوا أول الأمر حكمها مباشرة عن طريق عامل فاطمي. وأمام صعوبة تحقيق ذلك عينوا عليها أمراء مدراريين– رغم الاختلاف المذهبي –بعد أنضمنوا لهم احتكار هذا المنفذ التجاري. ولما هدد الشاكر لله سنة 342هـ نفوذ الفاطميين بالمجال المذكور وذلك بإعلانه الاستقلال لصالح الدعوة العباسية، جهز الفاطيميون من جديد حملة لإخضاع المغرب الأقصى ثانية ولا سيما سجلماسة باب التبر سنة 347هـ بقيادة جوهر الصقلي[2].

وبعد أن كان الصراع الفاطمي- الأموي يتركز على القضايا الداخلية ومقاومة الحركات الانفصالية أصبحت للأمويين في الأندلس سياسة مغربية وضع أسسها عبد الرحمان الناصر وكانت تمثل محور سياستهم الخارجية. ولا شك ان هذه السياسة جاءت كرد فعل على الرامية التوسعية للفاطميين والهادفة الى السيطرة على شرايين التجارة. وتأكدت أمام الدولة الاموية الأخطار التي أصبحت تهددها لو نجح الفاطميون في تحويل المسلك الغربي لتجارة الذهب نحو الشرق وتم عزل الاندلس عن الدورة التجارية، وفي هذا الإطار يعمل الامويون على تكسير كل ما من شأنه ان يؤدي إلى نجاحالسياسة الفاطمية، وذلك عن طريق مناصرة حركات المعارضة في منطقة الغرب الإسلامي ضد الفاطميين[3].

ولم يقف الأمويون مكتوفي الأيدي بل عملوا بدورهم على احتلال مدن استراتيجية وتجارية على الشواطئ المغربية، وتجلى الأمر في السيطرة على مدينة مليلية وسبتة وطنجة ثم عقدوا معاهدات صلح مع المماليك النصرانية في الشمال للوقوف ضد التوسعات الفاطمية. وتتواصل الأحداث السياسية والعسكرية، وقد قام الفاطميون بعد أن تحددت معالم السياسة الأموية بتجهيز حملة لاسترجاع مدينة نكوروالاستيلاء على مدينة فاس، وأصبح الطريق الغربي لتجارة الذهب تحت السيطرة الفاطمية، ثم تم تأمين المسالك الرابطة بين سجلماسة- تلمسان- بلاد الزابعد اختطاط المسيلة من طرف أبي القاسم. فالتخطيط لهذا الموقع لم يكن محض الصدفة بل كان هناك جانب استراتيجي ثم التركيز

(1) الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، في المغرب الاسلامي، ط1 ، بيروت، 1980،ص74–75.

(2)الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية،ص73–74–75.

(3) الحبيب الحنحاني ، دراسات مغربية، ص78–79.

عليه، فالمسلك الشمالي مهدد من طرف الامويين وحلفائهم (زناتة) والمسلك الصحراوي الجنوبي يسيطر عليه الخوارج وبطون قبيلة صنهاجة[1].

وفي عام 357هـ اغتنم الزناتيون حلفاء بني أمية فرصة خروج الجيش الفاطمي لفتح مصر للقيام بانتفاضة ضدهم محاولين استرجاع سيطرتهم على المسالك التي خضعت لنفوذ الفاطميين. وفي هذا الإطار استغل المعز الاموي الصراع بين صنهاجة حلفاء الفاطميين و انصاره الزناتيون للاستحواذ سنة 371هـ على مسالك المغرب الاقصى. ولم يكن الصراع بين القبيلتين في هذه الفترة يعود الى أسباب قبلية أو مذهبية بل كان صراعا من أجل السيطرة على المسالك التجارية بالدرجة الأولى[2].

وقد استطاع الزناتيون السيطرة على مجال صنهاجة الشمال الذي يحدده ابن خلدون بقوله " وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط و افريقية[3]" ولاسيما خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث صارت المسالك التجارية في هذه المنطقة خاضعة لنفوذ زناتة[4] بعد تراجع قوة صنهاجة.

من خلال هذا سرد الاحداث السياسية التي عرفها الصراع الفاطمي- الأموي يتضح جليا البعد الاقتصادي لذلك الصراع بحيث كانت الطموحات الفاطمية متجهة نحو المشرق بدليل تكرار الحملات المباغتة، وبذلك تحددت إذن استراتجيتهم للتحرك في اتجاه الغرب بهدف السيطرة على الطرق والمسالك التجارية واحتكارها قصد الحصول على الاموال المتمثلة في الجبايات، وتجارة الذهب لتمويل الحملات العسكرية على مصر، في حين كان الأمويون يعملون من جهتهم على حماية الحدود الخلفية للدولة الاموية داخل المغرب والتحكم في طرق التبادل التجاري وجنايات الضرائب لتمول هي الأخرى حملاتها الدفاعية في مواجهة حركة الاسترداد بالأندلس[5].

وكثيرة هي الدراسات التي ركزت على أن الفاطميين تمكنوا خلال القرن العاشر الميلادي من السيطرة على مسالك التجارة مع بلاد السودان، وأحسن مثال ما أشار اليه موريس لومبارد[6] إلى أنه من خلال تتبع أحداث الصراع بين الأمويين والفاطميين يتضح أن السيطرة اقتصرت فقط على المسلك الغربي الذي فتحوه لأول مرة والذي ينطلق من سجلماسة الى أوداغست والنيجر[7].

---

(1) الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية،80-81.

(2)Abdallah laroui, Histoire du maghreb,paris,1970,p127.

(3)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، بيروت، 1979، ص211.

(4)الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية،ص88.

(5)الحبيب الجنحاني، المغرب الاسلامي،ص69.

(6)Maurice Lombard,L'Islam dans sa première grandeure,paris,1971,p118.

(7)Jean Devisse,op, cité,p53.

أما المسلك الرابط بين المغرب الأدنى والسودان عن طريق بلاد الجريد ووركلان، والمسلك الرابط بين المغرب الأوسط وبلاد السودان عن طريق المسيلة –واركلانفقد بقيا بعيدين عن السيطرة الفاطمية[1].

ويلاحظ أنه بعد هذا الصراع العنيف أصبح المسلك الغربي خاضعا لنفوذ الامويين، والمسلك الشرقي خاضع لنفوذ الفاطميين فكان ازدهار قرطبة غربا والقاهرة شرقا[2].

هذا اذن عن الصراع الفاطمي- الأموي في منطقة الغرب الاسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين /9_10م، أما القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فقد تميز بسيطرة القبائل الصنهاجية على المسالك الصحراوية الاطلسية، فقد كانت قبائل لمتونة ومسوفة وكدالة تجوب الصحراء حتى بلاد السودان واستطاعت السيطرة على أداة الوصل بين الشمال والجنوب. فقد استعادت هذه القبائل أدغست بسرعة كبيرة انتقلت بعدها الى الشمال حيث استولت على سجلماسة وتمكنت من فرض نفوذها على بلاد السودان بعد اخضاعها لغانة وتحالفها مع مملكة التكرور وأصبحت سيدة المسالك التجارية بالمنطقة بعد أن أسست مدينة تابلبلة لتأمين المواصلات[3].والزمت نفسها بمراقبة المسالك الرابطة بين الساقية الحمراء وشمال النيجر[4].

أما القبائل الزناتية فكانت تراقب مسالك المغرب الأوسط التجارية وكان طريق المحيط الأطلسي الذي يمر بديار جدالة ولمتونة قد تم احتكاره من زناتة بعد ان تمكنوا من الاستقرار في سجلماسةوأودغست ونظموا التجارة منها[5]، واستطاع الملثمون انتزاعها منها. وكانت قبائلمصمودة تراقب مرتفعات الاطلس الكبيروالصغير محاصرة بذلك كل تحرك لقبيلتي (لمطة وجزولة) بالجنوب، بينما كانت برغواطة تسيطر على سهول المحيط الأطلسي مشكلة بدورها حاجزا أمام زحف وامتداد جزولة ولمطة نحو الشمال، هذا في الوقت الذي كانت تشغل فيه جزولة مناطق الأطلس الصغيربالسوس بما فيها الدير الشمالي والجنوبي والمرتفعات والسهول المتصلة بهما، واشتركت مع لمطة في مراقبة الطرق التجارية بالصحراء الأطلسية[6].

---

(1)الحبيب الحنحاني، دراسات مغربية،ص85.

(2)الحبيب الحنحاني، دراسات مغربية،ص85.

(3)مصطفى ناعمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء – بلاد تكنة، مجلة البحث العلمي، 1986، عدد36،ص218.

(4)نفس المرجع،ص231.

(5)Jean Devisse,op,cité, p 56.

(6)مصطفى ناعمي،المرابطون،ص219.

وقد أهل القيام بدور الوساطة بين الشمال وبلاد السودان القبائل الصنهاجية من أن تحقق وحدة سياسية كانت نواة لامبراطورية مترامية الأطراف ضمت المغرب الأقصى وجزءا كبيرا من المغرب الأوسط فضلا عن الاندلس. وهكذا ظهرت الدولة المرابطية المنطلقة من الصحراء بإطار مذهبي لم يكن إلا غطاء لحركة سياسية استهدفت السيطرة على موارد التجارة والمسالك والأسواق في الشمال. أما وقد انجز الشق الأول بالاستلاء على غانة ومناجم الذهب فقد كان الاستمرار في تنفيد الشق الثاني بالسيطرة على المناطق الشمالية ضروريا، فخروج المرابطين من الصحراء الى المغرب لم يحدث بدافع ديني كما تصور معظم الدارسين المسلمين، كذلك لم يكن الدافع الانتقام من زناتة واحياء روح العصبية بين البرانس والبتر كما ذهب الى ذلك كوتيGautier بل كان المحرك الأساسي هو العامل الاقتصادي وبصفة خاصة السيطرة على موارد تجارة الذهب في غانة ومحاولة احتكار تسويقه في المغرب الاقصى ومنه الى باقي البلدان[1]. وكانت السيطرة على سجلماسة من بين العوامل التي ساعدت المرابطين على التحكم في الطريقين الصحراويين الكبيرين: الطريق الغربي الاطلسي والطريق المار على سجلماسة[2]. وحاولت كل من القبائل الزناتيةوالمصمودية الوقوف ضد توسع المرابطين بحيث اتضحت لهما الأبعاد الاقتصادية التي تثير طمع هذه الاخيرة، وبذلك عملتا كل ما في وسعهما من أجل إفشال المشروع المرابطي للسيطرة على أهم المحاور الشمالية،والذي تركزت خطواته بعد السيطرة على سجلماسةوعلى تارودانتثم التوجه الى الاطلس الكبير الغربي، وبعده إلى سهول تانسيفت. وهكذا سقطت كل من شيشاوة ونفيس بسهولة، ورغم المقاومة في مدينة أغمات فقد تم الدخول إليها وتأسيس مركز تجاري جديد بجانبها، وتجلى الأمر في بناء مدينة مراكش [3].

نستنتج إذن أن السيطرة على الطرق والمسالك التجارية مهد السبل للقيام بالدور السياسي في المغرب الاقصى والاوسط والاندلس بالنسبة للدولة المرابطية. وإذا كانت تجارة القوافل وما وفرته من أرباح تمول بيت مال المرابطين بعد السيطرة على أهم المحاور التجارية. فسوف نرى إلى أي حد كان ضياع هذا المعطى من الأسباب الرئيسية التي أدت الى سقوط الدولة المرابطية؟.

بعد أن أفرغت الدولة المرابطية منطقة الصحراء الأطلسية من جل قبائلها الصنهاجية أصبحت هذه المنطقة تعاني من غياب قوة عسكرية قادرة على مواصلة مراقبة مسالك سجلماسة ومنطقة نون، وهذا ما بدا واضحا منذ بداية القرن السادس الهجري/12م. فقد بدأت المشاكل بموت يوسف بن تاشفين ولكن ناقوس النهاية لم يدق الا ثلاثين سنة بعد ذلك بسقوط مدينة سجلماسة بيد الموحدين

(1)محمود اسماعيل، مرجع سابق

(2)Jean Brignon et autres, Histoire du Maroc, Hatier, casa,1967, p 88.

(3)Jean Brignon et autres, op,cité p 87.

سنة 1045م ومباشرة بعد هذا الحدث، استطاع الموحدون ضمان القاعدة المادية لاكتساح الشمال ثم الأندلس[1].

إن اضمحلال السيطرة المرابطية على المحاور التجارية الحساسة قدم ظروفا ملائمة لتنفيذ المشروع الموحدي، فقد تمكن الموحدون إذن من مراقبة سجلماسة والتحكم في مسالكها التجارية حيث اختطوا الطريق التي تربطها مع فاس، كما اختطوا الطريق الرابطة بين تازة وتلمسان واستطاعوا بعد ذلك تنظيم تجارتهم حسب ضرورات المعاملات العالمية[2].

وخلاصة لما سبق ذكره، يمكن القول ان صراع القوى السياسية في منطقة الغرب الاسلامي انبنىبالأساس حول الصراع من أجل السيطرة على منافد التجارة للتوفر على القاعدة المادية لمعطيات سياسية. فالدافع الاقتصادي كان هو المحرك الى ذلك وساعد على اذكاءه السيطرة على المسالك والطرق وخصوصا منها الصحراوية، وهذا ما أكدته التجارب التي تم ذكرها، وكان أبرزها الصراع الفاطمي – الأموي و المرابطي–الموحدي. فمراقبة مسالك القوافل الصحراوية تفسر القبضة الاقتصادية بالإمبراطورية المرابطية و الموحدية على مجموع المناطق الاستراتيجية المحيطة، وبالتالي يؤدي ذلك الى تقوية شوكة نفوذها الى التوسع، وعندما يتم تسرب الضعف والتخاذل في التحكم في المسالك والطرق التجارية الحساسة يؤدي ذلك الى اضمحلال سلطة المركزية وظهور قوة سياسية جديدة.

(1)مصطفى ناعمي،أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء – بلاد تكنة،،ص: 288-289.

(2)نفس المرجع،ص230.

## قائمة المصادر والمراجع:


- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، بيروت، 1979.
- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق3-4هـ)، تونس، 1978.
- الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، في المغرب الاسلامي، ط1 ، بيروت، 1980،.
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة دوقان قرطوط، بيروت.
- محمود اسماعيل، المرابطون، مطبوع كلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس، 1985.
- مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ط1 ، البيضاء 1982.
- مصطفى ناعمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء – بلاد تكنة، مجلة البحث العلمي، عدد1986،36


## المراجع بالفرنسية:


- Jean Dévisse ,Université de paris VIII(Vincennes) Routes de Commerces et échanges en Afrique Occidental en relation avec La Méditerrané, Revue d'Histoire économique et sociale, 1972

- Abdallah laroui, Histoire du maghreb,paris,1970

-Jean Brignon et autres, Histoire du Maroc, Hatier, casa,1967

- Maurice Lombard,L'Islam dans sa première grandeure,paris,1971.

جميع الحقوق محفوظة

للاتحاد الدولي للمؤرخين

2021

ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

# INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

## المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين، وتعد منصة للكتاب والباحثين لنشر المقالات الفكرية العلمية الرصينة، تشرف عليها نخبة من المؤرخين والعلماء من دول مختلفة، وتسعى الى نشر العلوم والمعرفة، وتعتمد الاليات والمعايير العلمية التي تجعل منها مجلة رصينة تمتلك كل الشروط التي تجعل منها تحظى بالاعتماد والقبول والتميز.

Historical.magazine2015@gmail.com
WWW.INT-HISTORIANS.COM